السّالٍ لليمين النورٍ

شأن محاضر في السيرة النبّيّة ورسالة الإسلام
ترجمة حياة المؤلف

السيد سليمان الندوتي
للاستاذ مسعود الندوتي(1) رحمها الله تعالى

لقد علم المسلمون في مشارق الأرض وغربها أن عالم الهند وعالم باكستان الأكبر، الاستاذ العالمة المحقق، السيد سليمان الندوتي قد استشهدت به رحمة الله وانتقل إلى دار الخلاص في الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة 1372 هـ، وقيل من عرف منهم أي مصاب أصيب به المسلمون والعالم الإسلامي بوفاته، والذين عرفوا ذلك منهم، ربما لا يستطيعون أن يقرروا الخسارة العظمى التي خسرها الدعوة الإسلامية في باكستان بارتحاله في هذه الأزمة الخطيرة من حياتها التي سيكون لها ما بعدها في تاريخ هذه البلاد إلى قرون وأجيال، وذلك للصراع الشديد الذي لا يزال قائما بين أنصار الدستور الإسلامي وبين أتباع الغرب المفتنين باللادينية الغربية. فقد كان المفسر له بطلاً من أبطال هذا الكفاح وطوداً من أطوار الحق وسنداً يرجع إليه في المشاكل وحجة على الخصوم الجاجدين فاته مهما يبلغ من جهود المعادين وتعت المكابرين، لم يكن في مكتبه أن يردوا على السيد رحمه الله وфрّجه واتجه دعم القيادة في شيء من أمور الشريعة، والقوم لا يتجولون على كرهم.

(1) نقلنا هذه الترجمة عن حياة المؤلف رحم الله تعالى من جنحة المسلمون المجلد الخامس ص 384 العددان الرابع والخامس، حرم رصفر 1379/1959 وقد كتب مهجة الابداع الاستاذ مسعود الندوتي رحمه الله ذكرت ترجمة رافية لا ترتبط تلميذ وفي لاستاذ عالم، تخدمها الله بواسع رحمته وجزاها عن المسلمين أحسن الجزاء.
لمدين ورغبائهم في التشريع أن يتخذوا بالشريعة علناً، خوفاً من الشعب المؤمن القرى، ونما جمل متباعهم المكابرة والتحريف. فكان دعاء الحق والمدافعون عن مبادئ الإسلام ينعجون إلى السيد ويجمعون بعلمه وشخصيته للرد على الجاحدين المعالين الذين يتقلعون في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. من غير أن يكلفوا أنفسهم أن يصرفوا ولو سويعات من أوقاتها في دراسة اللغة الكرية التي أنزل بها القرآن العزيز ونطق بها النبي الكريم ﷺ.

فمن حق قراء المسلمين، وءاوانا في الاقطار الإسلامية ان يعرفوا نتفا من سيرة المفيد الراحل وأعماله ومساره وجهوده، المتواصلة المتتابعة للتهذيب بالعشرة المنظمة والطرقية مستواها العلمي والادبي والخلقية، ومن حق استذتنا على تلميذه الخبير أن ينوه بها وجلاله أعماله وخصوصاً حياته التي يعرف منها ما لا يعرفه إلا قليل من الناس.

ان الذين يعرفهم من رجال العلم الإسلامي الذين عرفناهم واتصلنا بهم ودرسنا سيرهم وتراجهم من رجال الهند وباكستان، تحرر عظمتهم ونبوءتهم في ناحية دون ناحية أو عدا من نواحي الحياة وشعب العلم، ولكننا لا نعرف من بينهم من أخذ من كل شيء بضبط كلا الاستاذ سليمان. تخرج السيد سليمان في دار العلمية التابعة لندوة العلماء على استذنها ومنهم العلماء المحقق شفيق النعيمي (1273 – 1332 هـ). وجعل من بعد ذلك يساعد الاستاذ النعيمي في تحرير مجلة وندوة، التي كان يرأس تحريرها والتي كانت أم المجلات الأردية العلمية يومئذ. ثم عين مدرساً للغة العربية في دار العلوم التي تخرج منها، فظهر من كفاءته ومكتبه الأدبية وقعت فيه طريق التدريس ما أنطق الألسنة بالثناء عليه. فظل كذلك زاهياً ست سنين (1901 – 1912) كتب خلاصة في مجلة
ه الندوة: مقالات تباث لكاتبها الشاب بنووب مأمون ومستقبلاً زاهراً.

في حقل الأدب العربي بالعجائب وتخفيف أثاراً في القول الملموس والمثير،
يعجز عن مثله نوابج أدباء الهند وشعورها، وما زال يهدي غريب من
مهد العروية والعواصم العربية، تعود قرينته مثل هذا القول المطبوع،
وهو في عنوان شبابه:

«من القهوة الشهاء في الأفق،
والكأس تطفو بها الشمس في الشفق،
بل إنه برفع قان له، جزية
والشمس وجه حبيب بالحجاب يقي،
بل إذا الشمس للصواغ برتقة،
قد زان عسجها وانج ذاق وطرق،
بل إذا الشمس من أعارنا تتلا،
يوماً فسال دم جار من العنق،
فذلك الشفق الحمر من دمه،
وبره ليله المستور بالشق.
وه من قصيدة الشمس عند مفتيها».

ثم التحق بصحيفة هلال، الصحيفة الزاهرة لأبي الكلام الذي
لم تصدر صحيفة أسبوعية مثلها باللغة الأردية إلى الآن. فعارض صحابه
البديع في أسلوبه وجعل ينشئ مقالات افتتاحية، لم يعرف الناس من
كاتبها، فتارة نسبوها إلى أبي الكلام، صاحب الصحيفة،
ورئيس تحريرها وأخرى عزوها إلى السيد سليمان، حتى أن المقالة
التاريخية (مشهد أكبر) التي ظهرت في هلال، بمناسبة قضية حيل بناء
الجامع في مدينة (كاربور) والتي قامت لها البلاد وقعدت ما حاكي وشيئها، وننى بردها إلا يراع السيد سليمان النديري. وبعدما تلقى المترجم في عدة وظائف رسمية بعد الانقطاع عن دار الهلال أسس جمعية دار المصنفين الشهرة التي كان وسعا بها اعتراف الشباعي الندري وعاجلته المئة دون إبراز أمينته. أمينة تأسس جمع علمي إلى عالم ووجود. تأسس هذا الجمع العلمي دار المصنفين سنة 1915 م 1327 هـ في مدينة أعظم كرر ٩٠ مولد الشباعي الندري وبنى داره فضعف السيد سليمان يعهد الدار ويعنى بتدريب الشباعين وتحقيق أهداف الكتاب وينشر نتائج قراءاتهم. بعد تواريخه إلى أن تكونت جمعة صالحة من أفضل الكتاب والمؤلفين الذين وقفت حياتهم خدمة الدين والعلوم الإسلامية وما زالت تنمذ هذه الجمعية ويكترع عددها وتنصع دارتها حتى يسكتي الآن أن أقول أن الذين تخرجوا على السيد وتنصعوا على يده في دار المصنفين، في الخامس والثلاثين سنة الماضية (١٣٢٤ ـ ١٣١٠ هـ ـ ١٩٠٠ ـ ١٩١٥ م) هم أكثر عددًا وأوفر مادة وأخصب نتاجا من المتخرجين في سائر الدروات الإسلامية مجتمعه في هذه البلاد، أقول ذلك، ولا أبالغ، وواممذا ذكرته تحدثنا بنعمة الله، وعلى النبي عليه السلام، وهذه مجلدات حثة ومعرف، الضخمة (لسان حال جمعية دار المصنفين) تكونت مكتبة عظيمة بنفسها، وهي من أرقي مجلات الهند وأغزرها مادة بلا نزاع، ومصنفات السيد وزملائه أعضاء دار المصنفين وطلابه البارزين من الدروات، الذين تخرجوا على أيدي تلاميذه ولا يزالون يستفيدون من دروسهم وحضورهم في مجالهم العلمي، وقد سارت سير الشمس واحترقت حدود البلاد، وقد ترجم (١) مدينة صغيرة من مدن مقاطعات الأقاليم المتحدة U.P. في شمال الهند.
كثير منها باللغات التركية والفارسية والإنكليزية واللغات الهندية.

ومن أبرز أعماله العلمية وأرعنه ذكرها إكيله لكتاب (النبي ﷺ) الذي كان يتألفه أستاذ المعقلة العلمية شبي التمياني.

وهذا الكتاب هو دائرة معرفة في المسيرة النبوية، نشرت منه سبع مجلدات ضخمة لا يقل أحدها عن سبعين صفحة من القطع الكبير، وهذه المعلما من عيون ما ألقى عليه الإسلام منذ قرون، ومن غرفها أهداء علامة الهند إلى المكتبة الإسلامية العامة، وقد اشتمل المجلدان الأولان على ترجمة حياة النبي ﷺ، عني بتدوين معظمها المغني له شبي التمياني، الذي كان يعد هذا الكتاب خاتمة أعمال حياته. وكان قد حرص على البحث والتنقية والرد على مطاعم الأفرونج، وكذلك كان يتناول في الكتابة، حتى أن بعض قطع المجلد الأول تعد أحسن ما كتب كاتب باللغة الأردية، لغة مسلمي الهند وباكستان العامة. والمجلد الثالث خاص بالمعجزات، عني بتأليفه وتأليف المجلدات التالية السيد سليمان.

وفي المجلد الثالث مقدمان علميان من الوجهين الفلسفيين: القديمة والحديثة، أثبت فيها المؤلف بما لا يزال بعدك للشك، امكان المعجزات وعدم معارضة العلم العقلية لها. وقد اهتف بها كثير من المختنعين بعلوم الأفرونج وشلالاتهم. أما المؤلف نفسه، فهو من بكل ما جاء به النبي ﷺ، أيان السلف الصالح من غير الجوه إلى فلسفة أو تكلف أو برهان. والمجلد الرابع يحتوي بحثا دقيقا في منزلة النبي والفرق بينها وبين منازل الإصلاح والتجديد والزعام، وهذا البحث يضم نحو 300 صفحة، وهو من أحسن ما كتبه الاستاذ سليمان. ثم كالأستاذ في العقائد ولم يكن يستقد في بحوثه إلى شيء غير الكتاب والسنة، والذي
أعرفه من علمه وعلم معاصره، أنه ما كان يضاحيه أحد في الجمع بين أسرار الكتاب العزيز ومعرفة السنة النبوية والاطلاع على كتب العلماء القدامى. وجدور بالذكر أنه قد فاق أستاذه الثوري في الاطلاع على أسرار الشريعة وامتكانا وجه التأويل ومعرفة السنة النبوية والمجلدات الثلاثة تبحث في العبادات والأخلاق والمعاملات. وكل واحد منها معلمة في موضوعه، يضيف لنا نطاق المقام عن سرد تفاصيل مواضيعها يشهد بذلك المحققون الطالبون على أجزاء المسيرة النبوية الأولى والثانية، فهنالك يتبنى الفرق بين الاستاذ وتلميذه، ولا يترك للمقدم المتاخر.

وله مصانعه علمية ناقصة غير هذا الكتاب الضخم، سارت سير الشمس كمحاضراته في السيرة النبوية المعرية (خطوات مدراس (1))، وسيرة عائشة (أرض القرآن) (الحياة والهند) (خريج) وغيرها من آثار تلمه التي تفاجئ بها اللغة الأردية. وقد بلغ في المواضيع المختلفة من التحقيق والإجادة ما لم يبلغه أحد من معاصره في هذه البلاد، وأضرب لك بتصنيف الشهر في جغرافيا القرآن التاريخية المسمى (أرض القرآن)، فقد تناول فيه بالبحث والتحقيق جميع البلاد والأمم المذكورة في الكتاب العزيز وأحاط بتاريخها وجغرافيا أماكنهم التي كانوا يقطنها. صنفه منذ أربعين سنة، ومؤلفه ليس بمقام الباحرين. وقد نقل هذا الكتاب النافع -مثل بعض مؤلفاته الأخرى- إلى اللغة الإنجليزية، وكذلك كتابه عن الشاعر الشهير الحايم، يعد من أحسن ما ألف في هذا الباب على كثرة ما ألف في الموضوع ببلاد العرب وقد شهد

(1) وهي التي تقدم للنشر باللغة العربية للمرة الثانية بينوان الرسالة المحمدية، النشرة الأولى في القاهرة عام 1373. وقد ترجمت إلى الإنجليزية واللغات الأخرى.
بذلك بعض كبار رجال الهند المطلعين على مصنفات الغرب في هذا الموضوع.

قلت أن ما سلیان السدودي، لا تتحسر عظمةه في ناحية دون ناحية فإنه كان تديباً بين الأدباء وسياسيين بين السياسيين عالم نابعًا في الفلسفة، وكان له دور في الأوضاع السياسية الإسلامية العالية. كان الرجل الخبير الذي اتجه إلى الهند الإسلامية بين أونه وأخرى لخطابة العالم الإسلامي وبعثه على رأس وقود مؤلفة من خيرة رجال البلاد إلى الحجاز، فهو الذي رأس رئاسة الخلافة في المؤتمر الإسلامي العام المتعقد بمكة المكرمة سنة 1226 م - 1346 هـ، وذلك كان أحد أعضاء الوفد الإسلامي الذي سافر إلى لندن وأوروبا لспеш[tempo] كلمة الهند الإسلامية في مسالة الخلافة، وذلك سنة 1420 الميلادية. أما أعماله وخدماته في المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة فذلك يفوق الرصيف والبيان. فقد كان السيد همزة الوصل بين وقود الهند وقود البلدان الإسلامية الأخرى واتخاذ لشبكة رئاسة المؤتمر من بين رجالي العالم الإسلامي وتعيينهم ساستها، ولما أراد من الأئمة (نادر خان) المعروف بنزعته الدينية السديدة، منذ عشرين سنة أن يؤسس جامعة علمية في عاصمة بلاده، فانتدب ثلاثة من كبار رجال التعليم في الهند الإسلامية لبسطهم في الأمر ووقع اختيارهم وهو من أبرز الناس بالرجال كما شهد له بذلك الدكتور محمد أباد على الامتناع سلیان والدكتور محمد السيد، والسيد مسعود حفيدة السيد أحمد خان الرئيس الأعلى للجامعة عليكرة وقتئذ.

ومن شيء آخر، إليه رفاته بال موضوع وأداة لامعة الترجمة وذلك أن استاذنا كان من أول عهده بالبحث والتحقيق عقفاً في الفقه لا يقيد بضعة
كيا صرح بذلك في مقدمة كتابه (تراجمي عالمي حديث حنها) - سلقي النزعة في السلف من غير تكيف ولا تعديل. وما زال يكتب ويعتبر مشتبهاً بهذا المنهج الفكري كأنه أربى على الخمسين من عمره. ثم جعل يميل شيئاً فشيئاً إلى التنسك والتصويف إلى أن انحرفا في سلك إحدى الطرق التسويقة ويباع بالطريقة قبل ثلاثة عشر عاماً. فمن ذلك اليوم بدأ تظهر آثار التدرج نحو الخفية والمتصورة في كثير من المسائل، وكذلك تغيرت وجهة نظره في كثير من المسائل المتحدثة والمشكل الجاهلية المتنوعة. فمن تلاميذه من لا يزال على طريقته الأولى، طريقة السلف الصالح التي لا تشبهها كرارة ولا غيرها. ومنهم من استناده إلى سلوكه الجديد ومنهجه الأخير لم يبر بذلك بأساً بل منهم من ازداد ميلاً إليه وجبناً له بعد انخراطه في سلك الطريق التسويقة. ولننسى فيها يعشقون مذاهب.

وبعد، فقد كان السيد سليان عملاً دليلاً وجهداً لساطلاً وسمياً متابعً طوال الخمسين سنة الماضية لم يعرف فيها الراحة أو الكسل، ولم يلق خلالها الامور تزامن، وإنما كان حركة دائمة مستمرة طوال حياته. فنوران مختلاً بحث أو تحقيق دائراً لا يفرط عنه طفاوة عين. رأيته كذلك قبل سبع وعشرين سنة، وهو يتمتع بصحة جيدة، ووجدته كذلك قبل ستة، ويشبه بلغ السبعين، أن يكون周围 للجذوع وجعلته قلة التموم والانقطاع إلى العبادة في الليالي في غاية من الضعف. فكان البحث العلمي والتحقيق والتأمل الدقيق قد أصبح له سجي. وخلاصة على كل ذلك فقد كان وجلاً بما وراءه، كريماً يجري الكرم في دمه، لا يرضخ ولا يضطهد، يصفع عن عدوه ويدعو مل يتشاربه بالسوء. أما التلاميذ والمخلصون، فيشملهم بعضهم يعشقه الليوبي ويسبع على كل فرد منهم طلال شقيقه وحناه، كأنه قد منح في هذا الشأن لمحبة من سبيله جده.
الكريم

أقول ذلك عن تجربة شخصية ومعرفة ذاتية. واكتب هذه الكليات، والعين ملوء الدموع، أصقل، ومسرة.

فودعنا ايها الاستاذ الراحل ابنا، في جوار الله كنزف، نفتي الله وجهك يوم القيامة واعلي مقامك بين الابرار الصالحين.
مقدمة

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رسول الله إلى الخلق، برسلة الخير والحق، وعلى الله وصحبه والتابعين لهم بحول أعيام رسالتهم إلى يوم الدين.

وبعد فإن الأخوة التي عقدها الإسلام بين أهله من أعظم بنايب القوة للحق وأوليائه. والخطوات الأولى لتحقيق هذه الأخوة التعارف ثم التعاون. وقد كان كابوس الاستعمار الذي جثم به طغيان الغرب على صدر الشرق مدة غفلته عن مصادر قوته - قد أقام الحدود والمسدود والقبول ليحول بين المسلمين وبين أن يتعارفوا فيما اضطرموا فيما اضطروا من تجديد أواصر الأخوة الإسلامية بينهم. فلما أراد الله بالمسلمين خيراً، وكان سبيل المسلمين إلى أن يلزموا ذلك الكابوس عن صورهم بتجسيد قوائهم أطول من أن يصبروا إلى أن يبغيوا نهائاتهم، فقد سير سيحانه لهم طريقاً آخر أقصر، وهو أن يجعل بأسر المستعمرين بينهم، فتحقق زوال ذلك الكابوس باضطلاع الطاغية الذين تحكموا في الأرض، وسلموا أهلها حرتيهم وإنسانيتهم. وإن الحربين العالميتين الأولى والثانية قد شلت كل منهما من قوى الغرب ما مهد الله به سبيل إلى قيام دولتين إسلاميتين عظمتين في الشرق الإسلامي، وهما دولة باكستان ودولة إندونسيا، كما أقام للعروبة في مدها وفي أوطانها حكومات لم تكن من قبل، وإذا أحسن المسلمون شكرهم لله على هذه النعمة بحسن استعمالها، وإذا قام فيهم العالمون على إرجاع شعوب الإسلام إلى ريها بعد أن نسيت مكانها منه، يوشك أن يعود إلى الشرق الإسلامي ما فقده.

12
من قوته وحيوته وعظمته رضاعته لله بإقامة الحق والنهوض من مزاق الهابط.

ومن أعلام الشرقي الإسلامي الذي جعلهم الله في عصرنا من ورثة الأزتياء في مهمتهم والعمل برسالتهم علامة مسلمي الهند وشيخ علمها مولانا السيد سليمان النقوي بارك الله للمسلمين في حياته ووفقهم للانتشار بعلمه. وقد رأى وفد الإخوان المسلمين الذي شهد مؤتمر الشعوب الإسلامية في كراتشي في شهر شعبان من العام الماضي أن وسائل توثيق الأخوة الإسلامية وتحقيق التعرف الإسلامي والتعاون بين المسلمين على الخير أن تلقح أبابا الشباب في كل أمة إسلامية بعلم الأمة الأعلام في الأمم الثقافية الأخرى، لنتعمم بذلك تلك الحدود والمصصود والقبود، ويتلمذ الشباب الإسلامي كله على اختلاف أوطانه وأمه، لأمة المسلمين كله على اختلاف أوطانهم وأمه، وبدائع من هذه العقيدة التمس وفد الإخوان المسلمين في ذلك المؤتمر من أستاذنا العلامة السيد سليمان النقوي أن يأتنا له ينشر ما يختاره من مؤلفاته بين الناطقين بالضاد من شباب المسلمين فاستجاب حفظة الله لهذه الرغبة وقدم له هذا الكتاب التفيس الذي يمتاز على كل ما نشر بالعربية من الكتب المصرية في السيرة المحمدية. بما تعرّض له من مقارنات وملاحظات وترجيحات قد نبضها حقها إذا حاولنا التعرف بها في هذه المقدمة، فذكر ذلك للقارئ فإنه سيجد من هذا الخير أضعاف ما نستطيع الإشارة إليه هنا أو أدرنا ذلك.

وهذه البحوث التي استعرضها السيد سليمان النقوي في هذا الكتاب ألقاها في تلالي محاضرات على جماهير من شباب الإسلام والطلبة الجامعيين منهم ومن غيرهم. وكان سبب إلقائها أن جامعة بذراس كانت قد أباحت لبعض أهالي المسيحية من الأمريكيين وغيرهم إلقاء محاضرات في البحوث التي وقفوها حياتهم عليها، فأراد بعض

---

1 كان أستاذنا رحمه الله عظم التفاول، ولكن هذه الدول جميعا لم تكن قد تحررت من الاستعمار تحرا حقا، ومالأت للدول الاستعمارية الكلمة، حيث لم يكن قادة المسلمين قد أخرجوا من صدورهم.
مسلمي مدراس أن يساهم المسلمون أيضاً في مثل هذا من الناحية التي يؤمنون بها ويرجون تنفيذ شيء خيراً. فدعوا استاذنا لإقامة هذه المحاضرات، وكان لها وقع عظيم في النعمة، والعديد من الدراسات الندوية مع سمعة علمه، وممارسته في أهم المعارف البشرية، ومعرفته بلغات متعددة ومنها العربية، فإنه مدوود من أئمة البلاغة باللغة الأوردية التي هي من أوسى اللغات الهندية نطاقة، وآثرها شروة، وأخذها بياناً، وأقريها إلى العربية صوتاً وخطاً وهي تسامي أرقي اللغات العالمية، كما يقول الاستاذ الفاضل السيد محمد ناظم الله النجوي رئيس الجامعة العباسية وترجم هذه المحاضرات النبوية باللغة والترجمة.

بتقديمنا هذا الكتاب من مؤلفات كبير علماء مسلمي الهند إلى قراء العربية من مسلمي مصر وغيرهم، نحاول أن نساهم في تحقيق أخوة الإسلام التي أرادها الله للإسلامين، وذلك بأن يتذوق شبابنا حلوة الحكمة من لسان هذا العلماء الحكيم، وأن ننقل قرآناً بروحه إلى المجتمع المبارك الذي ألقى فيه السيد سليمان التدوي هذه المحاضرات.

فتصور أنه كان من شهود إلقائها، وأنه يستمع إلى ما جاء منها من حقائق كأنه صادر من صوت هذا الإمام الجليل، ليكون لنا كما هو إخواننا المسلمون القادرة الهندية، وتكون نحن منهم لأن الله ربط بيننا وبينهم أصوات الأخوة بالرسالة المحمدية، رسالة الإنسانية العليا، ومن الله نستمد العون.

محب الدين الخطيب

دار الفتح
بجزيرة الروضة بالقاهرة
12 ربيع الأول 1372 هـ
المحاضرة الأولى

فيان سيرة الإنسان عظيمة يفرم ما هم الأسوأ للكثير

هذا العالم - وإذا سميتنا المتحف الأعظم - لم تعد الحق، ولم تتزدّب الشفط يحتوي على أنواع من الخُلُقات: ففيما شاهد من جم بديع الألوان، غريب الهيئات، وما يقع عليه نظر من نبات بين اختضر ناضر، وأصفر قاعق، وأحمر قاني غير ذلك من شتى الألوان. وفيما ينفر أو لا ينظر على بالك من حيوان لو حاول أحدنا أن يحصى أنواعه لاعيا ذلك. ومن أنواعه نوع عجيب يفوق سائر الأنواع في هيبته، ويفضل عليها بعمله ونشاطه، وهو الإنسان.

هذا إذا نظرنا إلى العالم بعين من لا يتصرّ بحكمة ولا يتدرّب بعلم. أما الحكيم الذي ينعم النظر في الأشياء، والعالم الذي يحسن التأمل في ملكوت الله، فيبدو لهما من الفوارق بين الخُلُقات ما يتميز به كل نوع عن غيره، ويكشفان في كل شيء الخصوصية التي يمتاز بها ولا يوجد في الأشياء الأخرى لأن البارع العظيم لما صور هذه الخُلُقات اختص كلا منها بخصوص، وآباع فيها من القوى ما امتاز به بعضها عن بعض.

ومن هنا كانت هذه الخُلُقات على غير أطراد في الطبيع والموهاب، فتراها تتدّرّب وترفض - من أدئن إلى أعلى - على مدارج في الشعور والأدرار والإرادة. وإن أول الجهد وهو الهبة، أو الذرة كما يسمونها اليوم - لا تجد فيها أثرا للحياة: من الشعر أو الإدراك، ومن الجهد ما تلحو فيه أثرا خفيفاً من أمات الحياة. أما الدياب فإن أمات الحياة بارزة في مئات وانكسارها، بيد أن في درجة الصغر من حيث الشعر.
والإدراك. بينا نجد في الحيوان - مع الإحساس والشعور - إرادة قوية تحمله على الحركة: في القعود، والندوب، والمشي، وللأساس إحساس تام، وادراك كامل، وإرادة بالغة، وعزيمة ماضية. وفي هذه القسوة الإنسانية - من شعور تام وادراك كامل وإرادة قوية وعزيمة صارمة - يرجع تكليف الإنسان، ومن جراء ذلك، قد حمل أغلب الفرائض واعضاء الواجبات. وكمية كان نوع من أنواع المخلوقات أغلب نصيباً من هذه القرى والموهوب، له من الله، كان أخف عبئاً في المسؤوليات، وأقل واجبات في مناطق التكليف. فالجديد ليس عليه واجب قطع، والنبات قد نال نصيباً من صفات الحياة فاصمها خص من الواجبات، أما الحيوان في أثمر حظاً وأوفر نصيباً من الجهد والتعب في القرى الحيوية، فشقت عليه أعبائه من واجبات الحياة وتكاليفها. ولم كان نصيب الإنسان من العقل والمدارك، ومن الذكاء والعقلة، أو من سائر المخلوقات وأوفر، فقد ازدادت تكاليف وواجباته بنسبة ذلك وتفاوت الواجبات والتكاليف بين أفراد بني الإنسان بحسب تفاوتهم في مناطق هذه الواجبات والتكاليف، أعني العقل والمدارك: فالمجنون والمعتون والأحمق والصبي لا يطالبون بما يطالب به العاقل القطن والعالم المنتفق ولا يستطيع أولئك أن يقوموا بما يستطيع أن يقوم به مؤلاء وكل ذلك يرجع إلى نفاوت القرى البائعة على العمل: بين شعور ناقص أو إحساس كاف، وخدود العضلة أو نقود القريمة. بل منهم من لا يكلف بواجب قط، ومنهم من يكلف ببعض الواجبات دون بعضها الآخر، ومنهم من يقتضط بالعبء الأعظم من الواجبات والتتكاليفة.

اثناء تعلمنا المخلوقات وانحننا النظر فيها يبدو لنا أنه هي يمكن عند تحليل من شعور ناقص أو إحساس ضعيف أو إدراك ضئيل، فإن القدرة الالهية قد تكون تربية وترعى نشأته وتصنفه بعنايةها، حتى إذا امتزت...
صفاته وارنقت مميزاته فوّضت إليه القطرة من أمر نفسه ما تحتمله قوته وتستشهد مواهبه. ألبس من مواهب الله لبعض أصناف الحجر أن تتتحول في جبالها ومعادتها إلى ياقوت وزمرد. وصار لها هذا البرق الذي تنزل لآجوبة أخرى بحب الخزانة والأخضرات الأخرى المجاورة للمياوت والزمرد محرومة هذا الجمال الذي يأخذ بالعيون والصفات التي تجبر الألباح. ومن ذا الذي يغدو الحزين في أعماق البحار، والحيوانات في الأمام والصحاري الفاحلة؟ ومن ذا الذي يشفى الحيوان إذا مرض، ويقيم عوادي الحرُ والقرsetProperty in شهور الفيض وليالي الشتاء؟

من جراء ذلك نرى هذا الاختلاف البديع في صور أفراد نوع واحد من الحيوان، وهو يرجع إلى عوامل مختلفة: من بروحة الجو، وتلبيه البيئة، وطبيعة المناخ. فالكلب الأوروبي مختلف عن الكلب الأفريقي بقدر ما بين بلادهما من اختلاف في الجو والبيئة، فتحدث في ذلك حاجتها، وتستجيب لها، وتوفر لها حيواناتها. وقد تتأثر الغطارة الأهلية لكل منهما أسباب العيش وشوام الحياة التي تلازم طبعه وتتفادى بها حاجاته. فالكلب الأوروبي ليس لأخيه الكلب الأفريقي من العرقيات الإثيوبية. وهكذا ترى الفرق جليا بين الحيوانات الشرقية والحيوانات الغربية في فترتها وشعرها وأوّلها وراحتها ونهاياتها وأطيافها، بل ترى الفرق أوضح واجيئ في سحرها ووجهها وعيونها وجمالها. ومرد ذلك إلى حكمة خالقها الحكيم المدبر، العليم بكل خلقه وما يحتاجه فيها في غزائه وبياته وليوم حياته.

لقد بثنا مما تقدم أن الخالق القيم جل جلاله تتكفل ب حاجات غرائزه المملوءة اللحم والحس وPEARSON CRUS. ومن المخلوقات التي رزقت الشعور والإحساس قد وكلت إليها الغطارة الأهلية أمر السعي لتحمل حاجاتها.
على قدر ما هي حاصلة عليه من الاستعداد الفطري لذلك، فالإنسان مكلف بالسعي في أسباب رزقه ومتاع حياته، وهو يلقى من العصب والعناية ما يلقي في التجارة والزراعة والصناعة، وغير ذلك من وسائل الكسب. وليس لجسم الإنسان من الفروض الصناعي والجلد المتين ما يدفع عنه عوادي البرد القارس والمر للفلاح، لذلك هو مضطرب إلى أن يعد بنفسه ما يفي جسمه حرارة القيظ ورمو السموح، ويرودة الشتاء وسواق الزمهرير، فتصنع مختلف الأسباب المناسبة لكل جو، ويعالج ما يصاب به من أمراض بما هدف إليه ادراكه من عقاقير وأدوية ووسائل.

ومن كان من المخلوقات أقل نصيبا من الادراك، وأضعف حيلة في الحصول على متع الحياة واسباب العيش، تداركته الفطرة الأخلاقية فسحته في نفسه وجسمه من أسباب الوقاية وأسلحة الجوارح ما يدفع عن نفسه عادية الكون ومخلفاته ويسرت به سبيل العيش: فمن الحيوانات ما وهب العقل العظيم غالب قاطعة وبجرا من مرهقة، ومنها المسلح في فمه بأسنان مفترسة، ومنها ذوات القرون، وذوات الأجنحة، والدواجن في السماء، والدفاع عن كيانها بالحمة السامة، إلى غير ذلك من الأسلحة والجوارح التي عوض الله بها لبعض خلقه عاها فقد من نعمة العقل ونور البصيرة ومذاهب الرأي، أما الإنسان المجدد من مثل خرطيم الفيل، وقرن الثور، وسم الأفعى، وهمة العقرب، ومlanmış أسلحة الدواب والهوروم، فكان لذلك أعزل ضعيفا، إلا أنه قد أتى من العقل الكامل، والشعور الكامل، والحس المرهف، والفهم الثاقب، والبصيرة النافذة، ما لم يؤت أحد من خلق الله مثله. وهذه المواهب التي امتاز الإنسان بها على سائر المخلوقات تغنيه عاها فقد من القوى الجسمية التي امتازت عليه بها الحيوانات القوية، فاستطاع أن يستهر الفيل العظيم...
الهيكل ذا الخرطوم الطويل، وأن يستدلال الأسد الضاري ذا البراق الحديدي وأن يقبض على الأفعى الثاقبة، ويصيد الطيور المثلقة في جر السماء، بل سارا يعيده حوت في جلج البحر الزاحفة، ولا وحش غابة كنيفة من الزوهرى المتزمرة الكاسرة. لأنه قد استخرج باحثيه العقلية أسلحة فاق بها على أسلحة سائر المخلوقات مجتمعة بلا استثناء.

سادي: لا بد لكم أن تعترفوا على اختلاف أديانكم، وتباعد أوطانكم وتنواع نزعائكم وافكاركم. لأن الإنسان قد ابتعد على الواجبات وعندت المسؤليات بسبب ما امتاز به من عقل راجح ورأى حصيف وفكر ثاقب وردقه لطيف. وهذه الواجبات والمسؤليات تسري بلغة الشرع وتكاليفه، وهي موجهة إليه من ناحية قواه الظاهرة والباطنة. وكان الإنسان قد خطط القطرة الأمامية بقياس مراوحه وقواته. وفرض عليها عملها، فكان يسبحها مكلفاً بهذه الواجبات التي ثقل وسعه وتتناسب مع طاقتة، قال الله عز وجل (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (البقرة 286). وعبر سبحانه عن هذا التكليف بالأمانة في قوله (إِنَّا عَرضْنَا الأمانةٌ علِى السَّيَاهَاتِ والأَرْضِ وَالجِبَالِ مَثَاباً أَن يُجْعَلُونَها وَلَفْقًا مِّنْهَا وَرَحَمْنَا الْإِنسَانَ إِنَّهُ كَانَ ظُلَوماً جَهَولًا) (الاحزاب 72). ولا يتصف بالظلم والجهل إلا الكفيف بالعدل والعلم، والظلم والجهل من نعوت الإنسان لا ينعه بها غيره، لأنه لم يكلف بالعدل والعلم إلا هو. نهاتان الصفات من صفات الإنسان: الأولى ضد العدل، والأخرى ضد العلم. وذلك لا يوجد إلا في الإنسان، فظلم تدعي الإنسان جليب واستعمال قريته الظاهرة العاملة في غير علها. والجهل ينص على أن الإنسان من جهة قواه العلمية، والظلم بقابله العدل والجهل يضافه العالم. والعدل والعلم يصف الإنسان بها بالقوة لا بالفعل، ليفتح
العدل لتنكيمل قوته العملية، وإلى العلم والمعرفة لتنكيمل قوته العلمية. والقرآن الحكيم قد يسمي العدل بالعمل الصالح، والعلم بالإيمان. قال الله عز وجل: (والصبر، إن الإنسان لفي خس، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فمن لم يعمل صالحاً فدائم نفسه، ومن لم يؤمن بالله فقد جهيل. ولا ينجز من الخسرون إلا من آمن وعمل صالحاً. وقد أشهد الله الزمان على خسرين الإنسان. ومن الظاهر بين أن المراد بالزمان الحوادث التي حدثت فيه منذ بعده العالم، وقد صدق كارليل في وصفه التاريخ بأنه سجل لأعيال العظاءاء وسريرهم، وتاريخ العالم، أصدق شاهد على أن كل أمة لم تؤمن بالله ولم تعمل صالحاً بأنها قد خسرت وهلكت، وكذلك الأفراد الذين لم يؤمنوا بالله ولم يعملوا صالحاً أنهم قد خسروا وهلكوا. والصحف السياوية والآسفار القديمة، ملأى بإن الزمل والجهيل ما رجاء في بيئة إلا جرًا عليها الحروب والدمار، والعدل والعمل الصالح ما رجاء في أمة إلا نجع عنها الحياة والعمار. وتقص عليك هذه الكتب وغيرها أدباء الذين آمنوا وعملوا الصالحات كيف أقهرهم وعمروا الدنيا، وأخبار الذين طغوا وضروا كيف بادوا وهلكوا وذهبوا لأحداث تروي، وتفرقوه أيام سبا، فلم يبق لهم إلا الرب يعد عين. وتنبي هذه الكتب على الذين قاموا أحسن قيم بالواجبات المكافحين بما من قبل نفظتهم فأدوا ما علّمهم منها خير أداء، كما تلزم الذين أحرضوا فرآضهم ونذروا وراء ظهورهم. وحتى الالتباسة والشائنة ومهابارته وراماشن وغبتنا، كل هذه الأسفار، تقص علينا أخبار الأمم الذين خلوا من قبل، وتعطينا بها وقع من القتال بين الظالمين والعادلين، وبين الكافرين والمؤمنين، وفي ذلك عبرة لأولي الأنصار من يعترفون بتجارب الأمم فيتهون عن الظلم والشر، ويرتدون عن التفسر والشرك، ويعقون الحق ويتواصلون بالخير ويعملون صالحاً.
أليست سور القرآن الحكيم وأسفار الثورة والانجيل ملائى بالقصص مسجلة بان كل أمة أمعت وعملت صاحبها وعذلت في الحكم وجاءت بالحسنة فد أفلحت ونجبت وسعبت، وكل أمة ظلمت وكررت بأنعم الله وركبت هواها وعذت طرها وتمدث الحدود النفسية قد هلكت وانفرقت دولتها وتفوق صرح عدها. إن في بعض آيات كتاب الله قصة لؤم عادل صالح، وفي البعض الآخر منها قصة نظالم طاغ: كل ذلك ليزعم الطاغية عن طغيانه، ويكف الفاسق عن الفسق، وينتهي الظلم عن الظلم، ويبقى، فيعودوا جميعا الي الرشد، ويعتبروا عادلين مؤمنين صالحين.

لأجل ذلك بعث الله الآباء والرسول - قبل محمد - إلى كل بلد، بل إلى كل قرية، ليكونوا بسيئتهم الصالحة المنتمية أسوة لأنهم، فتتبع الشعوب التي عبوا عليها السنن التي بنوها. لآرادتهم وجاغتهم فيستيقموا ويفتحوا جمعاً، أو نشأ قلبيه الآباء والرسول طوابق من قومهم على الأقل فيما سلوا الدعوة ويسيرا في طريق الحق. وقد بعث الله إلى الإنسانية ناتم رسالته محمد، بشيراً للناس كافة، ونذيراً، وداعياً إلى الله بذاروه ورحمة للعالمين، لتكون لهم فيه أسوة، ويكون لهم من حياته الشريفة نذوة، ثم يكون مشاه أعلال للذين يأتون بعدد اثنان تقوم الساعة. وقد جاء في القرآن الكريم على لسان نبيه ﷺ: ( فقد أنتَ فيكم عمرو من قبله، وأنا عقلون) (بونس 16)، وذلك أن الرسول ﷺ، ولد فهم، وترعرع بينهم، ونشأ أمام أعينهم، وعاش بين ظهورهم برها من الدهر قبل بعثته، فعراوا اختلاجه كل المعرفة، وخرجوا عادته، وأعيانه، فهو لم يكن فيهم غريباً ولا خاسراً ولا مجهول الأحوال، وللريحاني الامه في هذه الآية يشدد حياة الرسول ﷺ، ويصبح الظاهرة قبل البعثة
لقد قضى في سلف الأشخاص كثيرٌ من الأعيان دعا الناس إلى أن يفتحوا بأخلاقهم وأعمالهم، منهم ملوك جيابرة عاشوا في قصورهم الشاماعة بين ندمائهم وجمالهم، وأملاً القلب، في جزيرة جبلة، ومنهم قادة جيوش عاشوا بين ضباطهم وجنودهم يرهبون الناس ويتفوقون بشدةً بأعمالهم وضحخة أخلاقهم وروراء هتمهم، ومنهم حكايا وفلسفة كانوا إذا تطقوها يابسوا، وإذا خطقوا أبدعوا ونشروا من ذكر الحكمة ما شاءت بلغتهم وطلاقة لغتهم، فلملوا القلب وبيرو الفنوس. وترى بجانب هؤلاء طائفة الشعراء ومن إذا انشدوا أطرعوا، وإذا رئت أطاريدهم غلوا السامعين على أهوارهم، وجلوا بالقلب كيف شاؤوا.

وقد خلأ كثير من الفلاحيين الذين دخوا البلاد واستولوا على المغاليك، كما مر في مراقب التاريخ كثير من الشروخ والدغدغات الذين كانت أقدامهم تطأ البسط الناعمة والزرائب المثيرة ويشون على الحرير الفاخر والاسترقاق الزاهر، اكتنزا القناعات المقتطعة من الذهب والفضة، واسترجعوا أنظار بني إسرائيل بما كانوا فيه من ترف وعظمة وسعة. وقد كان هنالك الفرط الجني والإسكندر المقدس وقيصر الروم، ودارا الفارسي، ونابلسون الفرنسي يملا كل منهم عيون بني إسرائيل بعظمته وأحداث حياته وختلف أعماله، وكذلك نجد سقراط وإفلاطون وديودونس وغيرهم من حكياه اليونان وغير اليونان مثل سبينس وأضرابه كجبلب سيرتهم الفنوس وترق القلب، وإن اختالفت مظاهر عظمتهم عن مظاهر عظمة الآخرين من ذكرت أسماءهم قبلهم.
فهل ترى في حياة هؤلاء وأولئك ما يضمن نلاح بني آدم ومن منهم توحي سيرته ودعوته إلى صلاح الإنسانية وسعادتها؟
إن في هؤلاء وأولئك لقادة نفتحوا البلاد ودحرموا الماحالي واتحعوا أقصى الأرض وادناها، وظلوا ما اعترض سبيلهم من صعاب، وسحروا الملوك بهم سيوفهم. ولكن من منهم تركد أن يرى بعد أسرة يائها بها في تعميم الخير، ومن منهم إذا اهتدى الناس بهديه ينجون من المهاك وكسيكين سبيل السعادة والهناء؟ ومن من هؤلاء استعملوا سيوفهم في قطع حياء العقائد الفاسدة، وتخلص العقول من الأهوام الواهية والأنكار الباطلة؟ ومن منهم وقف حياته على حل معضلات بني آدم، وكان حريصاً على عقد أواصر الأخلاص بينهم على الحق والتوأسي في الخير؟ وهل يوجد في حياة من ذكرنا من هؤلاء العظام ما يسمين به بكر الإنسان على تخفيف ما يعانونه من العمبرات في حياتهم الاجتماعية؟ أم في أخلاقهم وأعمالهم ما يسر للإنسانية الشفاء من أعراضها الخلقية وأوضاعها النفسية؟ أم في دعوتهم ما يجلو صدأ القلوب وريثها، أو يرتقي نتفا في الحياة الاجتماعية؟
لا شك أن الشعراء لقالوا إجابات الناس بناشذهم الرثاء، ولكلا النفس وتصروا فيها شعرهم البلغ وقصائدهم الغر. ولكن هل نفعوا الإنسانية وهم يهمون في أودية الخيال؟ كلا، ولذلك لم يكن لهم في جمهورية الفلاطون نصيب ولا منصب. والشعراء - من هوميروس إلى امرئ الفليس - من بعده من شعراء الأدب - لم يكن منهم إلا أثارة كامن المواقف وتبنيه النايم من الأفكار، أو إحداث لذة ألم في النفس. ولا ينتظر منهم أن يجلوا معضلات الحياة الإنسانية، ومرضات مشاكلاها. وسبب ذلك أنهم في سيرتهم وأعمالهم لا يقدمون للناس مثل
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
المدرس يعجب الطلبة فصيح كلامهم وإبراعة بيانهم وبلغ حوارهم
وعذبة حدثهم، وهم يؤثرون فيهم بذلاقة المستنهم، واتساق
أنكارهم، وترتيب معانيهم. لكنهم لا يتعذرون مخاطرهم جذوراً كليتهم
وقاعات مخاطرهم، وإذا خرجوا منها أصبحوا كعامة الناس لا يتنازلون
عليهم يعمل تتخذ الإنسانية مثالاً يحتذى، ولا يخلق يختلفون به عن
غيرهم هدياً وسمتاً.

لقد رأينا على مسرح العالم كثيراً من الملوك الجبارة الذين جكموا
العالم واستولوا على الميلياك، واستعبيدوا الأسم. وكم من أرض
عمروها، ومدينة دمروها، وكم وضعوا شعوراً ورفعوا آخرين، وكم
سلبوا وموحوا، وضروا ونقعوا فكانوا في سيرتهم كما قال الله عز وجل
إلى لسان ملكة سبياً (إِنَّ الْمُلْكَ إِذَا دَخَلَ قَرِينٌ أُسْتَدَرُوهَا وَجَعَلُوهَا أَعْزَى أَهْلَهَا
إِذْلِلَّهُ). النمل 124. نعم إن السيوف البواتر في أيدي بعض الملوك قد
تذرفت الرعب في قلوب المجرمين فكروا عن اقتراب الجرائم علانية وفي
رضي النهار مسرين وراء مكانة الريب أو قابعين في بيوتهم. لكن
سيوف الملك عجزت أن تنزل الردائم من قلوب أهلها، وإن نحسر
مادة الشر في نفوسهم، وإن تظهر صدورهم من فتائد السراير، ذلك
الفساد الذي يحمل أهله على ارتكاب المعاصي واقتراب السيناء. وأقصى
ما يرتبط على راحة المجرمين والمرجفين من سيف الملك المسلم عليهم أن
يسود الأمن والسلام سبل البلاد وأسواق المدن وشوارعها وحاراتها، أما
إصلاح القلوب وتهذيب النفوس فهما يخرج عن سلطان السيف وتعجز
عنه ارادة الطغاة. بل الحق - والحنق أحق أن يقال - إن رأس كل شع
نجم من قصور بعض الطغاة. فإن كل فساعد نبث نفسه في فساد
حصومهم، بل في قصورهم نبت عيون الفساهش والجرائم، ومن
حصوبيها انفجرت نتائج الظلم والعدوان، وعلى أيديهما تفاعلت كل شر، ومن أخلاقيهم سرت الدهور إلى اختلاف الناس. وفساد قلوبهم، وسوء أعمالهم أسع الخرق على الواقع حتى أعما الأطباء داء المجتمع البشري. وحل خلف لنا الأسكندر المقدوني، وقيصر روما الأعظم مثالاً من أعمالها.

يصلح المجتمع إذا اقتدى به وسار على أثرها في؟

وهل نالت حظا من البقاء والدرام ليلة سنينها عظاء المفكرين

للإنسانية نموذج ونوع من راضعي العادات التي

يحرصها عادلة قيمة، مع أنهم أبدعوا فيها ما شاءت لهم أفكارهم الثانية.

أنظارهم البعيدة وفرائهم المتوقعة. ولو سأل سائل عن تلك العادات

القيمة والقوانين العادلة كم استغرقها؟ لم استطاع أحد من اتباعهم

وانصارهم إلا ان يعنف بأن بقاءها كان قصير الأمد وأن نقادها أكثروا من

نقدها، بل شكل حتى أن اتباعهم وأنصارهم في نصائح أولئك المفكرين، ونقاء

سرائرهم وصفاء قلوبهم، وفي اختلاصهم للانية، والبشر جميعاً، لأنهم لم

بجبوا فيها الحياء الصادق والنصفة المحضة والعدل الصريح، وبراعة الدمع

من المحاباة، ومن جراء ذلك نشأ بعدهم قوم آخرون نبذ حكامهم تلك

العادات يجعلها كأنه يحو المحاصرون أخطاء الحرفي في الكتابة، ثم

شرع مؤلف الآخرون في سن قوانين غيرها ثلاثم مصالحهم، وترافق

مطامعهم، فعاجلت القوانين الجديدة كاستعداً تسبطها غير مراعيها فيها

حقوق بني آدم كلهم ومصالح الأمم بلا استثناء، وفي إبانا هذه نرى

مجالس التشريع في البلاد المتحدة لا تتفا تنسق قوانين كان معمولا بهما

وتسن بدلا من قوانين أخرى جديدة، حتى صارت لكل يوم شريعة

تشريع في مكان شريعة تسق، وقانون يسن بدلا من قانون يلغى. كل

هذا طمعا في بقاء دولة وثبيت أركانها واستيلاء رجالها على مناصبها ورغبة
منهم في زخرف الدنيا وزينها ونعمهما ، لا تخففهم الى ذلك مصالح الناس ولا منافع الامة كلها .

سادتي : لقد حدثكم عن الطبقة العليا من بني Adam ، من يظن فيهم
أهيم معقد الرجاء في إصلاح الحياة الاجتماعية وتوجيهها نحو الرشاد .
وقد علمتم من أحوالهم وسيرهم كيف خابت نهيم الآمال واخفق الرجاء . والحق أن كل خير ترون له أثرا في بقعة من بقاع الأرض ، وكل
نور يوبض في آية أمة حتى لو كان ضئيلا ، وكل إثارة من صلاح ، أو كرم
خلق ، أو صفاء سريرة وطهارة قلبا ، فإن مما لا يرب في أنه مرود في
الأصل إلى رسالات الله ، أي إلى هداية النبيين عليهم السلام . فإذا
وقعت انظاركم في بقعة من أرض الله على مظهر من مظاهر العدل يسود
الناس ، أو رحمة في قلوب طائلة يتبادلون بينهم ، أو وجدتم فئة تتعامل
بالترواش ويساعد أيهاهم ذوي فتاتهم وأقويائهم المتزلجين منهم وأهل
العافية فيهم يغيبون المجهلين ويطلبون الأيتام وبخلون الأبالس
فأعلموا جاذبية غير مرتاحين بأن هذه الفضائل من أثار تعاليم تلك الطاهرة
الطاهرة التي تسمى الأنبياء ، صلاة الله وسلامه عليهم . وذلك لأن
انظار الأرض كلها - على سعتها - قد بلغتها دعوة الأنبياء وطرقت مسامع
أهلها سنن هديتهم واحكام تشريعهم وحكمه رسالتهم ، وما من أمة إلا
رقد أرسل الله فيها رسوله منذرين ومشرين ( وإن من أمة إلا خلأ فيها
ندير ) فاطر ۴۲ ، ( ولكن قوم هاد ) الرعد ۷۱ . ولولا الأنبياء
هتلاءج الناس كالبهائم ، وتهارشوا كالسبع الضواري . فحينها رأيتهم
شيتا من الصلاح ، وقيلنا من الخير أو كثير من طهم ، فهو من تعاليمهم .
وكل دعوة للرحى في مكان ما من الأرض فانها هي صدى لرسالات الله
حتى الجمهور في جاهل إفريقية ، فضلا عن الأمم الغزية المحمدية ، كل
أولئك استروا من منهل النبات الصافي واستضاءوا بأنوار الله التي بثت بها أنبياءه، ولا يزالون يسترون بهم في كل ما يمس حقاً وكل ما تدل عليه عناوين الخير.

إن الصفوة المختارة من أهل الطبقة العليا في البشرهم الذين يحكمون القلوب وتنقاد لسبادتهم النفوس، وأبن هؤلاء من الملوك الذين يحكمون الجسور ويملكون الأبدان ويسترون على البلاد. أولئك تجري أواهرهم وتنفذ أحكامهم حيث تخفق القلوب، وإذا كانوا يملكون الأسلحة التي يملكها الملوك وأمراء الأجناد، فإنهم يظهرون النفس من آثامهما ويستناضلون الجرائم قبل وقوعها، حين يبتغون من القلوب جذور الشرور. وإذا لم يكن لهم ما للشرعة من أناشيد يغتنى الناس بها، فإن الأمم لا تزال تستحي كلامهم العلاب، وتستعبد حديثهم الخلو. لا يريب أنه لم يكن الرسل رؤساء المجالس التشريعية بالمعنى الحديث، لكنهم وتشريعاتهم لا تزال على تطاول الأيام وبعض القرون. تنازل بين الطوارئ، يقدسها عليه الناس ومتلفتهم، وأحكامهم منقوشة على صفحات القلوب تذعن لها السوتق والملاك، ويسلم لها الفقراء ويضع لها الأغنياء.

إن بد الأيام قد عشت كي يشهد التاريخ بالراجا (أشوكا) ملك (باتلي باتر). ولم تبق بد البل من أواهمه وأحكامه إلا صخوراً منقوشة وحجارة منحوتة. أما (بودا) فإنه لا يزال يحكم القلوب، وسنته وقواته لا يزال كثير من الناس يديون لها ويطاطعون الرؤوس اليومتها. وإن أواهر ملوك (أجنين) و(هستيان) في دلهي وتقونج أمسد أثراً بعد عين، بل درست آثارهم وعرفت أعلامهم وأصبحت ديارهم كاطلال خولة، أما
(دهرم شاهر) وهو كتاب العقائد الذي جاء به (يحيى) فلا زال بانيها نافذًا أمره.

والملك (هورايب) من ملوك بابل كان أول من من سن الفرائض، ولكن أين أوامره وأحكامه؟ لقد نسجت عليها الفنادقون منذ زمان طويل، ولم تدع يد الليل من قوانينه وأحكامه شيئاً. أما تعاليم نبي الله إبراهيم عليه السلام فما برحت غضبة طرية.

وأين فرعون ودعواه (أنا ربيكم الأعلى)؟ لقد أصبحت أضحواره لأمه الله موسى عليه السلام فانه يسود نوازع القلوب، ويمل أهواه النفسوس، ويبدين له كثير من الناس، وتسلم لآياته وبيناته طوائف غير قليلة.

قوانين سولون زال العمل بها ونفيها، بينما النوراة المنزلة من السباه لا تنفك أحكامها وقوانينها قسطاس العدل وميزان النصف.

والقانون الروماني الذي وعدٌ عيسى عليه السلام جانتاً محروماً بمحتوى أحكامه، واعترضه قد اجترح السوء أثنا ذنيها، فقد خلت القرون تسفيه برياحها فأصبح ضعيفًا مضحلاً. أما عيسى عليه السلام فإن تعليمه لا يزال نورًا نسيبه للحظات القلوب، وقد تظهره نفوس المذتهين، وتركيه أرواح المجرمين.

وأين أبو جهل وكبريائه، وأين كسرى الفرس ودولته وجبرهه، وأين قباس الروم وحكومته وطغائه؟ كل أورشل تم طوي الأحمر صخاطرهم، وطممت الأقدار دومًا، وتسلم مبدهم، وذهبوا أدراج الرياح. أما محمد رسول الله فإن حكمه ما زال وسيقى بابًا على الدهر، وأوامرنا نافذة ونصبنا متبعثة في كل زمان ومكان.

٣٦١
ساتني وأصدقائي: أظنكم قد استمعتم لما ألفيت عليكم من الأدلة العقلية والبراهين التاريخية، وإنما قد تركت فيكم آثارًا أورثها قلوبكم يفتن بأنتم لم تكن طائفة من الناس أصلحت من فساد الأخلاق وقومت من عرجه، وهذبت النفوس وهدتها من ضلال البشر مثل الذي قام به الإنباء عليهم السلام، فهم الذين أصلحوا الحياة الاجتماعية، وعلموا الناس الاقتصاد في العيشة، والاعتدال في كل شيء، وهم الذين أقاموا العدل في الدنيا، وحكمو بالعدل بين الناس، وزحوا القلوب، وأخذوا بيد الإنسانية إلى الحق والخير، وأنقذوها من حاة الرذائل، وإن الله سبحانه قد بعثهم ليخرجوا الناس من الظواهر، ظلالات العقائد، وظلالات الأخلاق، وظلالات الأعمال إلى النور: نور الإسلام، نور الخلق الكريم، نور العمل الصالح، وتركوا بعدهم سنة للناس تباعها السوقة ويعمل بها الملك، ويتبعها صغار الناس وكبراه، ويتمتع بخيراتها الاغتياء، والروساة على السواء، وإن مثل الأسوة بهم كمثل عين نزهة فياضة تروي البلاد وتسقي العبد، يشرب منها كل عطشان يقدر حاجته، ويرتوي منها العذب الزلال كل ظآن يفتقع غلته، و بكل حديثه أتينا إبراهيم عليه السلام، وحجبه من شغله عن أمره، إن ربك حكيم عليم، ورفعنا له إسحاق، ويعزه، وكلاً من ذوي نعمة وحازمة من قبل ومن ذوي ذرى، داره وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وكذلك نجاري المحسنين، ووزرائنا جميعاً وإلياس كل من الصالحين، وإسحاق، والياس، وبونس، ولروتا، وكلاً فضلًا على العالمين، ومن أبناءهم وذرائهم وإخوايهم، واخبنهم، وهديتهم إلى مسارات مستقيمة، ذلك هدى الله يبهي بهم، يشاد بهم من عباده، ولي أشركوا لفظًا عليهم ما كانوا يعملون، أقولوا الذين أتيناهم الكتاب والحكم والندب، فإن يكفر به هؤلاء فقد وكلنا بها قومة ليسوا بها
تكافرين. أولئك الذين هدى الله بهداهم إتقانه، الأعظام، 82.

ترون في هذه الآيات ذكر طالية خاصة، وسمي فيها بعض الذين بعثهم الله إلى الناس، وفروضهم أنهم أمر إصلاح المجتمع. فهم الشفاء لرضى القلوب، وهم الرب لسبق النفس، وهم هداة الغائرين، الأخذون على إيدي الفضية، والمشدلون لأهل الغي. والناجون من المتكررات. وهم الطالة المقدسة التي عمهم هديتها وجدن فيها جميع أنحاء العيشة. فاستضاء الناس كلهم بنور هؤلاء الرسل في مختلف الأزمنة وشبب العصور. وإن الذي نراه في الأمم من الخير والصلاح وكرم الحلق وحسن العمل وظهارة السيرة وعلو النفس وزياء الروح ونقاء.

القلب، إنه هو قطرة من بحر تعاليم النبي عليهم السلام، ولحة من جمال شرايطهم، وأثرية من بركات سيتهم، وإن الإنسانية الفلقة المشكلة لا تزال تفتكد آثارهم، وترسخ على أتباع سنهم، ليذهب بذلك روعها، ويتمثّل قلبه، فتقر الحياة الاجتماعية وتجد بعض راحتها. ولو أن الناس اتبعوا سنن النبي واستقموا على الطريق الذي دلومهم عليه لساد الرمث بين الأمم، وعم السلام في العالم.

لقد كان النبي جمعا على حلق عظم، وقد أروى من حيد الحصال ومعاني الأخلاق ما لم يؤت أحد غيرهم مثله. غير أن منهم من تعلى فيه حلق من الأخلاق فكان فيه أبرز من غيره وظهر، فبني الله نوح كان متحمسا في تلبية الدين، وبراهيم كان شديد العناية بأمر التوحيد وورثه في ذلك إسحاق، وحبيب الابن الذي إسحاق، وجمال موسى جهادا عظيا، وآرائه في الحق، أخوه هارون، وظهرت الأنبياء والاعتراف بالخطأ في يونس، وكان لوط تجاها، وغُلب على بعقاب التسليم والرضا بأمر.
الله ، وكان داود يرتقي للحق وخذالته ، وامتئ الله ، وانتقل المغزيم ، وكان زكريا متعبًا ، وجعل في يمين العقاب وطهارة النفس ، أما عيسى فكان مظهر الزهد في الدنيا والرحبة عن زهرتها ، وكان أيوب صبورًا على الألم . وهذه الحصائل العالية والأخلاق الفاضلة التي يتشرف بها العالم ، وتسعة الأمم للتحلي بها ، وحيث وجدت من هذه الحصائل الحميدة والفضائل النبيلة أثرا فكونوا على يقين بأنها من نفقات أوليك الأنبياء ومن أنار تعليمهم .

إن تقدم المدنية الصالحة ، وتوفير عوامل الهواء والرhev للناس ، وبناء الإنسانية مقام الشرف ، قد ساهمت فيه جميع الطوائف التي اشتركت في عبادة العالم . فعليه المهمة اكتشافاً للناس نظام سير الكواكب ، والحكاية دلوا على خواص الأعراض تأثيرها في الاختلاف ، ووصف الأطباء التطبيقات خواص العقاقير وتاثير الأدوية في الأدواء ، وتفحن المهندسون في تشيد المباني ومرافقتها وإنشاء القصور ومعالمها وعقدوا على الأنهار القنطر والجسور واتسع أهل الصناعات في تنوعها واتقانياً وتيسر الأعمال للعمال . فكان من جميع هذه الجهود عبارة الأرض ، ولكن فريق من أصحاب هذه الجهود يرتكب في أكثاب الدنيا و يتقن الحضارة ، ونحن نذكرهم يذكروا بالثناء والشكر ، غير أننا لا نستطيع أن ننسى أن أنبياء الله ورسالاته هم الذين حرموه بالنعناع العظيم لأشنعملوا لإصلاح فساد القلوب ، واستئصال كرام الشرور ، وتطهير النفوس وذكزتها من الأهواء القاسدة والأطاع اللافية والملوك المهمكة ، فنهجوا بذلك منهج السعادة للحياة الاجياعية ، وبيننا الناس ما تعلوه به نفوسهم وما تغلب به ، وما تكون به شريفة أو محصنة ، فكلمت الثقافة الإنسانية برسالتهم ، وبلغت الحضارة بذلك مبلغ الكمال ، وتيسر
لمجتمع البشري أن يكون صالحًا إذا شاء، وقد أصبح من المتعارف عند الناس أن الأخلاق الفاضلة والسيرة الطاهرة هي شرف الإنسانية، وجدتها، ومكارم الأخلاق ومحاسن العوائد أصل الإنسانية وجوهرها.

ويتعامل الأنياب توثقت العلاقة بين الخلق وخلقه، وحسن الرابطة بين العبد ومولاه، فتذكر الإنسان هذه الأيام التي أحدها على نفسه لربه. ولولا الأنياب وتعليمهم وتعليمهم أسرار النفس وكشفهم عن غوايات الفطرة الإنسانية بما يسعد بها المخ، أو يشفه، لم تبلغ الإنسانية ما بلغته. ولذلك كانت الإنسانية متقنة بين الرسول سلام الله عليهم، فنام لهم علما من الأبدى البيضاء ما لا كفاء له. ومن عرف هذا عرف منه ما يجب لأنياب الله جميعا من الشكر العظيم على كل فرد من أفراد البشرها كذلك الطاقية التي تنشب إليها، وهذا الشكر هو الذي نعبر عنه نحن المسلمين بالصلاة عليهم والتسليم (لا تفرق بين أحد من رسول الله ﷺ) ونجهل بذلك ونعلمه كلما سمع الإنسانية عليهم الصلاة والسلام.

أيها السادة: إن هؤلاء الأنياب بشرا في عصرنا، فبلغوا رسالتهم لله، ثم مضوا، ولا بقاء لشيء في هذه الدنيا الفانية، وإن سيرهم هنا كثر طاهرة مقدسة فإنه لم يتغير لها البقاء والدوام، لأن بد الأفام قد عبثته بها كما تعبت بك، فكل تفتيحه قديما، ثم تجاهل ورادة تذروه الريح. ومن المعلوم أن الذي يبني من يأتي بعدهم من بني آدم هو المكتب فيه سيرهم وهمداً، وهو الذي يصف حياتهم ويمثل أخلاقهم، الكتابة هي التي تخص الأعمال والأخلاق وتخطيها من أيدي الناس، ولولاها لم تصل لنا علوم القرون الخالية وحمايتها، وفسو الأمية الماضية وأفكارها، ونشون الأقوال السالفة وأخبارها وما التاريخ إلا سير الرجال وشغف الحياة الإنسانية مما حفظته الكتابة وصانته من بد الضياع.
وان حياة الإنسان نواحي شتى، ومن المحتمل أن يعتبر الإنسان - في ناحية من نواحي حياته - بكل حادثة حدثت فيها مضاهاة، لكن حياة الإنسان الخلقية والروحانية لا تكمل كلياً ولا تبلغ مرادها ولا تزكاهم إلا بسن الأنبياء وهم عرفوا واتقاء آثارهم والتنبؤ بالأخلاقهم، ولن يذهب ظن الإنسان أن يروي غلته إلا بمن سبسب هؤلاء الرسل، ولا يرجى خير العالم وصلاحه إلا إذا عمل أهل الأعمال التي هدف اليها الأنبياء ودعا إليها وحضوا عليها. لاجد ذلك كان أهم الفراشة على أبناء الإنسان حفظ سيرهم، وإحصاء أخلاقهم، لتبلغ مبلغ الكيال وتركو زكاءها.

إن نظرية مهيا تبلغ من الصحة ودقة الفكر، وإن تعلينا بها يكن رائعاً ويعيق من الناس موقف الاعجاب، وإن هدابة مهوي تجعل من صنوف الخبر، كل أولئك لا يغبني عناء ولا يشعر شعرة ولا يبقى على الدهر إلا إذا كان له من ينقله بعمله ويدعو إلى إخلاصه وفضله، ويعرفه الناس بالقدرة والاسوة، فيقدمي الناس بدعاه من طريق العمل بعد العلم، معجبين بسجاحاً وسجاها الدعاء معظمين لأخلاقهم مكرمين طهارة قلوبهم، زكاة نفوسهم وسجاحاً إخلاصهم ورجاحة عفوفهم وخصافة آرائهم وسداد أفكارهم. وأقصَى علمه قصة: إن البائرة (كروكوديا) التي ركبتها في عودتنا من مصر واللحاز في آوارل شهر رجب سنة 1344 (شباط 1924) اجتمعنا فيها عرضاً بالدكتور طفاضر (الشاعر الذائع الصيت)، وكان قافلاً من سياحته في أمريكا، فسأل بعض رفاقه: وما بال نحلة (برهمو سياج) أخفقت في مساعيها ولم تنجح، مع أنها انصفت الأديان، وجعت الحسنات، وسالت جميع الملل، ومن مبادئها وأصولها أن الديانات كلها على حق، وإن جميع المسلمين من الأنباء.
والرسول والهداة هم خيار الناس وصلحاؤهم، ثم أنها ليس فيها ما يخالف العقل أو يعارض الدينية الحاضرة أو نزوى الفلسفة الحديثة، وصاحب هذه النبالة قد رأى فيها الظروف الراحلة والشروع الملتوية الآن، ومع ذلك كله لم تظ نقص شيئاً ولم ينتج لها من النجاح قليل ولا كثير!»

وقد أحسن الشاعر في جوابه على هذا السؤال كل الاحسان إذ قال: «إن النبالة لم يكن لها داعية يدعو الناس إليها بسيته الكاملة وهديه العالي، ولم يكن له ساحر يدعو مؤيداً بعمل يصدقه فتهوى إليه أفطدة الناس، وتماخ إليه أبصارهم، وكون لم من الدعاء أسوة باستانون بها وقدرة يكتدون بها».

وكلام طافور هذا بدل على أن النبالة لا ينجز وبعلو وينشر إلا بسيرة النبي الذي يبحث به وما عرفه الناس عنه في شنوه حياته، وفي أخلاقه وأعماله. وبالمثل أن الجنس الإنساني يحتاج أشد الحاجة في بلوغه الكمال وسلوكي سبيل الرشاد إلى هداه ودعاه طهرت حياتهم، وزكتم نفسهم وصفت قلوبهم من رصاف الذنب وشبهات الأشجار، وكون سيرهم كاملة في كل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية، ولم يتحقق ذلك إلا في أنبياء الله صلوات الله عليهم وسلمه.
الحاضرَة إِلَّا ثانِيَة
في أَن سِيرة مَحَل مَنْصِلٍ أَوْ ذِي اثْنَىَةٍ مَنْصِلٍ، وهم وهما

سادتي، هذا اليوم هو اليوم الثاني لفضيلتنا هذه. وليكن ما سل في
اليوم الأول على ذكر منكم. وخلاصة ما ذكرت أمس أن ظواهر الآيام
المقبلة لا تنغلي إلا ينور من مفتي من طوائف المصلحين الذين أحسوا إلى
الآنسانية أي إحسان، وهم جميعا علينا الشكر الجميل، وشخص منهم
الأنبياء، فأحسوا ما سدور لهم من الجميل ما لم تسعد طائفة من
المصلحين، ففي علينا أن نضاعف الشكر لهم ونعترف بمجهودهم
واحسنهم، إذ أن كل واحد منهم قد قدم لأماته من سيرته الطاهرة وخلقه
العظيم وهديه العالي ما كانت به الأسوة الكاملة التي لا تتأثى من غيره.
فمنهم من صبر على الزوايا والتوابع والآلام أعظم صبر وأكمله، فكان
أسوة للصابرين في الوضاء والشدة. ومن سيرة بعضهم خلق الأيار،
فكان إيثار، مثلًا لأماته. ومنهم من اعتناء مرضاة الله لمدَّما نفسه قرباناً
واضحية، فكان مثل الاعظم لأماته في إيثار مرضاة الله حتى على بقاء
مهجته وحفظ حياته.

لقد ظهر للناس في سيرة الذين حملوا رسالات الله تبليغهم عقيدة
التوحيد الالهي ما كان موضع العجب من العزيمة والصميمة والتسليم لأمر
الله والعفة عن المهيات والزهد في زهرة الحياة الدنيا، وما كان ولا يزال
ماثلاً أعلى في هذه الفضائل العظيمة، ومحترماً للمصلحين في ظواهر الحياة،
وكم من ظلمة في الحياة قد ضعف بها من ضل ثم أتي على البشر زمان كان
فيه باشاد الحاجة إلى الهادي الكامل بضي، له الطريق كله يقوله وعمله.
ويجعل الفدوى - دجي العقائد والأخلاق والأخلاق - بنور تعاليمه وفسوء
سيرته وجمال خلقه وكيال نفسه، فتكون حياته نماساً بأيدي الناس،
فمن أقتبس منه في بينه سار في ظلالات الحياة آمناً مطمئناً لا يخاف الزلة ولا
يغشي العتة حتى يبلغ غايته وإن ذلك المادي الأعظم هو آخر الأهداء
وجاتهم النبي الذي لم يرسل بعده رسول ولن يرسل (يا أيها النبي إنّا
ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذننا وسراجاً منيراً)
الحجاب : 46 – 47 .

ان عمداً شهد في هذا العالم تعليم الله وعبادته. وبشر
الصالحين بالنجاح والفلاح، فهو مبشر. وقد نادي الغافلين وأسمع
الصم وحذرك المذنبين عاقبة ذنوبيهم وأنذر المشركين على الهلاك وأيضًا
النائمين، فهو مبشر. وقد دعا الله إلى الله من ضل عن سبيله، فهو داعٍ
وان هو إلا نور يستضاء به في يوم القيامة، وبراس يستمار باشتراكه في
شاعب الحياة الملوية فتكشف به الأظلال المتكامكة، فهو السراج المثير
إلى الأبد. نعم، ان جميع الأحياني كانوا شهداء ودعاء ومبشيرين
ومذرين. بيد أن هذه الصفات لم تكن سواسي في جميع الرسل، بل
كان بعضها في بعضهم أظهر من أخواتها، فكان يعقول، وساحق
وإنها عجز عليهم السلام قد غلبت عليهم صفة الشهادة وكانوا شهداء
الحق. ولعبت على إبراهيم وعيسى صفة التبشير فكانا مبشرين. ومن
ال애دياء من غلب عليهم وصف الانذار لمن خالف الحق وحجد، فكانوا
منذرين كنوح وموسى وهود وشعبة. ومنه من غلب عليه صفة الدعوة
إلى الحق وأتمنى بها أكثرها امتاز بسائر النعوت الأخرى ك يوسف وبطوس
عليهم الصلاة والسلام جميعاً. وأما من كان جامعاً لهذه الصفات كلها
واتصف بها جميعاً فكان مبشر ونذيراً وداعياً إلى الله بإذننا وسراجاً منيراً
وكانت حياته ملأى بهذه النزوع والشعور وسيرته متميزة بهذه الخصال والخلال، فهو النبي الجامع محمد ﷺ لأنه بعث ليختتم الله به النبيين والنبوة، فأعطى الرسالة الأخيرة ليبلغها إلى البشر كافة، فجعلershريعة الكاملة التي لا يحتاج البشر معها إلى غيرها، ولم تنزول من السماء إلى الأرض شريعة على قلب بشر بعد هذه الرسالة. لقد حظيت التعاليم المحمدية بالخلود واختصت بالبقاء والدوام إلى يوم القيامة فكانت نفس محمد ﷺ جامعة جميع الأخلاق العالية والممارسات المبينة، وقد بعث ليثم مكارم الأخلاق.

الخواصي، أنا لا أقول ما أقول جزافاً وإدعاء مني لأجل عقيدة لي خاصة اعتقدها، وإنما هي حقيقة يشهد لها التاريخ وقائدها البراهين والدليل ولا يشهر مسيرة التي يتحق لصاحبها أن يتقدم الناس من حياته أسوة، حسنة ومتلا أعلا، يشترط لها قبل كل شيء أن تكون سيرة وتاريخية، أما السيرة القائمة على أساطير وأحاديث خرافية لا تدعمها الروايات المحققة بصحتها، فإن من طبيعة الإنسان أن لا يتأثر بما يجسده له من سيرة شخصية مفترضة لا يعرف لها التاريخ أصلاً صحيحاً، وإنما اختلف لها المناقش أناس احتسا الظن بها فرفعوا مكانها، وقد يجذدون بين هذه المناقش بعض الناس أبداً قصيرة حين يعرضونها عليهم في حلاً قشية من الألفاظ وثوب قشبة من العبادات، ثم لا تثبت الحقيقة أن تظهر من وراء غلال الآوهام فيعرض الناس عنها إعراضاً لأنها قامت على غير أساس من التاريخ، وإنما بد لكل سيرة من سير الكمال الإنساني يدقى الناس إلى الاقتباس بها واتخاذها أسوة أن يدعمها التاريخ وشيخها المحققون، وهذا نرى النفس البشرية لا تتأثر بالأساطير والأوهام كثيرة بحوادث التاريخ والروايات القائمة على التفسيرات الأولي، وذلك لأن سيرة الرجل
العظمى الكامل لا تعرض على الناس ليُشغَّلوها بها أوقات فراغهم ويرجعوا بها على أنفسهم في حالة الليل أو الضجر، بل تعرض عليهم ليدعوا إلى الاقتداء بها واتخاذها نبراساً لحياتهم يسرون على ضوئها في ظلالات الحياة لاتحتم العقبات، وكم من عقبة تعترض الإنسان في حياته فيحتاج إلى من يسير أمامه لياخذ بيده في اجتيازها، فإن لم تكون الشخصية تاريخية كيف يدعى الناس إلى الاقتداء بها وهي في الواقع مفترضة والناقد التي تذكر عنها من الأساطير والأوهام؟

نحن محترم المسلمين فيمن برسالات الله كلها وبجميع الرسل وعظمتهم بلاء استثناء مع علمنا بأنهم متفاضلون (تتلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) (البركة 253)، وإن الدوام والبقاء لم يتح الا لسيرة آخر المسلمين وخيرهم النبي محمد ﷺ، أما غيره من الأنبياء فلم تتم النبوة بأحد منهم، ولم تكون سيرتهم خالدة، بل ولا معفوفة، وقد أرسلوا إلى إنجهم خاصة، والي زمن خاص ياجل مسمى، فكانت حياتهم أسوة للذين أرسلوا البهم في عهدهم، ثم نسيت تلك السيرة ونحتت بكر الليالي وموارر الأشام، وقد جاء في رواية إسلامية أن الله أرسل من الأنبياء عشرين القا ونائمة الف.

أنه ما من بلد ولا أمة قبل مبعث محمد ﷺ الراهب فيهم نبي، وإذا كان عدد الأنبياء على ما في تلك الرواية الإسلامية عشرين القا ونائمة الف فحكم نبيا منهم نعرف اسمه؟ والذين نعرف اسمهم هل نعرف من سيرتهم كثيراً أو قليلاً؟

إن من أقدم الأيام عهد هنالك الهند كا يدعون، وهم ليسوا مسلمين، وفي تاريخهم مئات من العظاء والناجين، فهل يؤيد التاريخ سيرة أحد منهم؟ إن التاريخ لا يستطيع ذلك، وكثير منهم لا يعرف.
الناس من شئون حياتهم وحقائق أحوالهم إلا أشياءهم، وهم لا يهتفون
في كتب التاريخ بمكانة، وإنما تعد سيرتهم من علم الأساطير وخرافات
الوثنية. ومن أحياتهم تاريخًا وأحسنتهم سمعة رجال وuforiaها، ورمايناه
أبيطالا، ومع ذلك فإن سيرة أولئك الرجال لا تعد من التاريخ، بل لا
 يعرف التاريخ زمانهم، فضلاً عن أن تتعين في الزمان قرونهم أو تعرف
من قرونهم سنوات حياتهم.

لقد درس بعض علماء أوروبا تاريخ الهند القديم درساً متوالياً،
وقياسوا له أفيقًا، وذهبوا في ذلك شوطاً بعيداً، فصاروا يعينون عهد
عذراء الهنداد وأبطالهم تعيش بروعي علية الهنداد وفضلاًهم أنه يعذم
ورجم بالغيب، وأكثر المحققين من علماء أوروبا لا يدعون ذلك من
الاريخ، بل لا يعرفون بأنه قد رصدوا في العالم يوماً ما أوكان لما
حيك حولهم من أساطير شبه وجود. وإن زردهت صاحبة الموجبة لا
يزال بعضها عند كثير من أتباعه، لكن التاريخ لم يكشف الحجاب عن
وجوده الحقيقي بعد، فهو لا يزال سراً غامضاً من أسرار التاريخ حتى
شك بعض المؤرخين من الأمريكان والآوروبين في نفس وجوده، أما
المستشرقون الذين يعرفون بوجوده التاريخي فإنهم يبتكون بعض شئون
حياته بينن متباينة وأوهام متباعدة إثباتها لا يروي غلبة ولا يشفي غلٍّ،
فكيف يستطيع أحد أن يطمئن إلى آتنا حياة زردهت سوة لنفسه في
الحياة ما دام الشك وتضارب الآراء يعمران حول زمانه ويلده ونسبة
وأسرته وشريعته ودعوته وكتابه ولغته واهتمامه وماكان حضوره، وإبراهيم
عن ذلك أوهام وأفيسة وطنون لا يغفل من الحق شيئاً. ومع ذلك فإن
المجوس ليس لهم سبيل المعرفة هذه الأمور المرتبطة فيها إلا ما يزعمه
بعض المستشرقين والباحثين من أهل أمريكا وأوروبا، وإن علم المجوس

43
الأصلي بنيهم وحياته وسيرته لا يعدوا ما في الشاهدات للفروسي، ومن ذا الذي يعبرهم فيما يعتذر من أن كتبهم الدينية قد ذُهبت بها حروبهم مع اليونانين وأن أعداءهم أبادوها، ونحن ليس من فرسنا إلا أن نثبت أنها غير موجودة ولا معلومة، ولا يهمنا كيفية اعتقدهمها ورناها، وهذا يدل Kern على أن حياة رذشت لم تلب حظ الدوام والبقاء حتى أنك أمثال شخصية رذشت وجودة التاريخي، Dermalites وودين (بودا) أقدم الاديان وأوسعها نطاقا وأكثرها انتشارا في سالف الأيام، وكان له سلطان على الهند والصين وأسيا الوسطى وأفغانستان وتركمان ولا يزال إلى الآن في سياح والصين واليابان وتبث، ونا تتعلق ظله وعفي أثره في الهند على أبيدي الظاهرة، وزال عن آسيا الوسطى بلغة الإسلام، لكنه ما برح موجودا في آسيا القصوى تحت ظل دولة قوية ذات مدنية وثقافة ناضرة، وهي اليابان التي لم تتخض بعد لأجنبيا، ولم يفتح بلادها فاتحا.

ولسائل أن يسأل: هل يقيم التاريخ ونزا لوجود بودا؟ وهل يقدر مؤرخ على أن يعرض للناس صورة حقيقية لدارته؟ وهل يستطيع كاتب أن يصف ظروفة وأحواله التي كان عليها في حياته وصفا كاملا لا يغادر شيئا من تحديد زمن ميلاده، ورنه وأصول دينه كما يدأ هو اليه ومبادئه دعواه وأهدافه؟ الذي تعلم أنه ذلك كله مجهول عن علم الناس بظلالات كثيفة متراكمة، وكل ما أمكن للباحثين أنهم حاولوا تعميم زمن وجوده بحوادث راجوات بلاد (مكده) ولم يكن لهم سبيل سوى ذلك، وتسنى ملؤره أن يقارن زمن هؤلاء الرجوات بملوك اليونان الذين كانت بينهم وبين راجوات مكده روابط.

(1) أُلغيت هذه المحاكرة لما كانت اليابان في أوج سياداتها قبل الحرب العالمية الثانية
وأما دين الصين فلم نعلم عنه إلا قليلاً بطرق الحداثة، ولم يصل العلم إلى شيء يثبت عنه (كونفوشيوس) صاحب النحلة المعروفة في الصين نعلم عنه أقل مما نعلم عن بهذا، مع أن التفسير لطريقة الدينية يبلغ عددهم مئات الملابس.

والإمام السامعي بعث فيها مئات من الرسائل، لكن التاريخ لم يحفظ لنا عنهم إلا أشياء بعضهم، ولا نعلم عن هؤلاء الرسائل من نوح وإبراهيم وهود ومصباح وإسحاق ويعقوب وزكريا ويهود عليهم السلام، إلا بعض سيرهم وقليل من صفحات حياتهم، والذي نعلم من ذلك لا يكاد يروي غلة أو يشفي علة. حياة العظاء هنا نواحي أطراف، وتتنقلها شعاب وعقبات في أطوار وأدوار. وما دام النبي غاب عن علمنا من ذلك أكثر بكثير من الذي عرفنا، فكيف ينبغي لنا شاء أن يتخذ من سيئتهم أسوة كاملة لحياته في جميع أطوارها وهو لم يبلغه من سيرهم إلا قليل؟

إن أسفار اليهود التي تضمنت سير هؤلاء اليهود قد خالل المحققين من العلماء ضروب من الشك في كل سفر من هذه الأسفار. على أننا إذا ضربنا صفحاً من هذه الشكوك نرى سير هؤلاء اليهود في تلك الأسفار ناقصة. مثل ذلك أحوال موسى المذكورة في أسفار التوراة، إن ملغي دائرة المعارف البريطانية أنفسهم توصلوا إلى تحقيق أن هذه الأسفار دونت رجعت بعد موسى عليه السلام بقرن كثيرة، زد على ذلك أن التوراة الموجودة فيها لكل حادثة روايات مختلفة وحكايات متناقضة كي حقق ذلك بعض علماء الأديان، وربما دفع بعض هذه الروايات بعضها نتجت أولاها باطرها. ونحن نواجه المرجع المتناقض في سير الرجال والحواش جمعاً، ومن أراد أن يزداد علماء بهذا الموضوع قالوا رجع ماماً (بابيل) في الطبيعة الأخيرة من دائرة المعارف البريطانية. وإذا كان
الأمر كذلك فبأي منزلة من التاريخ نزل حوادث العالم من آدم إلى موسى عليه السلام، وكيف نقدر قدر التاريخ الصحيحة النابض في هذه الأمور؟

وأحوال عيسى عليه السلام وسيرته مكتوبة في الأناجيل، والأنجيل كلاً تعلموه كثيراً، غير أن أكثرهم المسيحيين اقتصرت على أربعة أناجيل، أما أناجيل الطفلة (و أناجيل برنابا) وغيرهما فلا يعتبرونها. ومع ذلك فإن الأناجيل الإربعة التي اقتصرنا عليها لم يلق أحد من الذين جمعها سيدنا عيسى عليه السلام، وإذا تساءلنا: عمن رواها هذه الأناجيل؟ نجد التاريخ يجل ذلك كل الجهل. ويزداد الروء ما إذا توصل إلى حقيقة أخرى وهي أن الرجال الأربعة النسوية لله هذه الأناجيل الإربعة لا يمكن القطع بينهم بذلك هم الذين جمعوها في الواقع. فما كان الأشخاص النسوية لله هذه الأناجيل لا يهتم التاريخ إلى صدورها عنهم كيف يطمئن إلى صحتها؟

وراء الطين يدنا لا نعلم يكون اللقب الذي كتبها هؤلاء الأناجيل في الأصل، وفي أي زمن كتبها، فقد اختفت مفروض وانجيل الاختلافاً شديداً في تعيين زمن جمعها وتدوينها، فمن قال أنها كتبته سنة 60 للميلاد، ومن قال أنما جمعها بعد ذلك التاريخ بكثير. وذهب بعض نقده عليهم الأشخاص مذهبًا بعيدًا مستبرباً في أمر المسيح ولاهته وفاته ودفن التثليث فأنكر ذلك الناقد الأمريكي وجود المسيح عليه السلام قائلاً أن هذا كله من الأساطير. وإنما ذكره عنه نفسه بأنها هي بقية من نفائبه وثنيته الروم واليونان، إذ أن تلك الأمة كانت تدين مثل هذه الأفكار والمعتقدات في آلهتهم وأبطالهم القديم. وقد استمر الجدل الشهير حول وجود عيسى عليه السلام في مجلة (روبن كورت) التي تطبع في شيكاغو، ودار
البحث عنها إذا كان للسيح وجود تاريخي أم هو ما ابتدعته أوهام القدماء من الأمم السائقة واحتماله اختلافاً. أليس كل هذا ما يهم الأمر فيا يتعلق بعرض سيرة المسيح عليه السلام وموقف التاريخ من ذلك؟ ونعود فنقول: كيف يمكن اتخاذ الاسوة الكاملة التي تطمئن لها القلوب أن لم تكن جميع نواحي الحياة في الشخصية المقدسة بها معلومة، وليس فيها ما يجبه الناس وما هو مكتوم عليهم وراء حجب التاريخ. ان المقدسي به والذي يتخذ الناس من حياته إسوة لا بد أن تكون حياته كلها واضحة صافية كمآربة وليها كبيارها لتتبين لناس المال العليا التي يجذبونها في حياتهم بجميع اطوارها ومناحيها.

إذا نظرنا إلى حياة أصحاب النحل ودعاة الملل ونواحي البشر من الابناء والرسول نظر النقاد البصير، وتأملنا هديتهم وسيرهم، لم نجد فيهم تقدم ذكرهم من يسمك أن يتخذ من حياته مثل أعلى للمجاهدة الإنسانية الآية محمد عليه سلام، ووصفه وسرته، فهو الذي ارسله الله ليكون فيه إسوة لبني آدم في جميع نواحى حياتهم وأطوارها وأحوالها. وقد سبق لنا القول بأنه ليس في منائف الالئاف من المصلحين والنبيين من يشهد لهم التاريخ إلا ثلاثة أو أربعة، ومع ذلك فإن التاريخ لا يعرف من تفاصيل أحوالهم وشرون حياتهم ودعاوى سيرهم إلا نزوا يسرها وغير كامل، كيف ينسى للاسان أن يتخذ من ذلك إسوة حياته ذات النواحي المختلفة؟

أليس من المستغرب أن نرى الذي يبلغ عدد المتبنين الرب يربع سكان المعمورة ولا يخفظ التاريخ من سيرته إلا عدة أقاصيص وحكايات لا أنها نتمناه بمقاييس التاريخ لنتخذ لأنفسنا قدوة من حياته وسيرته لجرنا من ذلك خلاصين. إن إحدى تلك الأقاصيص تثبت أن الله في زمن غير معلوم في واد من أودية (نيبال) في بيت راحه، فكان ذكيا هذا طبيعة
متوهجة وله نفس متنبيرة وقلب حساس. فلم يبلغ أشده وتروج وصار أبا، أتفق أن رأي جماعة من الفقراء والبؤساء فائر في منظورهم المؤلم وأثار في نفسه كامن الرحمة والشفقة، فخرج من وطنه هائلا على وجهه حتى بلغ (بنارس) ثم (كيا) و(بالي بشر) وهي (بنسه) ثم (رايسكير) وهم (بشار) وناه فيما بين ذلك من جبال وغابات ومدن وقرى، ولم يزل هائلا على وجهه متجولا بين هذه البقايا النائية حتى بلغ في تجواله ال (كيا) فنائلته له الحقيقة المحجوبة وهو تقد شجرة من أشجار ببل فرأى نور الحق ساطعا، وأدعي أن أدرك سر الحقية، فخرج يدعو الناس إلى دينه (بنارس) و(بشار) ثم مضى لسبيله، هذه جملة ما نعلم من سيرة بذا وحياته.

وأكدت بعد واحدا من الذين أسموا بنيان الدين وبدأوا بالدعوة إليه، وقد أسألنا أن حياته مجهولة كذلك، ولا يتبعت أثرها إلا أهل القياس والاستنتاج من علماء التاريخ. وناعنا أن نقول شيئا من عند نفس في سيرة زرتشت، بل أعرض عليك نبذة مما كتب عنه في دائرة المصادر البريطانية للقرن العشرين، وهي تعد من أوثق المصادر في التاريخ.

إن زرتشت الذي عرفناه من أبابا شعرية في (كانا) غير زرتشت الذي نراه في (وسطا) الجديدة، فإليه موصوف في المصدر الأول مباين للمذكر في المصدر الثاني ومضاد له. وعلى كل فان الاستطورة التي تشمل على الحياة المستغرقة (وقد نقل الكتاب شوشا في سيرته من كانا) لا تدلون على حياة زرتشت دلالة واضحة، ولا تهدينا السبيل إلى معرفته معرفة تاريخية، بسبب ما نجد من غموض لا ندرك منه.

أو أحد الكتب يسرد الصنفات التي وضعت في هذا العصر عن حياة زرتشت وقال: إن مولده لم يعين بعد، والشهادات على ذلك ينقض...
بعضها بعضاً، والمهم الذي كان فيه زرتشت مجهول كذلك، فالزرق الزمن من اليونان اختلفوا عليه، لد عناء، التأليف عالمية
عصرنا في عصره، وانتهى كاتب ترجمته في دائرة المعارف البريطانية
القول بأننا لا نعلم زمن زرتشت ألها ونجهل جهله تاماً.

وخلاصة ما تعلمته عن حياة زرتشت أنه ود في مقاطعة آذربيجان،
ونشر دعوته في بلغ وأطرافها، وان الملك هشتاسيب، دخل في دينه، ثم
ظهرت على يد معجزات، وقد تزوج وولد له أولاد ثم توفي. فهل يظن
أحد إن هذه المعلومات عن حياة رجل صاحب دعوة وكيف لا يتخذ من
حياته أسوة، وأن يقتدي به في جميع مراحل الحياة فيكون للناس سراجاً
يستطيعون بنوره في تصرفاتهم وسلوكهم؟

ونين أكثر الابناء ذكرًا وأوضحهم حياة موسى عليه السلام. ترى مما ذكر
تقول أسفار التوراة الخمسة عن حياته؟ فذلك ما نستعرضه إلا أن نقد لما
فيه من روايات ضعيفة، وغير متبقيين الآن لذكر صحتها أو سقمها,
بل نوردها مفترضين صحتها;

لا تجد في هذه الأسفار الخمسة من التوراة عن حياة موسى إلا أنه بعد
ولادته تربى في قصر فرعون، ولما بلغ مبلغ الرجال نصر فرعون بني إسرائيل
على ظلم فرعون مرة أو مرتين، ثم هرب من مصر إلى مدين من بلد
العرب ونزوج فيها وأقام هناك برحة من الزمن، ثم رجع منها إلى مصر,
وبيها هو في طريقه إليها أنها أصبحت من ربه، وبعث إلى قومه نبياً وداعياً
ثم لقي فرعون وأوراء آيات بينات، واستذنده في الخروج بني إسرائيل من
مصر فلم يذن له بذلك، فخرج بهم على حين غفلة من فرعون، ووجد
في البحر طريقة بإذن الله، وتبى فرعون فأدركه الغرق. أما موسى فقضى
بقومه إلى بلاد العرب، ودخل بهم أرض الشام، وعذب من كانوا على
الشرك من أهلها وما زال يقاتل ويجاهذ إله أن هرم ويلغ من العمر عنياً
وأزمعه الكبير، فجاءه الموت وهو على ربوة، وقد احتتم سفر النابية هذه
الفقرات (١٣٤ : ٥ - ١٠) :

و إن عبد الله موسى مات باذن الله في أرض موسى، ودعته الله في الجواء
في أرض موسى مقابل بيت فضور، ولم يعرف انسان قبره إلى هذا
الليوم.. وكان موسى ابن عشرين ومائة سنة حين جاءه الموت... ولم
يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى ٤.

هذه الفقرات نقلناها من سفر النابية وهو السفر الخامس من النص نا
الموصى إلى موسى عليه السلام، ولا يخفى على ناظر هذا السفر أن
الكلمات التي نقلناها لم ينطق بها موسى عليه السلام، وهذا يدل على أن
هذا السفر كله، أو جزءه الأخير على الأقل، ليس لموسى، وإن الدنيا
تغيب كاتب هذه السيرة لموسى.

وأما يلتفت نظر القارئ حول القائل في هذا السفر؟ ولم يعرف انسان
تبره ( أي يبر موسى عليه السلام ) إلى اليوم، وقوله: "لم يقم بعد نبي في
إسرائيل مثل موسى "، إن هنالك الفقرتين نقلناها: على أن هذا النجذب
الأخير من سيرة موسى عليه السلام قد أضيف إلى كتاب حياته بعد اتم
 طويلة ذهبت فيها بدأ النهار بآثار هذا الزوار العظيم والشهد الكبير حتى
عليه عن الأجيال التالية ونسبة، بل أضيف هذا الجزء من سيرة
موسى إلى سفر النابية بعد زمان طويل كان يرجى فيه أن يقوم في إسرائيل
نبي يسند نزاع موسي، فنون كاتب السفر بأنه لم يقم بعد مثله.
إن موسى عليه السلام عمر طويل، وقد نسأ الله في أجله حتى عاش
عشرين ومائة سنة، فهل الذي نعرفه عن حياته الطويلة، وبؤا الأحلام
شغله فراع حياته المباركة، وما هي النواحي التي علمها واضحة مفصلة

٥٠
من سيرته الحافلة بكثير مما كان ينبغي أن يتعلم لتحسن به الأمور؟ إننا لا نعلم إلا مولده ونشأته وتهجه وزواجه وعهده ثم نقاله المشركين إلى أن لقياهما مرة أخرى وهو يرتضى من الكثير وقد أدركه الله وبلغ من العمر عشرين وثمانية سنة. وهل يغنينا ذكر ما يتعلق بحياته الخاصة بما يجري بكل إنسان في حياته وبيته العادي؟ إن الأمور التي كان يختبئ البشر إلى معرفتها من حياة موسي الإجعية هي الأخلاق والعادات والهدى، وكل ذلك لا نجده في سيرته. أما ذكر أسياء الرجال وأسبابهم وأماكنهم وبلادهم وعددهم فهما لا يعبئنا عليه في مقتام القدوة والإمام والهدية، مع أنه هو الذي نراه مفصلاً في النوراً. وكذلك نرى فيها شيئاً كثيراً من القوانين والمبادئ والأصول. لكن هذه الأمور التي سبقتها بها تمكن أهميتها عند علماء الجغرافيا والأساس والحقوق فأننا لا نحن نحن من جهة الأمور والقدرة في الحياة ولا تسد الخلل الواقع في سيرة موسي عليه السلام من هذه الناحية التي لا يكمل بيانها إلا بذكر أخلاقه وشئون حياته وأحواله في معاشرته، وهو ما لا بد منه ليتخذه البشر مثالاً يعمل به.

ومن أقرب الأشياء عهدنا بالإسلام على السماح الذي يزيد عدد المتسببين إليه بحسب إحصاءات الأوربين على عدد المتسببين في الديانات الأخرى. وإن المرأ ليستغرب حين يعلم أن شؤون حياته وأحواله معيشته أخفى من غيره وأغصض، وقد أصدر الزمان عليها حجاباً أكثف مما نراه في حياة الظلماء الآخرين من الرسل الذي يعدون من أصحاب الأديان المشهورة. وإن أوربا المسيحية قد حملها حافز البحث والكشف على أن تستدير بطرش الصحاري وقليل الجبال وأطراف الصخور والأطلال الدارمة ومذ Clan الآثار ومجالس الحروث التي مرت عليها الأحقاب الطويلة. فكتب المستشرقون التاريخ القديم لبابل وأشور والعرب والساحم ومصر والفرقة والهند وتركستان وأخذوا يلائمون بين الأحداث القديمة المجهولة الزمن ويبشروها على الناس واضحة نفية.
نفقهم مرتبطا بعضها البعض، وطفقوا يعثرون على الصفحات المفقودة من كتاب التاريخ القديم للبشر، إلا أنهم قد أعبروا البحث والفحص فلم يجدوا الصفحات المفقودة عن حياة نبيهم. وقد استغرق العلامة ريان جهد، وليص من العناء والنصب، بلما علما ليفق على حياة عيسى كاملة نهائياً. ومع ذلك، فإن نشأة عيسى عليه السلام وأحواله لم تزال سراً مكشوفاً في قصر الزمان لم يبح به نسائمه بعد.

إن عيسى عليه السلام عاش في هذه الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة كي يروي الأنجيل، والانجيل الموجودة في الايدي - على ما في رواياتها من ضعف وليس - مقصورة على ذكر أحواله لمدة ثلاث سنوات من آواخر حياته وحسب فإنهم لا يعلمون عن حياته علم اليقين إلا أنه ولد، وجمعه في مصر، وأراؤه الله آية أو آيتين في صباه، ثم غاب عن الناس وظهرهم وهو في الثلاثين من عمره، فنراء ناساً يعذب الملايين وصبادي السمك على الشواطئ وفي بعض البوابات، قضاء جمعية من حواريه وقد جادل اليهود وناظرهم في بعض الأحيان، لا أن جمل اليهود الحكام الروميين على القبض عليه ورفع أمره إلى محكمة براسها قاض من الروم فقضى عليه بالصلب. وبعد ثلاثة أيام وجد قبره خالياً من جسد فيه السلام.

ابن قضى عيسى عليه السلام الثلاثين أو الخمس والعشرين سنة على الأقل من حياته، وفيما قضاها، رأي الأفعال شكل هذا الفراش الواحد من عمره، وإن الدنيا لا تعلم عن ذلك شيئاً لين تعلم. والسنوات الثلاث الأخيرة ماذا نجد فيها؟ آيات ومعجزات معدودات، وبعض العظات، ثم قال إنه صلب فانطفأ صفيحة حياته.

من الشروط المحتملة التي لا بد منها لكل من يرجى أن تكون سيرته وحداته أسرة للبشر: الكيان، والسام، والجمهور، والمراد بالكال، والسام، والجمع أن الظروف الإنسانية المتفرقة والطبقات البشرية المختلفة تحتاج إلى أمتلاك كثيرة ومتنوعة تتخذا منها لها إجاباتها الاجتماعية. وكذلك الأفراد...
في المجتمع البشري هم في حاجة إلى مساعدة على يد النجاحي حياتهم السلوكية. تتسم العلاقات بين الأفراد والطبيعة في داخل الأسرة وخارجها. لذلك ينبغي أن تكون تلك المثل كله واضحًا في حياة الإنسان العظيم الذي يتخذه مثالًا في الحياة. فإذا صحت هذه النظرية، وهي صحيحة، لم نجد في سالف الأيام قدوة واضحة في الحياة. بل فردًا، عمومًا، الناس عليه وعلى السلام. والدين هو طاعة المخلوق للخالق، وبالتالي يتعلم المرء ما فرضه الخالق على خلقه من فرائض وما أوجب من واجبات، فهو من يحققها بالعمل. وإذا أردنا أن نعبر عن الدين بعبارة أخرى، فإن هو القيام بحقائق الله وحقوق خلقه، إذن فجب على كل متبوع له خلقه أن يعتبر هذه الحقوق والفرضيات والواجبات من سيرة نبيه والآخرون التي كان عليها صاحب ملته ثم يقيد بها ويفرغ حياته في قلبه. وإذا نظرنا إلى سير الآتيين هذه النظرية وحاولنا معرفة حقوق الله وحقوق خلقه كاملة لنجمة من سبعتين، لم نجد في ذلك إلا في سيرة محمد عليه السلام. والديانات إذا تأملناها يبدو لنا أنها على نوعين: نوع لا نجد فيه ذكر الله تعالى البينة، ومن هذا النوع دين بوزى ودين الصين، فليس فيها ذكر الله تعالى ولا صفاته. وليس فيها فرائض وواجبات على الإنسان، ومن باب أولى ليس فيها ذكر للحب في الله وترجمة الأخلاق له، فلذا يبحث فيها عن هذه الأمور لا يخرج من بحثه شيء.

ونوع آخر ورد فيه ذكر الله عز وجل، وسلموا فيه يوجد على وجه ما، وأمنوا به إمامًا بالحالة، لكنه لا ترى في سير أتباعه أو في تعاليم دعاه، وهذا يعرف منه الإنسان كيف يعتقد به، وكيف يؤمن عليه، ويأتي الأوصاف يصفه، وكيف كان هؤلاء يعتقدون بله والي أي حد تأثروا بذلك العقائد في أفعالهم وأخلاقهم، وفي أي صورة من صور الأفعال. تجعل عنايتهم وبرزت للوجود كل هذا لا يرى له أثراً في سيره ولا.
قرأ التوراة واستقصى النظر في فصولها وفقراتها وتدبر ذلك ما استطعت فاتئه لنتجد فيها إلا توحيد الله وشراط القبران وشيئاً من الاحكام، أما إذا اردت أن تعرف من الأسفار الخمسة التي تتألف منها التوراة شيئاً عيا كان في قلب موسى عليه السلام من الحب لله والشوق للائقه، وكيف كان يطبع الله ويعده، وكيف كان تولسه على الله ويبقى به، وكم أثرت الصفات الإلهية على قلبه، فاتئه لا تجد فيها شيئا من ذلك. ولو كانت الشريعة الموسمية وأحكامها عامة للبشر دائمة بدءام الدهر لكان راجياً على أتباع موسى عليه السلام أن يقيدوه بالحفظ والكتابة وأن يصونوها من عيب النهر بها، لكن الله عز وجل لم يرد أن تكون شريعته عامة خائدة لم يتح لها هذه العناية في الحفظ والتخليد.

والأنجيل مرات صافحة تجلت فيها حياة عيسى عليه السلام، ولكننا نجد فيه أن الله ( تعالى عليها يقول الظالون علوا كبيرا) هو ابن عيسى عليه السلام. أما كيف كانت رابطة الأبوة بين هذا الولد المقدس ووالده، فإن الولد يخبرنا بأن أيها كان يحب جياماً، لكننا لم نعلم إلى أي حد بلغ حب الولد لوالده، وكيف كنت طاعة الإبن لابنه، وله كان يركع له ويستجد في النهار أو في الليل، وله سلا شيخاً غير خير زوبه، وله دعاه داعية في ليلة من الليالي قبل الليلة التي اعتقل في نهارها؟ إننا لا نعلم هذا ولا ذلك.

ولو أن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام المذكورة في الأنجيل تحتوي على بيان العلاقة بين المخلوق وخلقه وتهدي المرء إلى ذلك هدایة تامة لما احتاج أول ملوك المسيحية أن يعقد جملها شهدته ثلاثينين حبر من أحيار الكنيسة.

بعد ثلاثة قرون ونصف قرن من المسيح، لبنتوا الحكم في أمر المسيحية، ومع ذلك بقي أمر سيدنا عيسى عليه السلام سراً من أسرار الزمان، وسبقت سراً في ضمير الزمان لا يعرف عنه لسان البحث.

هذا فيما يتعلق بحقوق الله، أما حقوق الحق فلا تراها منفصلة.
أحكامها، عكبة أصولها وأركانها، في سيرة أحد من الأنياب وتعليمهم، غير محمد، 
أما بودا فانه من هجر أهله وعهله إلى الصحاري وفُتُبهم ولم ير زيد بر فيه مرة أخرى، وترك خلافه وأحباه، فخفق عن كهبتة أسماء الحكم، وارضى الموت آخر وسيلة له إلى النجاة فكان الاجل المحتوم الفضية القصوى للحياة البشرية عنده، فمن هذا الذي يرضى بأن يتخذ من حياة بودا أسوة في هذه الدنيا التي لا بقاء لها ولا عمران إلا بالحياة الاجتماعية والروابط العمرانية والأواص الأنسانية، ولا بد فيها من راع يرعى رعيته، وصديق يلفن صديقه، ووالد يشفق على ولده، ومتمم على فلذة كبدها، وهو في حياة بودا شيء من ذلك يكون به أسوة للجميع.
من رحبان الذين انقطعوا لللأخرة، في الأباء ذوي العيال وأصحاب الضياع والمزارع والمصانع والأموال؟ كلا ثم كلا، لم تكن سيرة بودا قط أسوة للهناة العائلي، ولا لأهل الصناعات والتجار، ولو اتبعت اتباع بودا قدره فهم من حياة بودا لما قامت لهم هذه الدول في الصين واليابان وبما وبيت وورما، ولا عمرت للتجارة في بلادهم سوق، ولا دبت الحياة في صناعتهم ومصانعهم، ولو اختر أهل تلك البلاد سيرة منهم سيرة لهم وسراوا عليها لاقتقر الأرض العمارية وتمتولى إلى الصحاري قاحلة، ولأصبحت المدن خرابا أو ارضا جرعا.
وأما مرسي عليه السلام فلا نعلم عن ح حياته حسب الأسفر الخصبة من التوراة، الا قتله وقيادته في الحرب وسانته فيها، أما النواحي الأخرى من حياته كالحقوق في أمور الدنيا والضرائب والواجبات فلا تبين بها بوضوح وجلاء، لذلك يتعذر على المرء أن يتخذ منها أسوة في أفعاله، ومن يحاول أن يفق على ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الزوج وزوجته، والولد والده، وشروط الصداقة بين الصديقين.
وأساليب المدنية بين الفريقين المتقاتلين وكيف ينق也希望 المؤسسة وفقه
بتفقهم، وكيف يتعامل البيتاء والفقهاء والمسلمين، فإن من يحاول معرفة 
ذلك من سيرة مومي عليه السلام فسوى أن صحية حياته قد خلت من 
ذكر هذه الأمور، مع أن مومي كان له زوجي وأوتو وأقارب، ولا يحب 
أن مومي كان يعيشهم إنسان مشابهًا فإن خير زوج لاهه وأفضل أخ 
أخوه وأوفي صديق لاصدقائه، والمستوى في ذلك كله مرغوب فيهما 
عمود آخرهما، لكن كتبهم التي استعرضت سيرته خالية من ذلك، 
والتاريخ لم يطرق سمعه شيء عن هذه الأبناء من حياة مومي ليحسمى 
لناس أن يتخذهن من أسماء في الحياة، 
وكان له جزء علي عليه السلام أم، والأنجيل يخبرنا بأنه كان له أخ وأخت 
بل إنه كان له والد أبًا كما تكون لعامة الأبناء آباء وأمهات، لكن قصة 
حياته لا تدالا على كيفية معاملته فيدوم وكيف كان يرتاحهم، مع أن 
ال الدنيا ممورة بالأخوة والخلان وذوي القربي، وسبقى حافلة بهم، وقد 
اعتنت الديانات بحقوق هؤلاء وأولئك وفرضت كثيرا من فرائضها 
المتعلقة بحقوق الأسرة والعائلة، وبحث على القيام بتلك الفرائض، 
إن عيسى عليه السلام عاش عيشة عائلة المحكومين العمالکين، فلا غرو إذا 
لم تجد في حياته مثالًا من واجبات الحاكم الغالب، ولم يكن له عليه 
السلام زوجة، لذلك لم يرى في حياته مثالًا لما ينبغي أن يتباهه الزوج 
والزوجة من واجبات وحقوق، خصوصاً وأن الذي بين الزوجين من 
الصلة أوش وله من الذين بين الأولاد وآبائهم كن جاء في سفر التكوين 
من التوراة!! أن هذه الدنيا معظم سكانها يعيشون الزواج والحاکمة 
فليس له في حياة عيسى عليه السلام مثل، وإن العالم الذي يحتاج سكانه 
في حياتهم إلى أسمة تامة ليعلموا كيف تكون ال الرابطة بين الزوج وزوجه، 

(1) لعل المؤلف يشير إلى ما جاء في سفر التكوين (1: 27 و 8: 19-19).
بين الصديق وأصدقائه، والأب وبيه والمقاتلة وأعدائه، والهندسة بين المتجاربين وكيف تعقد لا يستطيع أن يجد له أسوأ في حياة من لا يجد له الأمور ذكرًا في سيرته. ولو أن الناس في أياماً هذه أثرى الناس بحياة عيسي عليه السلام وأرادوا أن يعيشوا كا عاش خليط الدين وامتحال عمرانا خراباً ياباً ولأصبحت القرى مقابر تردد في انتقالها أصوات اليوم. أما الحضارة وتقدمها فسرعان ما يتحب الزوال ويجربها، وأوروبا المسيحية لن تبق بعد ذلك يوماً واحدًا.

أن الحياة المثالية لن تكون أسوأ للناس ما لم تكون أعالي صاحبها، الذي ينسى دينه ويدعو الناس إليه مثالاً وأمثالاً من يدعو، ولا يتطرق الشكل إلى الناس بأن ما يدعو له هو ما يعمل به. ومن المهن أن يدعو الداعي إلى فلسفة تُطلق بإعجاب الناس، واليك فكره يستحسنوا أو نظرية جديدة في الحياة تربة نم. وكل ذلك مما يقدر عليه كثير من الناس مثى شاءوا ولين شاءوا، أما الذي لا يستطيع ذاك فهو عمل الدعاء بما يدعون إليه وليس الافكار الصحيحة والنظريات الشاذات والأقوال الحسنة التي تجعل الإنسان أسانا كاملاً وقبول من حياته أسوة للناس، ومثلًا أعل في الحياة بل أعالي الداعي وأخلاته هي التي تجعله كذلك، ولولا ذلك لما كان هناك فرق بين الخير والشر، ولما تتميز المصلح عن غيره، ولامتلاك الدنيا بالرثاريين والمتفقهين الذين يقولون ما لا يفعلون.

وأخيراً ينبغي لنا توجيه السؤال إلى العالم اسمع: من هذا الذي تعم حياة أسوة للبشر، وفيها المثل الأعلى للبشر، من بين مثات الألوه من الرسل ولاتباع، وعظاء المصلحين من شرعوا للإنسانية دياناتها وسنا السن للناس؟

ناحب الله إن الله من كل قلبي ومن كل نفسه ومن كل فكرك، أحب اعداءك. من يحكم على خذلك الأليم فحول له الآخر أيضًا. من سخرك ميلاً فاذهب معه ميلين. من أراد أن ينحمسك ويأخذ ثوبك.
فاترك له الراية أيضاً، أذهب يبيع ملاكك وأعط الفقراء وأعف عن
احتك سبعين مرة. يعصر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات.
أن هذا وإمثاله لا شك أنه من الموغطة الحسنة الحسنة إلى النفوذ،
لكنها لا تعد سيرة ما لم يقترن بها العمل. نعم أنها قول لين وحديث
لذي لا يغلب عليه كيف يسرى لحفظه عمله، ومن لا يملك
أو من لا يكون لهم كيف يصدق على الفقراء والمهاجرين، كيف
يقضي لهم حاجة؟ ومن لا زوج له ولا ولد ولا أهل كيف تكون حياته
أسوة لأزواج وذوي البنين والتأثرين وهم الناس الذين تحم الوطن الدنية
هم؟ ومن لم ينفق له أن يصنع عن أحد في حياته كيف يقنعه به من كان
شديد الغضب سريع البادية؟

الحسنات نس란: قسم سليم وأخير إيجابي. وانت إذا اعترفت الدنية
في غار سمعه، جنب تعبده فيه ربك ولم ترحبو طول حياتك، تصرف فيه
أوقاتك بالتبت إلى الله، فإن أحسن ما يؤلف في مدحك أنك اعتقبت الشر
والم تصرف سيدة تلم عليها. وذلك من الحسنات، إلا أنها حسنات
سلبية. ولكن ماذا فعلت من الناحية الإيجابية من خير؟ هل جعلت كلها
أو نصرت مظلوماً، أو كسبت عمداً، أو أطمعت جائعاً، أو كسرت
عارياً، أو ساعدت فقيراً، أو زدت عن ضعيف، أو هديت ضالاً؟ أن
الأخلاق الحسنة، ومارك ما من العدو والسماحة والقرية وبذل المال والصداع
الحق والجميل في قمع الباطل والجهاد في أداء الواجب لا تعد مكارم الأخلاق
لأجل ترك الدنيا وتبث في عزلة عن المجتمع، ولست الحسنات من
الأمور السليبة فحسب، بل معظم الحسنات ترجع إلى العمل الإيجابي
الذي يقوم به المرء، ولا يكفي فيهما ترتك البغي والاجتناب السوء. وهذا
كأن يدل على أن حياة الأعمال لا تكون فيها الأسرة للناس ما لم تصدر عن
صاحبها الأعمال الإيجابية المحتملة والأخلاق النافعة الكريمة مما يوافق
، وأي عمل يعمله المنزلان أن لم يشر إلى يأتي به
idial-Life
الحياة المثالية

58
اعمالي ايجابية تتم بها الحياة الصالحة في شتى أطرافها. إن الإنسان ينحدر مثالاً يتزاحم به في كل عمل يقدم عليه في عناه وفقراء وفي سلمه وحريه. ويتحرى السبيل الذي يسلكه إذا تزوج أو يقي عزياً، يريد ان يرمها عاليًا، ياتم بها إذا عبد الله أو عاش الناس، ويحاول أن يلم بالقوانين التي ينبغي العمل بها بالنسبة إلى الراعي والرعية والحكم المحكمين. جميع هذه الأمور ينبغي للمرء أن يتخذ لنفسه القدرة فيها، لأن الاسم قد الترتب عليها هذه المسألة فأهلهها الناس الطريق الموصل إلى حل هذه العضلات وتدليل هذه المصاعب ومعظم الشعوب تنشر بالحياة الشديدة من المثل العليا في ذلك لتخفف عن الإنسان آلامها وتسبب جراحها، وهي متفتحة على مثال لذلك من الأعيال، لا على مثال عليه من الأقوال.

ولم يستباغ إذا قلت: إن التاريخ أصدق شاهد على أنه ليس في الدنيا أحد يصح أن تكون للإنسانية أسواق من سيرته وحياته غير سيرة محمد وحياته.

ولم يكن على ذكر منكم ما تحدثت به لكم من قبل، وهو أن حياة العظم التي يجد الناس أن يتخذوا منها قدوة لهم في الحياة. ينبغي أن تتوفر فيها أربع خصال:
1 - أن تكون تاريخية، أي أن التاريخ الصحيح المحص يصدقها ويشده لها.
2 - أن تكون جامعة، أي عميطة بإطوار الحياة ومناتها وجميع شروتها.
3 - أن تكون كاملة، أي أن تكون مسلسلة لا تنقص شيئاً من حلقات الحياة.
4 - أن تكون عملية، أي أن تكون الدعوة إلى المبادئ والفضائل والواجبات بعمل الداعي وخلاصه، وأن يكون كل ما دعا إليه بلسانه قد حققه بسيرته وعمله في حياته الشخصية والมวลمة والاجتماعية.
فأصبحت أعيانه مثلاً عليا للناس يأتون بها. وأنا لا أقول إن الأنبياء صغرت صحائف حياتهم من هذه المرة مدة وجودهم في الحياة الدنيا. بل أقول أن سيرتهم التي توجد الآن بين إيدي الناس لا تتصل على هذه الأمور، ويتخيل الي ان الحكمة الاهلية في ذلك ترجع إلى ان أولئك الأنبياء اما بعثوا لأزواجهم وشعوبهم، فكان الموقفون لغير من شعوبهم في أزمانهم يرون سيرتهم يأتون بها. ولم يكن هناك حاجة إلى أن تبقى سيرتهم معلومة للاحالي الذاتية بعدهم لان النبرات ستختم برسالة محمد الكاملة إلى الناس كافة في كل زمان ومكان. فسمت الحاجة الي ن تكون سيرته معلومة على حياتها في كل زمان ومكان إلي يوم القيامة، ليتيسر الناس بها جميع أمم الأرض. وهذا من اصدق البراهين على كون محمد خاتم النبيين ولا نبي بعده. (ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الاحزاب : 40.
المحاضرة الإلباسية

التاريخ والإنسانية

أيها السادة: فلنا فينا سابق إذ الحياة المثالية جدير بها أن تكون مشتملة على خصال أربع. وسنذكر الآن إلى سيرة محمد صلى الله عليه وسلم من هذه التواحي، وأولها أن تكون سيرة تاريخية.

لقد شهدت الدنيا أصدق شهادة، ثم ازداد ذلك ثواباً على الأباء، لأن السلام لا يقتصر على حفظ سيرته صلى الله عليه وسلم، بل توعس في ذلك إلى ما يتعلق بها من كل التواحي، وظن هذه الآماة القدسية تلم تلمسها يد الجماعة، ولم تبعث بها عوامل الدهر، إلى درجة أن العالم كله يقف من ذلك موقف العجب والاستغراب، والذين وقعا حياتهم من العصر النبوي على حفظ أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ورواية أحاديثه، وكل ما يتعلق بحياة أدوهيا إلى من ضبطها بعدهم وكتبها، وصاروا يسمون رواة الحديث، أوه المحدثين، أو أصحاب السير، وهم طبقات متسلسلة من الصحابة وواجد التابعين، حتى وافى القرن الرابع، فكانت هذه الذكرية التاريخية جما، وكتابة وتدوينا جعل العلماء يكتبون سير هؤلاء الرواة من الصحابة والتتابعين ومن بعدهم من العلماء الذين روا شيئاً ما يتعلق بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتابنا أسفلهم وكتابهم، وأنسابهم وملاحمهم وأخلاقهم.
وقد بلغ عدد الصحابة رضي الله عنهم في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم - عندما حج حجة الوداع - مائة ألف، ومن هؤلاء عشرة آلاف صحابي مذكورة أسبابهم وأحوالهم في كتاب التاريخ التي أفردت لتدوين أحوالهم خاصة. وإن التاريخ لم ينتمي بتدوين أحوالهم ولم يحفظ لنا شيئاً إلا أن كل واحد منهم حفظ شيئاً من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وصرفاته وحده وسبيله.

لقد توفي رسول الله صل الله عليه وسلم سنة 11 من الهجرة النبوية، وباقي لفريق من كبار الصحابة بعده إلى سنة 40، وفي ذلك من الصحابة الذين كانوا أحداثاً في حياة النبي صلى الله عليه وسلم عدد غير قليل. فلياً انقرض ذلك الجيل لم بقي من الصحابة أحد، وانطفأ كل

(1) ان العالم الألماني المعروف الدكتور سيبرت كان في سنة 1854 وما بعدها موظفاً في ديوان ديوان من دواوين المعرف في إبادة الدعاء، وأمين السر للجمعية الأسبوعية فيها. وقد عني بكتاب المفاريق الموافقة، وبسبب كتاب فارق متوسفة سنة 1906، وبحثاته طبع كتاب الأصولية في أحوال الصحابة للحاكم ابن حجر العسقلاني. وقد لدعي أنه أول أوربي كتب في سيرة محمد، معتمداً على المصادر العربية الأولى ولم يعتمد في تأليه إلا عليها. ومع أنه في الختام - لم يكتب كتابه ذناعاً عن صاحب الرسالة. بل كان متحفلاً عليه وغالية له، إلا أنه قال في مقدمته بالإنجليزية على كتاب الأصولية المطروح في كتبنا سنة 1864 - 1874: ولم نكن فيما لم أمانة من الأسلحة، كما أنه لا يوجد الآن أمانة من الأسس المعاصرة، أي أن كتاب الأصولية يمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتولى أحسوا خصائص الف، رجل وشتههم. وفقههم.
لما بينور النبوة، واليك أسياه آخر من مات من الصحابة، والبلاد التي ماتوا فيها، وسنوات وفاتها:

<table>
<thead>
<tr>
<th>المدينة التي توفوا فيها</th>
<th>السنة</th>
<th>الوفاة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الشام</td>
<td>86 هـ</td>
<td>أبو أمامة</td>
</tr>
<tr>
<td>مصر</td>
<td>86 هـ</td>
<td>عبد الله بن الحارث بن جزء</td>
</tr>
<tr>
<td>الكوفة</td>
<td>87 هـ</td>
<td>عبد الله بن أبي أوفى</td>
</tr>
<tr>
<td>المدينة</td>
<td>111 هـ</td>
<td>السائب بن يزيد</td>
</tr>
<tr>
<td>البصرة</td>
<td>132 هـ</td>
<td>أسس بن مالك</td>
</tr>
</tbody>
</table>

وأمس بن مالك هذا الذي كان آخر من بقي من الصحابة كان الآخر
الخاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم، استمر في خدمته عشر سنوات متواصلة.

أما التابعون الذين هم تلاميذ الصحابة فيبدأ تاريخ طبقتهم من السنة الأولى للمهجرة، ومعهم من ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكنه لم يشرف برؤيته أو كان في العهد النبي مصير السن فلم يحظ بالصحة ولم يقدر له أن يحال قضايا من مشكلة النبوة كعبد الرحمن بن الحارث المولود سنة 13 هـ، وأبي حازم المولود سنة 46 هـ، وبعيد بن المسبب المولود سنة 14 هـ. ومؤلاء التابعون الذين ينزلون المنزلة الثانية بعد الصحابة في نشر الإسلام وتبلغي دعوتهم وقد حملوا الرسالة المحمدية إلى الأئمة النائبين والبلاد المرامية الطرفاء، ولم يكن لهمهم في الدنيا إلا حفظ الذين ونشر أحكامه، وتبلغي الإسلام وتعتيم سنته وآدابه.
والتعريف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهدية. وقد ذكر ابن سعد في الطبقات 139 من التابعين أهل الطبقات الأولى الذين كانوا في المدينة وأدركوا كبار الصحابة وسمعوا منهم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ورووها عنههم. وذكر 139 من الطبقات الثانية لقوا عامة الصحابة ورووا عنهم. أما الطبقات الثالثة من التابعين فهم الذين حظوا الواحد منهم برؤية صحابي واحد أو عدة من الصحابة، وعدد هؤلاء 87، فمجموع عدد التابعين 255 في مدينة واحدة وهي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقيسوا على ذلك عدد الذين أخذوا عن الصحابة في بقية المدن الإسلامية التي انتشر الصحابة فيها من مكة إلى الطائف والبصرة والكوفة ودمشق واليمن ومصر وغيرها. وحوله كعب علمتم لا يمكن لهم إلا نشر رسالة الإسلام وتبلغ أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وهديه رسالته. وانظروا إلى إهتمام المؤرخين باستيعابهم واستقصاء أحوالهم في احصاء الأحاديث المروية عن الصحابة، وإليك أسماء بعض الصحابة الذين امتازوا بكثرة ما يحفظه من الحديث النبوي وعدد ما روي عنهم:

<table>
<thead>
<tr>
<th>اسم الرواية من الصحابة</th>
<th>سنة</th>
<th>عدد روائيهم</th>
<th>وفاتها</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أبو هريرة</td>
<td>59 هـ</td>
<td>5374</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>عبد الله بن عباس</td>
<td>68 هـ</td>
<td>2660</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>عائشة الصديقة</td>
<td>58 هـ</td>
<td>2110</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
وعلى هؤلاء يعتمد في تقلل السنة النبوية. ولهؤلاء يرجع الفضل في حفظ الرسالة المحمدية. وإن رواياتهم هي التي تدل على النبوة الواضحة والمحجة البيضاء. فإذا نظرنا إلى أعوام وفاتها بدا لنا أن الله عز وجل قد نسأ في أجازهم وأطال حياتهم وأخر موتهم. حتى تسنى لكثير من الناس أن يتلقوا عنهم ما حفظوا من أمانات الحديث النبوي، ويعروا أقوالهم، وينشروا رواياتهم. ولم يكن العلم بومئذ إلا معرفة هذه الأمور. وبه كانوا ينالون شرف الدين وعزة الدنيا. فكان الآلاف من الصحابة يبلغون إلى الجيل الذي بعدهم ما رأوه بأعيينهم وسمعوه بأذنهم. من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله وتشريعه. لأن صلى الله عليه وسلم هو الذي أمرهم بذلك فقال: "بلغوا عني وويليغ الناشد الغائب". فكانوا يتعلمون أولادهم وإخوانهم وأصحابهم وأقرادهم من الدين والعلم كل ما كانوا يتعلمونه. فكان ذلك شغلهم وهمهم أثناء الليل وأطراف النهار وفي الغدو والآسال. فتعليم النشء الإسلامي الأول حقائق رسالة الإسلام وتفاصيل حياة الرسول منذ ترعرعوا في بيتاتهم التي كانت ساحات للعلم ومدارس يتقلون في حجرها، وما لبثوا أن قاموا

<table>
<thead>
<tr>
<th>سنة</th>
<th>عدد رواياتهم</th>
<th>وفاتها</th>
<th>اسم الرواه من الصحابة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>74 هـ</td>
<td>1170</td>
<td>7</td>
<td>أبو سعيد الحدري</td>
</tr>
<tr>
<td>93 هـ</td>
<td>1286</td>
<td>6</td>
<td>أسناس بن مالك</td>
</tr>
<tr>
<td>78 هـ</td>
<td>1560</td>
<td>5</td>
<td>جابر بن عبد الله</td>
</tr>
<tr>
<td>33 هـ</td>
<td>1360</td>
<td>4</td>
<td>عبد الله بن عمر</td>
</tr>
</tbody>
</table>
مقام الصحابة وسدلوا مسدهم في حفظ هذه الأحاديث ووعي هذه المرويات، فكان هؤلاء التابعون يحفظونها كلمة كلمة، ويبدون روايتها بألفاظها دون أن يجرموا منها كلمة، وكما كان رسول الله صل الله عليه وسلم يعرض الصحابة على أن يبلغوا عنه ويقدروا تشريفه ويشروا دعوته وإحكامه، كان ينهى الناس عن أن يتقولوا عليه ما لم يقل، أو ينسبوا إليه ما لم يفعل، وكان ينذر من يتمعد الكذب عليه بأنه سيتبوا نار جهنم، لذلك كان كبار الصحابة ترتد فراءهم ويسعت وجوهم عند رواية أحاديث الرسول خوفاً من أن يكذبوا عليه أو يخالجوا ما لم يقل.
وكان عبد الله بن مسعود إذا قال قال رسول الله صلى عليه وسلم:
استقللت الرعدة وقال هكذا أو نحو هذا أو قريب من ذاك.

ومن المعلوم أن ذكراء العرب كانت قوية، وكانوا يحفظون آلاف من الشعر، ويشدونها عن ظهر قلب بلا زيادة ولا نقص. ومن طبيعة البشر أنهم إذا أثروا استعمال قوة من قواعهم تزداد هذه القوة قوة وحيوية. وقد مرن الصحابة والتابعون على حفظ الأحاديث حتى بلغوا في ذلك شارًا بعيداً، وكانوا إذا سمعوا حدثاً عود وحفظوه كما يحفظ الصبيان سورة الفاتحة في هذه الأيام. والمحذرون كانوا يحفظون ألفا من أحاديث الرسول بل مشات الألواف وكتبون بعد ذلك ما كانوا يسمعون، ويكفون، لكنهم لا يبلغون منزلة الاجلاء والكرام بين العلماء وعند الناس إلا ما يحفظهم من المرويات عن ظهر قلب، ولذلك كانوا يغفون كراهيهم وصاحبهم عن الناس ويكتمونا لنا فلا ينظر الناس بهم لأنهم يعتمدون في علمهم على هذه الصحائف ولا يحفظون عثراتهن في صدورهم.

سادي. إن بعض المستشرقين ودعاة المسيحية - في مقدمتهم السير
أرادوا أن يشككوا الناس في رواية الحديث عما زعموه من أن تدوين السنة بدأ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنين سنة، وقد ذكرت لكم فيها سلسلة كيف كان الصحابة والتبعون يحضرون بالأحاديث ويحفظونها ويختاطون في روايتها حتى لا يبقى مجال للشك في صحته وصدقها.

والذي دعا الصحابة إلى أن لا يقيدوا الأحاديث بالكتابة ثلاثة أمور:

أولاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى في بداية الأمر عن أن يكتبوا عنه غير القرآن لكثلا يجلس القران بغيره، فإنه حفظ القرآن وصار معرفوا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أذن للصحابة بأن يكتبوا ما يسمعون منه، ومع ذلك بقي الصحابة يختاطون في ذلك احتيالاً شديداً وكان معظمهم يتحركون من كتابة الحديث. وثانياً أن الصحابة كانوا يخشون أن يعتمد الناس في الحديث على الكتابة فيقصرون في حفظها وتدبرها مرتبتين على أنها مكتوبة عندهم ويمكنهم الرجوع إليها عند الحاجة. وقد رفع الذي ظنوه، فإنهم كلما ازداد الاهتمام بالكتابة والتدوين قلت العبتابة بالحفظ، وكذلكل كان الصحابة يخشون أن يدعى كل من تكون الأحاديث المكتوبة في متناول يده بأنه عالم، وقد وقع ما كانوا يجدرون. وثالثاً أن العرب كانوا بعدون الاعتدال على الكتابة اعتراضًا بنفسي موابههم وضعف حفظهم. وفي ذلك غض من شرفهم، فكانوا يعتمدون على حفظهم، وإذا كتبوا شيئاً ما يحفظون كتموا أمره.

كان المحدثون يرون أن الحفظ في الصور أحسن من التدوين في السطور لأن ما يتناقله الناسخون بالكتابة معرض للتحريف، وإما ما يلقاء الحفاظون الضابطون على الحفاظين الضابطين فإنه لا يتطور إليه.

٦٧
الخطأ ولا يضيف أي تعريف.

وإنني لأكتشف القناع لأول مرة في ناديك هذا بأن من زعم أن الأحاديث النبوية لم تدوّن إلى مائة سنة أو تسعين سنة قد أخطأ، والسبب في هذا الخطأ أن أول كتاب في الحديث النبوي كتابERTA ََلاج لأتسم، وأول كتاب في السيرة كتاب المغازي لابن تيمي، وهذه الأمثال الجليلان كانا معاصرين وترفي الأول سنة ١٧٩ هـ والثاني سنة ١٦١ هـ، فاعتبروا العقود الأولى من القرن الثاني بداية تدوم الأحاديث والسير، والأمر ليس كذلك، فان بواكي التدوين ابتدأت قبل ذلك بكثير، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المتوقي سنة ١٠١ هـ عالما جليلاً ولي إمارة المدينة ثم استخلف سنة ٩٩ هـ وقد عهد إلى القاضي أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم - الذي كان إماماً في الحديث والخيار - أن يبدأ في تدوين سنن النبي صلى الله عليه وسلم وأخباره، لأنه خاف على العلم أن يرفع شيئاً شبيهاً خاف درس العلم وعفاده، وقد ذكر هذا في تعليقات البخاري والمسند للدارمي. فقامت بذلك أبو بكر بن حزم، وكتب الأحاديث والأخبار والسنة في القروطيس، وأرسلت إلى دار الخلافة بدمشق وتسخت في الصحافة والكتاب ويعتبرها إلى البلدان الإسلامية وكبريات المدن يومذاك. فأبوبكر هذا الذي علمت مكانته من العلم والفضل وكان قاضياً بالمدينة المنورة، هو الذي اكتشف عمر بن عبد العزيز هذا العلم الجليل، لعلمه وفضله ولأن خالته عمرة كانت من كبريات تلاميذ أم المؤمنين عائشة، وكان ما رويه خالته عمرة عن أم المؤمنين عائشة حفظاً عندنا، فأمعن عليه عمر بن عبد العزيز تدوميين مرويات خالته وقد اختصها بالذكر في كتبه.

(1) خلاص جامع بيان العلم المحقق من عبد العريض ١٣٨ طبع مصر.
كتابة الحديث في العهد النبوي

وإني لا أعد الحق إذا قلت: إن كتابة الحديث والسنن والأخبار والسيرة قد بدأ بفها في عهد النبي ﷺ، فقد جاء في باب كتابة العلم من صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ أمر فكيت خطبته التي خطتها يوم تتبع مكة إجابة لسؤال صحابي من اليمن يدعى أبا شاه. وقد أرسل رسول الله ﷺ رسائله إلى الملكة التي دعوها فيها إلى الإسلام وكلها كانت مكتوبة. والكتاب الذي أرسله إلى الموقف ملك مصر قد وجد ملصقا بдесь كتاب في أحد الأديرة المسيحية في مصر، ويغلب على الظن أنه هو أصل الكتاب المرسل من النبي ﷺ وخطه عربي قديم وعبارة وترتيب كلماته التي تم في الخانم هي عين ما يروي في الأحاديث، وهذا من أصدق الأدلة على صدق الأحاديث المروية وصحنتها. ويقول أبو هريرة: ما من أحد أحفظ مني الحديث رسول الله ﷺ ولا أكثر مني رواية له، غير عبد الله بن عمرو بن العاص لأنه كان يكتب كل ما يسمع من النبي ﷺ ولم أكن أكتب ( صحيح البخاري: باب كتابة العلم). وفي سنن أبي داود وسنده الامام أحمد بن عبد الله بن عمر، وعين العاص قال: كتب أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه. فهذين قريشتي عن ذلك وقالوا: تكتب ورسول الله ﷺ يقول في الغضب والرضؤ! فاسكت، حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: اكتب. فوالذي نفسي بيد ما خرج منه إلا حق، وأوهماً أصابعه إلى فيه حين قال ذلك(1). وسمي عبيد

(1) مسند أحمد 2: 167 وسن أبي داود 2: 44 وجامع بيان عبد
الله بن عمر في الصحيح الصحيحته هذه (الصادقة) وكان يقول: لقد حب الحياة إلى أمراء: أحدثنا هذه الصادقة، فقلنا: وأما الصادقة فهي صحيفة ما كتب فيها إلا ما سمعها أذنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقول مجاهد: رأيت عند عبد الله بن عمر كتاباً، فسألته ما هذا فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بعد هجرته إلى المدينة أن يصلى لحكم عدد الذين يخالفون بالإسلام فأحصوا فكان عددهم خمسة ألفاً، وأمر يمن فكتبت أحكام الزكاة وما يجب فيه ومقدام ذلك فكتبت مشروحة مفصلة في صفحتين، وبعث بصورة ذلك إلى أمراء البلاد وولائهم، ويبقى محفوظة في بيت أبي بكر الصديق وأبي بكر بن عمر بن حزم. وكان عند عهله الزكاة وسائر فيها أحكام الزكاة وكان عند علي صحيحة في قرب سيفه كتب فيها أحاديث تتعلق بالأحكام وآليها.

وفي هيئة الحديث التي كانت بين المسلمين ومشركي قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فذكر كتاب المهدة في نسختين أعتى المشركون نسخة منها وفي النسخة الأخرى عند النبي (ابن سعد في الغامدي ص 71). ولما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حزم اليمن وبيغه إليها أعطاه أحكام مكتوبة في الفرائض والعقود والهديات (كنز العمال 2: 186). وتلقى عبد الله بن حكيم كتاباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(1) طبقات ابن سعد 7/242
(2) المدارف في كتاب الزكاة 209
إحیوات المية (المعجم الصغير للطبراني ص 217) . ولما أراد والل بن حجر أن يرجع إلى بلاده حضرموت ناله رسول الله ﷺ كتبه فيه أحكام الصلاة والصوم والرضا والخمر وغير ذلك (الطبراني في الصغير ص 242) . ولما وضح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السؤال إلى أصحاب رسول الله ﷺ إن كان عند أحد منهم سنة عن النبي ﷺ في نصيب المرأة من دية زوجها قام الضحاك بن سفيان فقال : نعم عندنا كتاب من رسول الله ﷺ بثنا فهذا (الدارقطني 2 : 486) . وكتب عمر بن عبد العزيز في خلافته إلى المدينة يسأل عن كتاب رسول الله ﷺ في أحكام الصدقات فوجدته نسخته عند آل عمرو بن حزم (الدارقطني 451) .

وكان مروان قد خطب في الناس فذكر مكة وحرمها ، فقال رافع بن عدي بن بصوت يسمعه الناس : والمدينة حرم بحرمها رسول الله ﷺ ، وهو مكتوب عندما في دوم خولاني إن شئت نشرته فعلنا . فذاع مروان رأي قبض كتاب إلى النبي ﷺ بن يثير يسأله فيه عن السورة التي كان رسول الله ﷺ يقرأها في صلاة الجماعة غير سورة الجماعة كتبه إليه يقول كان يقرأ : هل آنذاك ؟ (صحيح مسلم) . وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن فرقد كتابا ذكر فيه أن رسول الله ﷺ نهى عن ليس الحرير (صحيح مسلم) . وقد ثبت منuropean بالدلائل الواضحة أن كبار الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يدونوا السنن والأحكام ، بل قد فعل ذلك بعضهم ، وقد جمع أمير بكر في خلافته الأحكام والسنة في كتابا ثم بدأ له أن يبحوه (ذكره المفسر للذهبي) ، وعزم عمر بن الخطاب أيام خلافته على جمع السنن ثم بدأ له ، وقد ذكروا أن عمر بن عبد الله بن عمرو بن
العاص جمع باذن رسول الله ﷺ ما كان يسمع منه في صحيفة وكان الناس يقصدونه ليروها فيقطعهم عليها (سنت السلمي 86) وأثنى عبد الله بن عباس بسجل نه فيه فتى علي بن أبي طالب (مقدمة صحيح مسلم) وكان لموهاب بن عبد الله بن عباس كاريس عدة، وواجه قوم من أهل الطائف بكراهة منها لبوروها عنه (العلل للترمذي ص 191). وكان سعيد بن جبير يكتب روایات عبد الله بن عباس (الدارمي 99) وبقيت صحيفة عبد الله بن عمرو (الصادقة) موجودة عند حفيده عمرو بن شبيب (سنت السلمي 113 و114) وكانوا يضعفون عمرو بن شبيب لأنه يروى من الصحيفة وكان ينبغي له أن يروي من حفظه. وجمع وهب التابعي روایات جابر بن عبد الله وكانت عند أسماعيل بن عبد الكريم وضعموه لاج ذلک (تذيل التذلیل لا بن حجر 1 : 316). وروى سليمان بن سمرة بن جندب أنه كان عند أبيه صحيفة فيها أحاديث.
وكذلك روى ابنه حبيب بن سليمان (تذيل التذلیل 4 : 198) وجمع همام بن مهمن روایات أبي هريرة، وهو أكثر الصحابة رواية وأرعارهم حفظا لأحاديث الرسول ﷺ. فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفة همام، وقد أوردته الإمام أحمد بن حنبيل في الجزء الثاني من مسنده (ص 312 - 318 الطبعة الأولى). وكذلك يشير ابن يهك كتب مروياته عن أبي هريرة في كتاب وقراء عليه (كتاب العلل للترمذي ص 131، والدارمي ص 87) وذكر ابن حجر في كتابه تفع الباري أن أيبي هريرة جاء برجل إلى بيته وأراه أوراقا وقال: هذه روایاتي. وقال الذي روى ذلك أنها لم تكن مكتوبة بيده (فتح الباري 1 : 184 - 185) وكان أنس بن مالك - وهو معرف بكثرة الرواية - يقول لأولاده:

(1) والسن الكبير للمهني 10 : 281

77
يا بني أثربا العلم وفيده بالكتابة ( الدامسي ص 88 ) . وكان تلميذه
أبان يكتب رواياته بين يديه ( الدامسي ص 88 ) . وروى عن سلمى
قالت : رأيت عبد الله بن عباس يستلمي أبا رافع خادم رسول الله ﷺ ما
كان يفعل أو يقول ( طبقات ابن سعد 2 : 137 ) . والواقدي
وهو من متقديم المصنفين في السيرة النبوية يقول : رأيت عند عبد الله بن
عباس الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساري سيد عدنان
مع كتب أخرى ( زاد المعاد 2 : 57 ) . وفي تاريخ الطبري أن عروة بن
الزبير كتب جميع ما كان في غزوة يدر مفصلا إلى عبد الملك الخليفة الامري
( الطبري 1285 ) .

وكان عبد الله بن ممسود - وهو الذي كان يكثر الدخول على رسول
الله ﷺ ليلاً ونهاراً حتى خيل الى الناس أنه من أهل البيت - يشكر الناس
أنهم يكتبون منه عن رسول الله ﷺ ، لأنه كان لا يستطيع أن يكتب غير
القرآن حرصاً منه على القرآن أن يكتب به غيره ( الدامسي ص 67 ) .
ويقول سعيد بن جبير التابعى كنت أكتب على الأقلم ما أسمعه في الليل
من عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، فإذا أصبحت كتبته واضحاً
( الدامسي ص 99 ) . وكان أصحاب الزرين بن عازب يكتبون عنه
رواياته ( الدامسي ص 99 ) . وكان نافع - وقد صبح ابن عمر ثلاثين
سنة - يكتب على الناس ( الدامسي ص 69 ) . وعبد الرحمن بن عبد الله بن
ممسود أخرج كتاباً وwał : وابن الله هذا ما كتبته يد ابن ممسود ( جامع
بيان العلم لابن عبد البر ص 17 ) . وقال سعيد بن جبير : كما نختلف
في بعض الأمور فكتب ذلك ثم تأتي عبد الله بن عمر فنعرسه عليه
وينفي عنه ما كتبنا وهو علمه ولكانت الفيصل بينا وبيته ، أي أنه لا ياذن
هم بحضور مجلسه ( جامع بيان العلم 53 ) ويقول الأسود التابعى :
وقعت أنا وعلقمة على صحيفة جتنا بها إلى ابن عمر فسماها (جامع بيان العلم 33). وإن زيد بن ثابت – وهو من كتابة الوحي – كان لا يرى كتابة شيء إلا القرآن، فاحتال مروان على أن أجله بين يديه وأجلس كتابا من وراء المستر يكتب ما يقول. وفعل مثل ذلك معاوية بن أبي سفيان وغي من الله عنه فاستعملاء حديثاً، ولكن زيد بن ثابت فطئ لذلك، قال له بحور حتى يحي (مستند أحمد 5 : 182).

سادي، لعلكم ستملص السيا سياسياً، وفجارد SNP هذه الأخبار، وملعم ما أقتبه لكم من هذه النصوص، نعذرة وعفواً. ولكننا قد بلغنا إلى حيث يبين لنا الطريق واضحاً، وتبدو لنا الحقيقة جلية.

لقد حاولت أن أثبت لكم هذه الحقيقة الرائحة، وهي أن إذا كان لا يوفون إلا بما كتب ودون، فأصحاب النبي كانوا يكتبونه في عهد الرسول، وجمعوا من أحاديثه في حياته، وتركوا ذلك لم بعدهم والذين جاءوا بعدهم أدخلوا في كتابهم. ولا أعد الحقيقة إذا قلت أن التابعين رضي الله عنهم جمعوا جميع الروايات في عهد الصحابة، وكتبوا في حياتهم ما وصل إلى علمهم من الأخبار والشأنون وبحلوا عن ذلك بحثاً طويلاً، وبذلوا فيه جهودهم وسافروا له، وطردوا أبواب العلماء والمحدثين، حتى لقد كانوا ينظرون لاجل الحديث الواحد مسافة طويلة وشقة بعيدة.

ومن أشهرهم عبد بن شهاب الزهري، وهشام بن عروة بن الزبير، وقاس بن أبي حازم، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، وأبو الزناد وغيرهم. إن علما التابعين كانوا يدعون بالمكاسب - جاءوا البلاد - وجالوا خلال السيا، وطروا الصحابي والمفاوض وشدو الرواح إلى أصحاب النبي، وكذلك نقل تلاميذهم، لبروا أحاديث رسول الله، فجعموا لنا هذه الذخيرة العلمية، وربما سافروا وقطعوا مئات.
الاميال الحديث وحيد. وان محمد بن شهاب الزهري - وهو الإمام في الحديث والسيرة - كتب كل ما سمع مما يتعلق برسول الله ﷺ حتى قال عنه أبو الزناد: 'كنا نكتب الحلال والحرام وكان الزهري كتب كل شيء (جامع البيان العلم ص 37)'. ويقول طارق بن قيسان: 'كنى أنا والزهري رفيقين في طلب العلم، فقدت: لا أكتر إلا السنن، فكتب ما يتعلق بصحاب النبي ﷺ فإنه من السنة. فقلت: ليس ذلك من السنة، ولم أكتب ذلك وكتب الزهري ففسد وفسر (طبقات بن سعد 2: 135). وهذا قطعة من بحر. وان الذين من التابعين كانوا يكتبون الأحاديث والأخبار، والزهري واحد منهم، وان ما كتب الزهري وحده بلغ فيه رواه معاصر أن الدفائر من علم الزهري حلت على الدواوين بعد قليل الرشد وكانت في خزاناته.

ولد الزهري سنة 50 للهجرة وتوفي سنة 124، وهو فرشي نسبا، وقد بذل جهده في جمع الروايات عن سير النبي ﷺ وهديه وأحاديثه حتى لقي في طلب العلم عثرة ونصب، كما بذل عليه قول المؤرخين: 'أنه كان يطور على بيوت الأنصار في المدينة، ويغشى كل بيت منها، ويسأل عن الأحاديث النبوية، وهديه وسيرته كل من يلقى من نساء ورجال وشيوخ وشبان، حتى كان يسأل العوائل في خدورهن عن أحوال النبي ﷺ وأقواله وكتب (تهذيب التهذيب، في ترجمة الزهري). وكان لا يزال بعض الصحابة أحياء في حياة الزهري. ثم تلقى من الزهري كثير من تلاميذه العليا وبلغ عدهم المئات، ولم يكن لهم شغل إلا جميع الأحاديث وأقوال الصحابة وتعليم الأمة الإسلامية الدين ونشر السنة، وقد أنظموا كلهم لهذا العمل وفرغوا أنفسهم له.
من أعظم الخطأ في تاريخ تدريب الحديث دعوى بعض الناس أنه بدأ بعد المائة، وذلك بعده ملئهم في تحديد زمن التابعين. فانهم لا يدلون أن التدرين بدأ في عهد التابعين، وهم يعلمون أن بعض الصحابة أتمه بالعمر الهجري الأول للهجرة، فنرى أن عهد التابعين بدأ بعد انقضاء زمن الصحابة، فذهبوا إلى أن التدرين بدأ بعد المائة، وهذا كله خطا. والحق أن عوائد التابعين يطلق على الذين لم يدركوا النبي أو ولدوا في أواخر عهده نلم يروهن لنا رأوا الصحابة وأخذوا عنهم، وعلى أقل تقدير بعد تابعيه من ولد بعد وفاة النبي (ربيع الأول سنة 11) وأعله التابعين التي تنسحب أنهم بدأ عدهم من سنة 11 ه، وليس من المحتم أن لا ينسب إلى التابعين إلا ما صدر عنهم بعد وفاة آخر الصحابة بقاء على قيد الحياة، فأثر الصحابة بقاء على قيد الحياة، اتمد زمنه إلى أواخر المائة الأولى للهجرة، وأعله التابعين ومنها البعد بتدرين الحديث - ينبغي أن تنص إلى زمنهم الذي بدأ من بعد سنة 11 التي انتقل فيها النبي إلى الرفيق الأعلى.

والحق أن جمع الأحاديث والاحکام والأخبار وتزويدها عند المسلمين له ثلاثة أطراف: الطور الأول هو الذي جمع فيه الرجال ما عندهم من العلم، والطور الثاني هو الذي قام فيه أهل كل مصر من الأئمة الرااببة بتدوين ما عند علما ذلك المصري من العلم في كتب خاصة بأهل مصرهم، والطور الثالث هو الذي جمع فيه علم الدين الإسلامي كليه من جميع الأئمة، ودونت في الدواوين الكبرى والمصنفات الجليلة وهي التي صارت اليينا، ولا تزال بين أيدينا.

والطور الأول استمر إلى سنة 100 ه وامتد الطور الثاني إلى سنة 15 ه، وبدأ الطور الثالث من سنة 100 ه إلى القرن الثالث للهجرة.
أو بعده بقليل. وكان الطور الأول هو الذي كان فيه الصحابة وكبار التابعين. والطور الثاني هو الذي كان فيه صغر التابعين وتبعه التابعين. والطور الثالث هو عهد المحدثين وأئمة السنة كالامام محمد بن اسماعيل البخاري، والامام مسلم صاحب الجامع الصحيح، والإمام الترمذي، والامام أحمد بن حنبل وغيرهم من المحدثين وما جمع في الطور الأول دونه في كتب الطور الثاني، وما دونه في الطور الثاني جمع ونظم في كتب الطور الثالث، ومزايًا مما جمع في الطورين الثاني والثالث مدوناً في كتب كثيرة تشمل على آلاف من الأوراق هي في الواقع من أثمن الدخائر العلمية في العالم، بل لا يوجد في جميع ذخائر الدنيا العلمية أثر منها سندًا وأصبح تاريخًا ورواية. ولقد صدق الاستثناء العلماء الكبير الشيخ شبيل النحاس حين قال: لما أرادوا اسم الآخر من غير المسلمين أن يجمع في أطراف هضستها أقوال رجاء وأرواحهم كان قد نات عليهم زمن طويل، واتقضى بينها وبينهم عهد بعيد، فحاولوا كتابة شنون أمه قد خلت، ولم يعبروا بين غث ذلك الماضي وسماه، وصحيحه وسفيه، بل لم يتعلموا أحوال رواة تلك الاختبار ولا أشياءهم ولا ترايخ ولاحظتهم، فكانت لنا من خبراءهؤلاء الرواة الجهولين ورواياتهم ما يوافق وراءهم وبلاغهم بينهم ويتربين على مقاييسهم. ثم لم يمض عنهم زمن يسير حتى صارت تلك الخرافات محدودة كالحقائق التاريخية المدونة في الكتب وعلى هذا المنهج السليم صنفت أكثر الكتب الأوروبية مما يتعلق بالأمة الحواشي وشكونها، والأقوام القديمة وأخبارها، والديانات السائقة ومذاهبها وراجماتها. أما المسلمون فقد جعلوا لرواية الاختبار والسير قواعد عكبتا يرجعون إليها وأصولاً متقنة يتمسكون بها وإعلاها أن لا تروى واقعة من الوقائع إلا عن الذي شهدها، وكلاً بعد العهد على هذه الواقعة فمن الواجب سماه من نقل
ذلك الخبر عن الذي نقله عمن شهد، وهمذا بالتسليس من وقت
الأسترثاد بالواقعية والتحدث عنها إلى زمن روعتها، والثبتت من أماته
نؤلاء الرواية وفقهم وعدالتهم وحسن عمهم للخبر الذي يروونه،
وإذا كانوا على خلاف ذلك وجب تبينه أيضاً. وهذه المهمة من أشاق
الأمور، ومع ذلك فإن مئات من المحدثين تفرغوا لها ووقفوا أعماهم على
تحري ذلك واستقصائه وتدوينه، واطلقوا لاجله البلاء، ورحلوا بين
الاقطار، باحثين دارسين لأحوال الرواة وكانوا يلقون المعاصرين لهم من
الرواية لينقدو أحوالهم، وإذا امتدوا إلى سيرة فمنهم سألوهم عنها
عرفونه من أحوال الطبقة التي كانت قبلهم، وقد اجتمع من هذا المجهود
العلمي العظيم علم مستقل من العلماء الإسلاميون اطلق عليه فيها بعد
عنوان (أسياء الرجال) فقير لم أن بعدهم أن يقفوا على أقدار مئات
اللوف من الحفاظ واللعبة والرواية وغيرهم.

هذا فيما يتعلق بالرواية وعملها، ونذكر علم يتصل الحديث من جهة
الدراية والفهم، وإن له أصولاً عظيمة وقواعد متقدمة تتضمنها نقد
المرويات وتميز صحيحها من سبمها وझافها من السيمين والراجيح من
المرجوع، وقد تحرى علماء السنة في هذا الأمر الحق وحده وتمسكوا فيه
بالمحبة البيضاء وكل ما يؤدي إليه الساقط، فكان عملهم هذا من مفاخر
الإسلام. وانت تعلم أن نحن نعمل الرواية رجالاً من الدولة والحكم.
والامراء الذين يشغلي أبنهم ويذبح الناس بطلشهم وجبرىهم، فكان
المحدثون يثمنون فيهم قول الحق ويبدلهم في المنازل التي يستحقونها،
ولا يقالون ما ربما يصيبهم من مكره، لبسبب هذه الصاخبة بما يرضي الله
ويحرون أماني الإسلام. وكان بكثير عواملاً، وكان أبوه عضلاً
الدولة على بين المال، فإنا إذا روى عن أبيه شيئاً عضده برواية راو

78
آخر، فإذا انفرد أبوه برواية أخرى توقف وكيع عن الأخذ بذلك حتى تعضده رواية أخرى. فهل رأيت مثل هذا الاحتفاظ مثل هذه المبالغة في النبي عند أهل ملة أخرى غير ملة الإسلام؟ ويقول الإمام معاذ بن معاذ رأيت الصعدي في سنة 54(1) يطالع كتاب. يعني أنه قد تغسير حفظه(2)، وما يثير العجب والاستغراب أن الإمام معاذ بن معاذ بن معاذ تقدم إليه رجل بالفوقين على أن لا يكتب في كتابه شيئا عن وقته، فلا يرثه ولا يحرجه، بل يسكته عنه، فرفض الإمام ذلك المال بشده وقال إنه لا أكتم الحق(3)، فهل يعرف أحد في تاريخ البشر وخلال الاحتفاظ في العلم والأمانة للحق واستقامة على منهج الصدق أعلم من هذا المال؟ على أن جميع مرويات السنة لا تزال مفروقة كما هي إلى زماننا هذا، وإن فروع النقد الموضوعة، وأحوال الرواة المعروفة، قد يسرت لكل من شاء حتى في زماننا هذا وفي كل زمان أن تظهر بين الصحيح والسقيم والغث والسمى والراجح والمرجح والقربي والضميف.

سادتي. لقد شغلت شتاتا من وقتكم الشمدين بإزاد هذه الامور العلمية التي قلنا يستطيعها السامعون، لكنني نيا أظن قد استعرضت لكم احتمالية مختلفة من السيرة النبوية مثلت أمامكم جوانب التاريخية المتنوعة. وأريد أن الفت أنظراكم إلى المصادر التي أخذت عنها سيرة النبي وهديه، وكيف دوّنت تلك المصادر وجمعت. وإن أهم ما في سيرته وأولها وأكثرها صحة هو ما اقتبس من القرآن الحكيم الذي لا يأتيه

(1) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الملك بن مسعود. توفي سنة 165 هـ.
(2) تهذيب التهذيب 9 : 411
(3) تهذيب التهذيب
البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزلل من عزيز حميد، وهو الذي لم يشتك في صحته العدو اللدود فضلا عن الحبيب الودود. والقرآن يقص علينا جميع مناحي السيرة النبوية وطروفا من حيائه، قبل النبوة، فذكر لنا يتيمة وفقره وتمثله، كما يذكر لنا شؤونه بعد النبوة من هبوط الوعي الالهي عليه وتبليغه آياته والعروج به وعودة الأعداء وهجرته وغزواته، وفي القرآن الكريم ذكر أخلاقه، كل ذلك تراه مذكورا في القرآن بيان واضح وأسلوب متين رائع، ومن ذلك تعلمون أنه لم تطرق إذن التاريخ سيرة رجل يحبس ولا يصح ولا أولئك من سيرة محمد.

والمنصري الثاني من مصادر السيرة النبوية كتب الحديث، وهي كتب حفظت لنا من أقوال النبي، وإفعاله وأحواله ما يبلغ مائة ألف حديث، وقد استذاق الصحيح منها عن الشيوخ، والمشهورين، وحتى غير القرّي. ومن الكتب المصنفة في الحديث الكتب الستة الصحاح التي عصهر العلاة كل ما ورد فيها وذكرها وسواها ومتبعاته حتى لم يتركوا في النفوس منزوع، وحقق منصف، بل ولا مدقق جائر. ويتولى الكتب الستة كتب المساند، واعظمها مسند الإمام أحمد بن حنبل في ستة مجلدات كبار، كل مجلد منها يحتوي على نحو خمسة صفحة من القطع الكبير بحروف دقيقة. وقد تضمن هذا المسند مرويات كل صحابي مجموعة ومذكورة على حدث، وفي هذه المجموعات جميع تعاليم الرسول، وأحواله وسيرته، غير مرتبة على المواضيع.

والمنصري الثالث كتب المغنيزي، ومعظم ما فيها ذكر الفنوات النبوية، وقد تضمن أمورا أخرى. ومن المصنفات القديمة في المغنيزي مغنيزي عروة بن الزبير المتوفي سنة 94 هـ، ومغنيزي الزهري المتوفي سنة 124، ومغنيزي موسى بن عقبة المتوفي سنة 141 هـ، ومغنيزي ابن
ال مصدر الرابع كتب التاريخ الإسلامي العلم التي تقدمه بالسيرة
النبيّة ومن أورثها وأصحها وأطوفها وأضخها طبقات ابن سعد،
وتاريخ الرسل والملوك للإمام أبي جعفر الطبري، والتأريخ الصغير
والتأريخ الكبير لمحمد بن إسحاق البخاري، وتأريخ ابن حيان،
وتأريخ ابن أبي خليفة البغدادي المتوفي سنة 299 هـ وغيرهم.

وال مصدر الخامس الكتب التي ألفت في المعجزات، وتسمى بكتاب
الدلائل ومنها دلائل البشارة لأبي اسحاق الحربي المتوفي سنة 255 هـ
ودلائل البشارة لأبي اسحاق الحربي المتوفي سنة 276 هـ، ودلائل البشارة للإمام
البيهقي المتوفي سنة 436 هـ، ودلائل البشارة لأبي نعيم الاصفهاني المتوفي
سنة 436 هـ، ودلائل البشارة للمستغفر المتوفي سنة 322 هـ، ودلائل أبي
القاسم إسحاق الاصفهاني المتوفي سنة 545 هـ، وأضخها وابتسطها
كتاب الخصائص الكبرى للجلال السويطي المتوفي سنة 911 هـ.

وال مصدر السادس كتب الشياطين، وهي مقصورة على ذكر اختلاص
النبيّة وعاداته وفضاءاته، وما كان يعمل فيه من الصباح إلى
المساء، وفي ليله من المساء إلى الصباح. وأشهر هذه الكتب وأولهما
(كتاب الشياطين) للمحافظ الرملي. وقد كتب كبار العلماء زيادات عليه
أيامها وأضخها وأطوفها (كتب الشفاعة في حقوق المصطفى) للقاضي
عياض، وقد شرحه الشهاب الخفاجي وسياح نسيم الرياض، وصنف في
هذا الموضوع علاعلم آخرون، منها كتاب (شايعل النبي) لأبي
العباس المستغفر المتوفي سنة 432 هـ، و(النور المنظوم) لأبي
المقرئ

81
الفراتي المتوفي سنة ٥٥٧ هـ، و(سفر السعادة) لمجد السدين
القيرزابادي المتوفي سنة ٨١٢ هـ.

يضيف إلى ما ذكرناه الكتب التي صنفها بعض العلماء المتقدمين في
أحوال مكة العظماء والمدينة المنورة وذكرنا فيها ما في هذه البلدين
التيين من بقاع وأماكن أوودية وجبال ومخطط، وذكرنا من توئ٥ إماراتها
بادئين بكل ماله علاقة بالنبي ﷺ. وأقدم كتاب في هذا الموضوع (أخبار
مكة) للازري المتوفي سنة ٢٣٣ هـ، و(أخبار المدينة) لمصر بن شبة
المتوفي سنة ٢٦٨ هـ ثم أخبار مكة للفاكهي وأخبار المدينة لابن زباله.

садجي: لقد عرضت عليكم أسماء الكتب في السيرة النبوية وذكرت
للم ما صنف في هذاباب من قديم الزمان، ومنه يعلم القاري، مكانة
السيرة المحمدية من التاريخ، وأن هؤلاء المحدثين والخلفاء المسلمين
لم يقتصروا على حفظ الروايات عن ظهر قليب ولقيدهم بالكتابة
وحسب، بل اتخذ الولاة والخلفاء معاهد لكتاب العلماء والأئمة يلزون
التدريس فيها، وأقاموا المباني في المساجد ليضنغل فيهما العلماء
والمردقين من كبار العلماء، ومعلم المفاضل، وكان عاصم بن عمر المتوفي
سنة ١٢١ هـ وهو حفيد قيادة الصحابي يدرس في المسجد الجامع
بدمشق بأمر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

والذي ألقه الناس في سيرة النبي ﷺ من عهد الرسالة إلى يومنا هذا في
مختلف الأوطان الإسلامية والأجنبية في معظم لغات العالم بعد بالألواف،
واعتبر ذلك بما صنف باللغة الأوردية الحديثة وحدها في موضوع السيرة
النبوية، مع أن الأوردية لم تصر لغة تأليف إلا منذ قرنين على الأكثر،
وفي تقديري أن ما صنف بها وحدها في السيرة النبوية يبلغ ألفاً إن لم يزد
عليه.

٨٢
وعدنا المسلمين وما صنعوا في سيرتهم نبىهم يحيونه جاً عظيماً ويقدمون ذلك بين يدي الله قراً وذخراً لهم يوم القيامة، وتعال ننظر إلى من ألف في سيرتهم من لا يؤمنون بهم، ولا يؤمنون برسالته، فدنا نجد في الهند نفسها من اختلاف ملهم: من الهنادك والسيك والبرهمو، سياح كثيراً من علويهم قد ألقوا في سيرتهم، أما الأرثوين الذين لا يدينون بالإسلام ولا يؤمنون بالرسالة المحمدية فقد صنف منهم في سيرة النبي، حتى المبشرون من دعاة النصرانية والمسيحية، عناية منهم بال التاريخ وإرادة لظاهم العلمي، وبعدما التوجه إلى ذلك بالكثير. وكتبت قرأت في مجلة القهوة التي كانت تصدر في دمشق قبل نحو أربعين سنة إحصاء لما صنف في السيرة النبوية بمختلف اللغات الأوروبية في بلغ نحو ثلاثين كتاب وألف كتاب، ولم أضيفا إلى هذا البعد ما صدر من المطبع الأوروبية في السيرة النبوية خلال الأربعين سنة بعد ذلك الإحصاء الذي نشرته مجلة القهوة لأبوا على ذلك كثيراً. وإن مرجولياث الذي كان استاذا لللغة العربية في جامعة أوكسفورد أصدر في سنة 1905 كتابه (محمد) وجعله حلقة في سلسلة عظاياء الأمم، وهو لم يكتب كتابه هذا ليشني فيه على رسول الله محمد ﷺ، بل لعله لم ينف كاتبه بالانحرازية كتاباً أشد تحاماً على النبي ﷺ، مما جامعه في هذا الكتاب، وقد حاول مرجولياث أن يشير كل ما يتعلق بالسيرة الشريفة وأن يشكك في أسانيدها ولم يأل يجها في نقص ما أبرى التاريخ ومعرفة ما حققه المحقون من المصطفين، لكنه مع كل هذا لم يتكلم عن الاعتراف في مقدمة كتابه بأن الذين كتبوا في سيرة محمد ﷺ لا ينتهي ذكر اسياهم، وأهم بروان أن من الشرف للكاتب أن ينال المجد بشؤوه مجلسا بين الذين كتبوا في السيرة المحمدية.
The Biographers of the Prophet Mohammad from a long series it is impossible to end, but in which Would be honourable to find a place.

وقد كتب جون ديوان بورت في سنة 1870 كتابا بالانجليزية في

Appologety for

السيرة الحمديه عنوانه ( اعتذار من محمد والقرآن

والذي يقرأه يغيب اليه أنه كتب بنوعه

Mohammad and Quran

الأخلاق والانصاف ، ويقول في مقدمته : لابد أن لا يوجد في

الغايعين والشرعين والذين سنوا السن من يعرف الناس حياته وأحواله

بأكثر تفصيلا واشتم بيانا ما يعرفون من سيرة محمد واحواله

واللقي روبرت باسورث سميث

عضو كلية

عفيت في أوكسفورد سنة 1874 علاجات عن ( محمد والحمديه ) في

الجمعية الملكية لبريطانيا العظمى طبعت فيا بعد في كتاب ، وقد قال في

إحدى هذه المحايرات واحسن فيها قال واجهته كل ما يقال في الدين

يغلب فيه الجهل ببدايته ، وما يؤسف له أن هذا يصبح إطلاقا على

الديانات الثلاث وعلي أصحابها الذين تعدهم تارين لا تعليم

هم وصفا أحسن من هذا الوصف ، فاننا قبل نعلم عن الذين كانوا في

طلائع الدعوة ، والذي نعلم عن الذين جاءوا بعدهم واجهوا في نشر

عقائدهم أكثر من الذي تعلمه عن أصحاب الدعوة الأولين . فاليه تعلمه

من شعون زيدشت وكوسندايوس اقل من الذي تعلم عن سلون

وسفارت . والذي تعلم عن موسى ، وبردا أقل مما تعلم عن أمريس

وقيصر ، ولا نعلم من سيرة عيسى الا شهادات تتناول شبا

قليلة من شعوب حياته المتنوعة والكثيرة . ومن ذا الذي يستطيع أن يكشف

(1) يريد ديانات بيزا وكوسندايوس وزيدشت.
لنا الستار عن شؤون ثلاثين عاماً هي تمهيد واستعداد للثلاثة أعوام التي علم بها من حياته. إنه بعث ذلك العالم من رقته، ولعله يحيى أكثر مConsole، وأحبته البالغة بعيدة عنا مع قربها منها، وأنها تزود بين الممكن والمستحيل. بيد أن كثيراً من صفحتها لا نعلم عنها شيئاً أولياً، وما الذي نعلمه عن أم المسيح، وعن حياته في بيتها، وحياته العائلية، وما الذي نعلمه عن أصحابه الأولون، وحواريه، وكيف كان يعاملهم، وكيف تدرجت رسالته الروحية في الظهور، وكيف فاجأ الناس بدعوته ورسالته، وكيف وكم من أسئلة تعيش في نفسنا ولن يستطيع أحد أن يجيب عليها إلا يوم القيامة؟

أما الإسلام قامه، واضع كله، ليس فيه سر مكتوم عن أحد، ولا غمامة بينهم أمرها على التاريخ. ففي أدي الناس تاريده الصحيح، وهم يعلمون من أمر محمد، كالذي يعلمونه من أمر لوئر وملتن. وإنك لا تجد فيها كتبه عن المؤرخون الأولون لساتير ولا أوهاما ولا مستحيلات، فإذا عرض لك طرف من ذلك أمكنك تمييز عن الحقائق التاريخية الراهنة، فلا بد لنا أن نبتعد نفسنا أو نبتعد غيره، والأمر كله واضح وضحوك النهار، كأنه الشمس راد الضلل بنين تحت أشعة نورها كل شيء.

لقد ألف المسلمون في السيرة النبوية ألف الكتب بل أكثر من ذلك، ولا يزالون ماضين في التأليف فيها، وكل كتاب في السيرة المحمدية منها كان لا ريب إنه أوضح بياناً وأولئك رواية وأكثر صحة من كل ما كتب الناس في قصص النبئين وسيرهم عليهم السلام، والكتاب الأولي في السيرة المحمدية تلقاه عن أصحابها مئون وآلاف من تلاميذهم واتقراها فيها وأحكموها فقهاً ولم يتركوا فيها كلمة غامضة ولا عبارات مضللة إلا

85
أوضحوا مبهمها وحلوا معضلها، وأول كتاب عندنا في الحديث النبوي
كتاب الموطأ للاهام مالك بن آنس، وقد سمعه من مؤلفه سياسة من
تلاميذه فيهم الخلفاء والولاة والعلماء والفقهاء والذهاب والإبداع والنساك.
والجامع الصحيح لأبي عبد بن اسحاق البخاري تلقاه سنون ألفاً من أهل
العلم عن تلميذ واحد من تلاميذه وهو الاهام الغزيري. فهل في العالم
دين احتاط أهل مثل هذا الاحتياط واهتموا مثل هذا الاهتمام في كل ما
يتعلن بأمر نبيهم وهدایته، وهل ألف في هذا الباب تأليف أكثر صحة
وأعظم ثقة وثبتنا، وهل نال مثل هذه الصحة التاريخية دين غيره، وهل
حفظ التاريخ من تفاصيل حياة نبي من الأنبياء عليهم السلام مثل الذي
حفظه من سيرة محمد؟
المحاضرة الرابعة
في سيرة الفرد من حيث كماله ورضاه وما أعطاهه من كياسة البشر.

سادتي وعائلائي، موضوع كلامنا اليوم في السيرة المحكمة هي السيرة التامة الكاملة الشاملة لجميع أطوار الحياة. وما من حياة أبعد عن مسألة ومثال يقتدي به إلا إذا كانت مصنفة بالكفاءة، ولا تكون حياة أحد كاملة ومنزهة عن العيوب والثواب إلا إذا كانت معلومة للناس بجميع أطوارها ومنجنية لهم دخالتها من كل مناجها. وحياة محمد من ميلاده إلى ساعة وفاته معلومة للذين عاصروه وشهدوا عهده، وقد حفظها التاريخ عنهم من بعدهم، وهو في حياته لم يتجه عن عيون قومه إلا مدة سيرة لبعده عادته للمستقبل وليه، الاسباب حياته القابلة.

إن جميع شؤونه وأطوار حياته من ولادته ورضاعته وطفولته إلى أن صار يافعا ونشأ - كل ذلك ظاهر أمره معلومة نافصله. وقد علم التاريخ عن هذا النبي باشتماله في التجارة وكيفية زواجه، وعلم الناس سجاه في صداقته وفي وفاته للناس قبل النبوة، واتصالوا به حين اتفصلوه امينا وأقاموه حكما. فما اختلفوا فيه من نصب الحجر الأسود في موقعه من الكعبة، ثم وقفوا على أمر، حين حبب الله إليه الخلوة فاعتبره في غار حراء، ثم علموا حاله حين نزل عليه الوحي من رب العالمين، وحين بدأ امر الإسلام يظهر للوجود تأذن يدعو الناس إليه ويبلغ ما أدخل عليه.

وقد رأى التاريخ كيف خالفوه وعاندوه. وهل غاب عن التاريخ ما لقيه في نشر الإسلام من أجهد وعنساء، وما قابله به.
أهل الطائف حين سار اليهم ينهذه م عن عبادة الأوثان ويأمرهم
بعبادة الرحمن . وهل نسي التاريخ حين أخبر أهل مكة نهم أقلية قليلة من المسلمين وعشيرية ساحقة من الشركين
يخبر العروج به إلى السيا، ثم هل خفي عن التاريخ أمر
هجرته ومع من هاجر والغزوات التي غزاها ، والاسباب الباعثة عليها 
وموقفه من الهجرة إذا هادن وعهرده اذا عاهد ، وما صلب الحديثة بسر
والذين طالعوا كتب السيرة النبوية يعلمون ما ذكرنا وما لم نذكر ، وقد
واقفو على كتبهم إلى الملوك والإثني والولات يدعهم فيها إلى دين الله
دين السلام والوثام ، وعرفوا جهاده في سبيل الحق وباذك في تبلغ دعوة
الإسلام إلى الناس ، أي أن أحكم الله للإنسانية دينه ، وحج
حجة الوداع ، وترفوه الله إليه . فهل في شيء من ذلك ما يجهله التاريخ ، وهل
فيما يتعلق بهذا الرسول الأعظم ورسالته ما اسدل عليه ستار من خفاء؟ ان
كل ما ينسب إليه أو يعزى إليه من حق أو باطل وصدق أو كذب
وصحيح أو قاسد معلوم بالتفصيل وواضح أمره للناقدين وقد يخطر ببال
سائل أن يسأل: ما بال المحدثين حفظوا موضوعات الإحساث
и وضعها ، وهل اكتشفوا الصحيح وأهملا غيرا ؟ والذي ينعم النظر في
ذلك يبدو له من المصلحة أن لا يرجع القادرون اللائمة إلى المسلمين بان
هناك مرويات قضاها عليها وأخبار نเจอها ليخوضها من أمر نبيها ما فيه من
مغيز . كي يطعن الطاعنة في هذه الأيام على الاختبار المسيحية لأجل
ذلك . أما المحدثون الكرام من علماء المسلمين فقد جعلوا كل ما له علاقة
بالمسيح صحيحًا كان اوسفيا حقًا أو باطلًا وجعلوا لتغذوه قواعد وأصولًا
لتحقيقه أصولا يرجع اليه في تثبيت الصحيح من الفاسد والغش من
ال심ين . وهم قد حفظوا شهود حياة النبي واحواله واحباره كلها ولم
يتركوا أمرًا من أمره ولا شأنًا من شئونه إلا ذكره . حتى لقد وصفوه في
قيامه وجلوسه ونهوضه من النوم وهيئته في مسجده وابتسامه وعبادته في ليلة وشاربه، كيف كان يفعل إذا اغتنم وإذا أكل، كيف كان يشرب، وماذا كان يلبس، وكيف يتحدث إلى الناس إذا ألقهم، وما كان يحب من الألوان ومن الطيب، وما هي حيلته وشيطانه ووصفوا جسمه الطاهر وصفاً كاملاً كأنه تراه، ووصفوا حياته العائلية من عناصر الرجل أهله وحليته وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل فوصفوا ذلك كيا وصفوا الرضوء للصلاة.

واستعرض لكم فهرسة أقدم كتاب في الشائلات المترامية لتعلموا كيف ضبط المسلمون أحوال النبي صلى الله عليه وسلم فيها وحيدها وتبنيها خصهها وحقيقها كثيراً وقليلها: (1) باب ما جاء في حليته النبي صلى الله عليه وسلم، (2) ذكر شعره، (3) في تجلبه، (4) شبعه، (5) خضابه، (6) كحله، (7) لباسه، (8) عيشه، (9) خفه، (10) نظمه، (11) خاتمه، (12) صفة سيفه، (13) درعه، (14) مغرمه، (15) عاطفته، (16) إزارة، (17) مشيته، (18) تنعه، (19) جلسته، (20) فرشه ووسادته، (21) ما جاء في تكونه، (22) صفة أكله، (23) نبزه، (24) إدماه، (25) ضوءه، (26) ما يقوله قبل الطعام وبعده، (27) قدحه، (28) فاكحته، (29) شراشه، (30) صفة شرقه، (31) تعطره وتطبيب، (32) كيف كان كلماته، (33) انطلاقه الشم، (34) مسارته، (35) نومه، (36) عبادته، (37) فضحه وربسه، (38) مازاه، (39) صلاته بعد طلوع الشمس، (40) تطوعه في بيته، (41) صومه، (42) تلاوته القرآن، (43) بكلاه، وخشوعه، (44) فرائه، (45) تواضعه، (46) أخلاقه...
ذلك ما يتعلق بنفسه الشريفة وشخصه الكريم، وهناك أحاديث عن كل طور من أطوار حياءه وناحية من نواحيها، كل ذلك في وضع وجلاء بحيث لم يبق شيء من حياته غنيماً أنه لم يكتوموا سره، فإذا دخل بيه فهو بين اهله وعيليه وأولاده، وإن خرج منه فهو بين أصحابه ورفقته، وكل ذلك محفوظ مذكور مشهور.

إذن نصية، إن أعظم الناس وأجنههم، إذا انقلب إلى بيت كان فيه رجلاً من الرجال وواحدا كأحادي الناس، ولقد صدق فوستر في كلمته المشهورة: "هذا الرجل لا يكون عظياً في داخل بيته، لا يطلا في إستره، يريد أن عظمة المرء لا يعرف بها من هو أقرب الناس إليه، لا يطلا على دخيلته في مسأله. وهذا الحكم بشبه من الرسول عليه السلام، فيقول باسورة سنت أن ما قبل عن العظيم في مباشته لا يصح على الأئيل - في محمد رسول الإسلام، واستشهد يقول كلما: لا يتمحون رسول من الرسول أصحابه كما اهتنا محمد أصحابه، أنه قبل أن يتقن إلى الناس جميعا، تقدم إلى الذين عرفوا اسمانًا المعروفة الكاملة فطلب من زوجته وغلامه وآخيه وأقرب أصحابه إليه وأحب خلقه أن يؤمنوا به نبياً مرسولاً، فكل منهم صدق دعواه وآمن بنيوته. وإن حيلةه المهر أكثر الناس على بعثهم أمره ودخيلة نفسه والاقترح عن، فلا يوجد من هو أعرف منها ونهايه ونقاشه، أليس أن أول من آمن بحمد رسول الله زوجة الكرمة التي عاشت منه عشر عاما، وأطلعت عليه في جميع أمره وأحاطته به علمه ومعرفة، فلها ادعى النبوة كانت أول من صدقه في نبوته.

90
أن أعظم الناس لا يأخذون لزواجه. وإن كانت له زوج واحدة، فإن تحدث الناس عن جميع ما تراه من حليته، وإن تعلّم كل ما شاهده من لحاءه. لكن رسول الله ﷺ كان له في وقت واحد تسع زوجات، وكانت كل منهن في إذن من الرسول ﷺ تقول عنه للناس كل ما ترآه منه في خلواته، وهن في حل من أن يقرون الناس في وضع النهار كل ما رأب منه في ظلته الليل، وإن يتحدثن في الساحات والمجامع بما يشاهدن منه في الحجرات. فهل عرفت الدنيا رجلا كهذا الرجل يتق بنفسه كل هذه الثقة ويعتبر عليها إلى هذا الحد ولا يخف قائلة السودة عن أحد لانه أبعد الناس عن السودة. هذا ما يتعلق بذاكر الرسول، وأما ما تعلّمه به نفسه من دمائه الخلق ورجاحة العقل وحصانة الروح لم يكن يتجاوزه. وأحسن كتاب في ذلك كتاب (الشفاء) للقاضي عياض الكندي. وقد قال لي يوما وانا في فرنسا مستشرق اسمه ماسينون: يكفي لي يعرف أوربا عباس رسول الله ﷺ محمد. وحازم أنه ينقل كتاب (الشفاء) للقاضي عياض إلى أحمد اللغات الأوربية.

انتي بريت في الجزء الثاني من السيرة عند ذكر شيتال. هذه الأمور: خلق رسول الله ﷺ، حليته، وحجابه، وحجابة النبوة، وشعاره، ومشيته، وكلمه وضحكه وتسممه، ولبسه، وحجابه، وتغطرسه، وعدره، وطعامه، وصفة أكله، ومساف طعامه، وشارته، واللون المحب اليه، واللون الذي كان يرغب عنه، وتغطرسه، وحجم للنظافة والطهارة، وركوبه، وذكرت في أشياله: ما كان يعمله في ضياء من الصباح إلى الليل، ثم نومه، وتهجده، ووظائفه في الصلوات، وإسلوب خطته، وأعماله في السفر، وأعماله في الجهاد، وسنته في عبادة المرضى، وتعزيته أهل البيت، وسنته في لقاء الناس وعناية أشغاله.
والليكم ما ذكرت عن مجلسهم: مجلس الارشاد، آداب المجلس، أوقات جلوسه مع الناس، مجلسه الخاصة بالنساء، طريقة هديه والرشاد، لقاءه الناس بالمشاركة والمشاركه، تأثير صحبته فيمن يصحبه ولسلوب كلامه معهم، وأنواع خطبه التوبة وأثرها في السامعين. ومن العناوين التي وردت فيها ذكره عن عبادته: دعاوته، صلاته، صومه، زكاته، وصدقاته، حبه، مداومته ذكر الله، ذكره الله عز وجل. في مواقف القتال، خشيت من الله، يكأنه، عينه الله، ترهبه عليه، صبره، شكره لمقيم الحلم جل جلاله، وما جاء في كتابه المذكور عن اختلافه: اختلافه بالتفصيل، مواظبته على العمل، مكارم اختلافه، حسن معاملته للناس، عدله، جوده، كرمه، إثارة، ضيائه، وقراه، كرامته. سؤال الناس، اباؤه لموال الصدق، قبوله الهمد، ترعاه عن فضل الغير ومتهنئه، تنزهه عن النظرة، ومرفقه من التشغيف، كرمه للهجراء والمدخ، والتزامه عدم التكلف في الحياة، وبعده عن الفائق في المشرب والماكل، إجتنابه الرياء والخيانة، مساعيه، تواضعه، كرمه للمسالمة في التعظيم والأطراء، حباهه، عمله بيده، عزمه، شجاعته، صدقته في القول، وفلاؤه بالوعد، زهده في الدنيا، قناعته، حلمه، عفوه عن الناس، صفحه عن اعدائه، احسانه اليهم، معاملته للكافرين والشركين، معاملته لليهود، والنصاري، حبه للنفراء والمساكين، عفوه عن اتش اعدائه، دعاوته لاعداده بالخير، شغله على الصبيان، معاملته للنساء، حبته بالحيوان، ما فطر علىه من الرحمه والمحبة بوجه عام، لن قلبه وترقه، عدائته للمرضى، سجاحة صلقه ودماه، عنيته لأولاده، معاهره لازواجه الظاهرات، هديه في المراسلة، معاملته لأمراض النفس وأمراض البدن.

وقد استقصى الحافظ ابن القيم في كتابه (زادات المعاد) كلما ي ينبغي معرفته عن النبي، وأحواله، فاستوعب ذلك أكثر من غيره من
المؤلفين. وعليكم فهرسة ما ورد فيه عن أحواله الخاصة وشغفته اليومية: هديته في ارتداء الكتيب والرسائل، هديته في الانكر والذكر، هديته في النقاب وصياغة الأهل، هديته في نومه وانتباهه، هديته في ركوب الدواب، هديته في العبد والأسماء، هديته في البيعة والشراة والتعامل مع الناس، هديته عند قضية الحاجة، هديته في أمور الغطرسة، هديته في قص الشارب، هديته في كلامه وسكونه وضحكه، وكأنه، هديته في خطبه، هديته في وضوئها، هديته في مسح الحفظ، هديته في التعب، هديته في الصلاة، هديته في الجلسة بين السجدين، هديته في السجود، كيفية توركته في القعدة الأخيرة بعد السجدة، هديته في جلوسه ومشاركته في الشهيد، هديته تسليمه عند الخروج من الصلاة، دعائه بعد التسليم، هديته في سجدة الشهو، هديته في السنن الربوبية، سر الصلاة والصلاة، وتشريع في الحضار والسفر وفي المسجد والبيت، هديته في قيم الليل (التهدد)، اضطجاعه بعد سنة الفجر، صلاته في الليل وترتره، صلاته جالسا بعد الوتر، قيت الوتر، هديته في قراءة القرآن وترتيته، هديته في صلاة الفجر، هديته في نزول الشكر، هديته في سجادات القران، هديته في الجماعة، هديته في عبادات الجماعة، هديته في خطبة الجمعة، هديته في الصلاة، هديته في الجمع، هديته في العيد، هديته في صلاة الخوف، صلاة الكسوف، هديته في الاستتباع، هديته في السفر والتحرك فيه، هديته في الجمع بين الصلاتين، هديته في تلاوة القرآن والاستتباع له، هديته في عبادة المرضي، هديته في الجنازة والإسراج بها، هديته في تسجيل البيت، هديته في السؤال عن البيت إذا حضرت جنازته، هديته في الصلاة على الجنازة، هديته في الصلاة على جنازة الصغير، هديته في تركه الصلاة على نائم نفسه والطحالبي، هديته في المشي أمام الجنازة، هديته في الصلاة على البيت الغائب، هديته في قيامه للجنازة إذا مرت به، هديته في التعبيرية وزيارة...
القبة، هديه في الاكثر من العبادة في رمضان، هديه في الصوم عند رؤية الهلال، والانتظار لرؤية الهلال، هديه في قبول الشهادة لرؤية الهلال، هديه في الانتظار في النافورة، الانتظار يوم عرفة، صومه أيام الجمعة والسبت والأثنين، هديه في صوم الوضوء، هديه في صوم التطوع والانتظار، ترك قضاءه، كراهية تخصيص الجمعة للصوم، هديه في الاعتكاف، هديه في الحج والعمرة، اعتباره مرتين في سنة واحدة، أداؤه الحج وходитьه في التضحية بيده، هديه في تضحية البذنة، هديه في العقية، أذانه في أذن المولود، وسميته، ختانه، هديه في تسمية الناس ويكيتهم، احترامه في الكلام، تعتبر اللامع، هديه في الذكر والدعاء، هديه في دخول البيت، هديه في ليشد البيت، هديه في المذبح إلى الخلاء والرجوع منه، هديه في الدعاء عند الرضوع، هديه في تزديد كليات الأذان، هديه في الدعاء لرؤية الهلال والدعاء قبل الطعام وبعد، وهديه في الطعام، وفي السلام، وأن لا يدخل أحد على الناس في بيوتهم إلا بعد الاستذان، هديه في الدعاء في السفر، عند النكاح، هديه في كراهية بعض الكليات، هديه في الغزو والجهاد، معاملته لأسرة الحرب والمعيد، وهديه في معاملة الجوابييس إذا أسروا، هديه في عقد الصلح، تأمين الحارب، وضرب الجزية، ومعاملته أهل الكتب والمنافقين.

لقد أجملت لكم فيما تقدم ما جاء في أحوال النبي خاصة، ليتينكم أنك إذا كانت هذه الأمور الدقيقة قد عني المسلمين بحفظها فإنك تكتم بالأمور الجليلة العظيمة الخطر، وكم بل أكل رواية الشريعة من عنايتهم في احصاء أميات السن والأسس الراسالة، واحصائها، وضبطها مفصلة، ورفس لهم إلى ذلك أن جميع وجوه الحياة البرية ومناتها والوانها قد صنعت وحفظت من أن تعبث بها أيدي الدهر.
إنتمائي. حسبكم الآن أنكم قد علمتم ما أردته في أول هذه
المحاضرة من وصف السيرة الحمدية بالكيال والهايم والباحة، وقد تبين
لكم صدق ما ادعيته لها من أنه ما من أحد من الرسل قد حفظت سيرته
وأحصيت أخباره وأحواله كا حفظت سيرة محمد واحصيت أخباره
وأحواله.

إن الوقت ضيق، والذي أريد أن أفضله به الكحكم المتنوع ومترامي
الطراف وكثير المتاحي، فانا أجمل لكم في القول ما استطعت، وأرجو
منكم أن تسمعوا له. إن النبي، إذن لأصحابه وللضيبييك من آل
يلمنا عن فن شام عنها، وهذا الآن عام لما يكون عن في بيته وبين أهل
وعياءه، وأما ما صدر عنه في حقئه مع أصحابه، أو ما يقول عليه من
أعينه وأحواله عند تعبده في مسجده، أو قيامه على منزله خطيبا، أو
جهاده في ساحة الحرب تجاه أعدائه وهو يسبو صوف المجاهدين في
سبيل الله. أو إذا خلأ إلى ربه في حيرة متعزلة في بيته يعبد الله ويتضرع
اليه، فكان أزواجه وأصحابه يتحدثون جيلا بكل ما يصدر عنه من قول
وعمل. ثم أنه كان تجاه مسجده صفة يأوي اليها فقراء الصحابة الذين
لم تكن لهم بيوت بأعيان اليها، فكانوا يتناوبون الخروج إلى ما بعد بنيان
المدينة يحتذرون من إشجار الصحراء والجبل ويعبرون ما يأتون به فيقاتوا
جميعا ينتمي، ولم يكن لها،عمه غير صحبة النبي، ولا مجموع جيشه
لبيحظوا عنه ما يقول وما يعمل ثم يرويه للناس بعناية وراما، وقد بلغ
عدد أهل الصفة هؤلاء سبعين رجلا كان منهم أبو هريرة الذي لم يكن
صحابي أكثر منه حديثا عن رسول الله، ورؤساء السبعون كانوا كآبهم
جواسيس الحكومة وعيونا في نشاطهم وأخلاصهم لما يسرهم اللهم له من
حفظ كل ما يستطيعون حفظه ما يدخل في موضوع الحديث النبوي لا

95
يفترون عن ذلك آناء الليل وأطراف النهار، وقد استمر الحال بينهم على ذلك يومياً مدة عشر سنوات متوازنة، وإذا ارتحل عن المدينة في غزوة أو حج كانوا معه، وكذلك غيرهم من الصحابة، حتى لم تخف عنهم خافية من أمره، ولم يجب عنهم معنى من معاني رسالته، ولم سار إلى تبول كان في معسكره ثلاثون ألفاً، ولم يحج حجة الوداع جمعه في تلك السنة مائة ألف مسلم يطبق عليهم عقول الصحابة، وما منهم إلا من يحرص على الوقوف على شيء من هداية نبيه، أي أرم من أمره فيتحدث عنه. بل هو الذي أمرهم أن يبلغوا عنه ما يسمعون منه أو يرون من تصرفاته، فإن فلكلم به بعد ذلك هل يشف عن التاريخ وجه من وجه حياته أو ناحية من نواحيها. هذا من جهة أصحابه، وأما أعداؤه فإنهم أفرغوا جهدهم، واستنفروا سعياً ليقروا على دخيلة من دخالته وليؤخذوا بحقيقة يعلمها عنه، لعل يستطع أحد منهم أن يجد له ناحية ضعف ولا ما يشدد به. وأفظ ما استطاع أعداؤه في كل زمان، وكنا أن يقولوه عنه أنه سل سيفه للقتل وأنه كان كثير الأزواجه. وقد تبين لكم مما سلف أن حياته الطاهرة التي فصلينا حقيقتها تفصيلاً، واحتنا بجوانبها علية، هي حياة المصمة من كل نقص، البريئة من كل عيب، فإن هذا من حياة لا تعلم عنها شيئاً، ولا تزال نواحيها ووجودها سراً في ضمير الزمن.

أخواني، أريد أن أفت انتظاركم إلى أمر آخر: إن الرسول لم يقف حياته كلها بين أحباه وأصحابه، بل قضى أربعين سنة من عمره في مكة قبل أن يبعث، فكان بين أهلها مشكراً قريش، وكان يتعامل فيهم التجارة، ويعملهم في أمور الحياة ليل ونهار، وهى الحياة اليومية وما تتطوري عليه من أخذ وعطاء، ومن شاهد أنها أن تكشف عن اخلاق المره.
فيتين للناس فسادهما وصلاحها، وهي عيشة طويلة طويلة كثيرة
معظمتها وعزة مساكنتها، تنتشرها وهدات ما قد يصدر عن المرء من
خيانة واخباره، وأكل مال بالباطل. وعقبات من الخديعة والخيانة
وتطفيف الكيل وبخس الحقوق واخلال الوعود. وإن الرسول ﷺ اجتاز
هذه السبل الشائكة ووفرة ولئن منها سلامة نقيا لم يصبح شيء مما يصير
عمامة الناس، حتى لقد دعوه الأمين، وإن فريقيا بعد بعثته وادعائه
لما هاجر من مكانه عرف فيها عليا ليد ما كان لديه من الوذائع التي
اهلها. فقرش خالفوها أشد الخلاف في دعوته ولم يتركوا سييلا عما
السلك أو فقاطره ووعاندوا وصدوا عن سبيله وذروا عليه سل جوزر
وجه، ورفموا بالحجارة وأرادوا قتله وكادوا له كيدهم ومضموحاء
ودعوا شعرا رفموا آراءه وسخروا حرمه، لكنهم لم يجرؤ أحد منهم على
أن يقول شيئا في اخلاقه، ولا أن يرميه بالخيانة. أو ينسب إليه الكذب في
القول أو إخلاف الوعود أو تخافر الأذمة أو نقص العهد. وإن من ادعت
البيرة وقال أن الله يعطيه إليه فكانه أدعى العصمة والبراءة من جميع المناماد
ومنسوبي الأعداء. لم يكن يكفي قريشيا في ردهم على الرسول أن
بذرموا أمورا عمل فيها الرسول بغير الحق وأناشهدنا عليه بأنه أخففهم
وعدا أو خانهم في مواهب أوكذبهم في شيء، ما قاله لهم؟ إن فريقيا أوقفوا
مواهبهم وداعوا نفسهم في عداء الرسول ورضوا بألفات أكبدهم في
فتيلة حتى قتل منهم وجرح كثيرون، ولكنهم لم يستطيعوا أن يدعوا ذيله
الطاهر ولا أن يصمكون شيء في عظمي اخلاقه، وكذلك أحوال الرسول
ويستحقه وجهته ظاهرة لجميع الناس معلومة لهم، استوى في ذلك إجابه
واعدا وليم يخف علىهم شيء من أمره.
كان عظاء قريش مجمعين ذائو يوم في نادهم، فجرى ذكر

97
الرسول ﷺ وفيهم النضر بن الحارث وكان رجلاً داهية عينيًا وعماً بالإخبار فقال لهم: يا معشر قريش، لقد أعياكم أمر محمد، وعجزتم عن أن تذبحوا فيه رأياً لما اصابكم به، إن عمداً قد نسا فيكم حتى بلغ مبلغ الرجال، وكان أحب الناس إليكم رأيهم فيكم واتخذتهم أمنًا، فلما خطب النبي وعرض عليكم هذا الأمر قلتتم ساحر وكاهن وشاعر ويحنون. نسأل الله نجاح كلمة فليس فيها شيء ما ذكرتم.

وأبو جهل كان أشد الناس عداوة للرسول ﷺ، وقد قال له ذاكر يوم: يا محمد، إنني لا أقول أنك كاذب، لكنني أحلم الذي جئت به وما تدعو إليه. فنزل الله هذه الآية: (قد تعلم أننا ليحزنك الذي يقولون، فإنهم لا يكذبون ولكن المنافقين بياياً الله يهذدون) الأعراف (34).

وأما تلقى الرسول ﷺ أمر ربه بأن يدعو ذوي قرباه إلى الإسلام ويذر عشيرته الأقربين صعد الجبل ونادى: يا معشر قريش، فلما اجتمعوا قال: هل كتم مصداقي إن تلقى جيشاً قد بلغ سفح هذا الجبل؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبنا قط (صحيح البخاري: سورة تبت).

وأما أرسل النبي ﷺ كتاب الدعوة إلى هرقل عظيم الروم دعا هرقل أبا سفيان ليسلمه عن هذه الدعوة وصاحبهما. وأئتم تعلمو أن أبا سفيان كان يبحث عل العدارة للإسلام ورسوله مدة ست سنوات متوالية اقترنت بحشد المقاتلة واستفاد الشركين لجرب المسلمين. وانظروا إلى هذا الموقف بدمع فيه عدو ليسأل عن عدوه اللدود الذي ينتمي لواستطاع أن يقله ويحُر اسمه ويُثنى من شأنه، ثم بدمع إلى مجلس رجل عظيم صاحب سلطان ليشهد عده في عدوه. فسأله هرقل عن النبي ﷺ:
- كيف نسيه فيكم؟
  قال أبو سفيان: هو فينا دوناً.

- هل قال هذا القول منكم أحد قبله؟
  قال أبو سفيان: لا.

- هل كان من آبائه من ملك؟
  قال أبو سفيان: لا.

- فأشار الناس إليه أم ضعفاً؟
  قال أبو سفيان: بل ضعفاً.

- أيزدرون أم ينقصون؟
  قال أبو سفيان: بل يزيدون.

- فهل يرى أحد منهم سخافة لدينه؟
  قال أبو سفيان: لا.

- فهل كنت تتهمونه بالكلب؟
  قال أبو سفيان: لا.

- فهل يغدر؟
  قال أبو سفيان: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فيها.

- ماذا يأمركم؟
  يقول: أعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، وأتركوا ما يقول
  آباءكم، وبامتننا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلاة (1).

(1) البخاري ك 1 ب 90
فهل تجدون شهادة أعظم من هذه الشهادة؟ إن الموقف حرج، والسائل ملك ذو شمكة وقوة، يسأل رجلاً مالاً الضغف صدره عن أمر الرسول فلا يقول فيه إلا الصدق والحق. فهل تجدون رسولاً كاملاً أعظم من محمد؟ وأي شهادة أصدق من هذه الشهادة؟ إن تاريخ الرسول أعجز من أن يأتي بثليها عن غيره.

سادتى، أريد أن ألفت انتظاركم إلى أمر آخر جدير بأن تهتموا له وتعدوا به، ذلك أن الذين آمنوا بمحمد أولاً لم يكونوا من صيادي الشواطئ، ولا من الذين استعدهم فرعون مصر، بل كان الذين آمنوا بمحمد أولاً رجالاً من أمة عريقة في الحرية ذات عقول ناضجة وفطنة، وهم خاسرة وجميلة، لم تكن نفوسهم حكومة قاهرة، ولا ذلت أنفسهم دولية قوية منذ فجر التاريخ، وكانت لهم تجارة واسعة النطاق تصدر فيها وترد سلمهم وأمتعتهم بين بلاد وبلاد، وكانت مملكة فارس وبلاد الشام وحضر وأسيا الصغرى مصرهم وموارد تجارتهم، واحتكاكهم بالأمم المتحدة، ولقائهم الرجال من مختلف الأمم تتفقت آراءهم واتسعت عقولهم، وازدادت تجارتهم. يدل على ذلك ما أثر عنهم من الإحكام وما وصل اليها في صفحتن التاريخ من الأخبار. وكان من هؤلاء نوادي قاد الجنود وانتصر بها نقد من أعظم القادة الفاتحين، وكان منهم من ساس البلدان وحكم الناس فاحسن الإحسان كله في سياسته وحكمه حتى عدى من أعداء الولادة وأحكام الحكم سياسة ونبراءة. وهل يسوع في المثل أن من آتي مثل هذا العقل الراجح والملاذ عملي والرأي المميز ينفي عليه شيء من أمر هذا الرسول، ويتصدح به! هؤلاء الرجال هم الذين نقلوا عندها شهدوه بأنفسهم وسمعوه بأنفسهم وكأنوا يرون الانتماء به سعادة لهم، والاهتمام بهديهم شروفاً لهم في الدنيا وذكرهم في الآخرة، فاقتفوا آثاره، وسلمو سبيله، واستنوا بسته وهذا دليل واضح على أن
الرسول الكامل بأنه على الحق، مما لا يرده ولا يجادل فيه إلا مكابر.

فإن رسول الله محمدًا لم يحاول أن يخفى عن الناس أمرًا من أمره، ولا أن يكتمهم حالة من حالائه، لذلك عرفونا كما كان في الواقع، وهو الآن في أذهان عقولكم كما كان في أعين مشاهديه. يقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد عاشته زوجته مدة تسع سنين: لا تصدقوا من يزعم أن محمد رسول الله قد كتب مما أوحى إليه فلم يسدد للناس إذ يقول الله تعالى (يا أيها الرسول بلغوا ما أنزل إليكم من زikut، وإن لم تفعل فما بليت رسوله) المائدة.

إن من طبع الناس - ولا سيا من يقوم لهم بالإصلاح والهدية والتهديب - أنهم لا يحبون أن يظهر للناس من نفوسهم ما يؤخذون به أو يعاب عليهم. وفي القرآن الكريم عدة آيات نبأ الله فيها رسوله على بعض خطاه، فكان الرسول يعلو هذه الآيات كلها على الناس، ويدعوهم إلى حفظها وإلا تلاواتها في الصلاة والمسلمة، ولا تزال هذه الآيات - كأخواتها - تلت بالسنة أتباع محمد رسول الله ﷺ، فحيثا يبلغ انتشار الدين المحمدي ودينه، يكثر أوقليل من الناس تلقى هذه الآيات، ولولا أن هذه الأمور ذكرت في القرآن لما انتشر العلم بها هذا الانتشار، وهكذا السيرة الظاهرة والحياة الكاملة هي التي تضع للجميع بمقابل وضع النياه

أو أشد.

كان العرب في الجاهلية ينكرون نكاح الرجل مطلقة مبتهنة، وقد تزوج الرسول زينب التي كانت من قبل زوجاً لبتهنة زيد بعد أن طلقها، فوردت هذه القصة في القرآن ببيان صريح، وإن أم المؤمنين عائشة

(1) صحيح البخاري، في تفسير هذه الآية.

107
تقول: لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن لكنت هذه الآية (أي قصة طلاق زيد لزوجة زينب وزواج النبي بها) لكيلا يسيء نفهمها الجهلاء وضعاف العقول، لكن الرسول لم يفعل ذلك. ليس هذا ما يدل على أنه لم يكتم من أمره شيئا ولا خفي على الناس شيء من سيرته.

وأذكر بالذكر شهادة الفاسيو الانجليزي ياسورث سميث الذ:

يقول: لا ترى الشمس هنا بارزة ببضاة تثير أسحابها كل شيء وتصلى إلى كل شيء. لا شك أن في الوجود شخصيات لا تعلم عنها شيئا، ولا نعرف حقائقها أبدا، أو تبقى منها أمر مجهول. بيد أن التاريخ الخارجي لمحمد نعلم جميع تفاصيله من نشأته إلى شبابه، وعلاقته بالناس، وروابطه، وعاداته، وعلم أول تفكيره، وتطوره وارتباطه التدريبي، ثم نزول الوحي العظيم عليه نوبة بعد نوبة، وعلم تاريخه الداخلي بعد ظهور دعوته وأعلن رسالته وان عندي كتابه (القرآن) لا مثل له في حقيقته وفي كونه محفوظا مصونا وفي عهد التزام الترتيب في معانيه، وانه لم يستطيع أحد ان يشك في تفاهه على أساس الصدق شكا يعتد به، فهو عدنا مثل لروح عصر ومرارة لبيته، فهو لذلك بريء من كل تصفح أو تكلف. وانه بعدم التزام الترتيب فيه، وفي تتعلقه عن شيء، وضده معنوب لنا، غير أنه عامر بالفكر والعظيمة. فترى منه نفس ملؤه بملك الروحانية، مرتبطة بها، مقصورة عليها، ثمرة بامر الله مع الفضعف الإنساني الذي لم يدع أنه بريء منه، بل أكثر دليل على عظمة مهدي أنه لم ينفع قط أن بريء من ذلك (ص 10). وقول جبين: هم ينجح في الامتحان العسير رسول من الرسل الأولين من بداية أمره كما نجح محمد حين عرض نفسه باديء ذي بدء - بصفته رسول الله يرحى إليه -

102
على الذين عرفوا ضعفه البشري وعرفوه أكثرما يعرفه غيرهم، فعرض رسله على زوجه وعبد العينه، وابن عمه وصديقته القديم الذي لم يتحول عنه، ولم يغفلها وحوله، فهم الذين سيقولوا الناس إلى الإبل، بنويته. إن نصيب الإبلاء تقلب في حق مدني، وتغيره كان عليه في رحى من الرجل، فلم يكن محمد غريبوت إلا من الذين لم يعرفوه. فهذه الشهادات على أن من كان يعرف الناس برسول الله واقترح إلى الله كان أشدهم إيمانا برسالته، وأما الرسول الآخرون فكانوا الأجانب والغرباء الذين لم يعرفوه إلا قليلا هم الذين سيقولوا إلى الله، بنويته. وتذكره عن الإبلاء، بنويته، وذكره، وذكره، الذين كانوا أكثر معرفة بهم. وهكذا كان المؤمنون برسالة محمد، هم أعرف الناس بحقيقة، وانتهى اطلاعهم على أحلاله وسينه وفتيه، وقد بلغ كل منهم في سبيل هذا الإبلاء بلاء عظما وامتنان احتراما شديدا، حتى أن خديجة زوج النبي قضت معه ثلاث سنوات محرمة في شعب أبي طالب تقديم معه الجوع والظلم، والفاقة المنهكة. وأبو بكر صحبه النبي يوم ضاقت به أرض مكة، فخرج معه مرديا ظالم الليل خائفا ينضب، والدوى في أمرها يعقب مواطنة أقدامها، فقام أبو بكر بحصن الصحابة، وكان الرفيق بهم الصديقة، لما على نبات على فرش الرسول الذي كان المشروكون قد بنيوا الفتح به. ورغبه زيد حلم من النبي الكريم معه، وطلع عليه ورفاته، فلي جاء أبو، الذي ولد من صله يطلب، رد ابنه عليه خبره رسول الله، بين أن يصحب أباه أو يبقى تحت جناحين من عطف الرسول ورفاته، فاختار صحبة النبي على الرجوع معه إلى Appology، يقول:(props in كتابه (الاعتبار عن UMAD و القرآن) أن اتباع عيسى (عليه السلام) ينبغي لهم أن for MD. and Quran
يجعلوا على ذكر منهم أن دعوة محمدٌ أحدثت في نفوس أصحابه من الحميم ما لم يحدث مثله في الابتعاد الأولين لميسري (عليه السلام)، ومن بحث عن مثل ذلك لا يرجع الأخبار، فقد هرب الخوارجون وانقضوا عن ميسري حين ذهب بيه اعداؤه ليصلبوه، فذلله أصحابه وصاحوه من سكرتهم الدينية وأسلموا نبئهم لاعداهم يسقونه كأس الموت. أما أصحاب محمد فالفقوا حول تبعهم المبغي عليه ودافعوا عنه خاطرين بأنفسهم إلا أن تغلب بهم على أعدائه (انظر الترجمة الأوردية ص 262).

ومن غير مطبوعة برلين سنة 1873.

ان الذين دافعوا عنه وقتلوا دونه وندوه بأنفسهم قد عرفوه حق المعرفة وعلموا ستهميدي وخلقته، ولولا أن حياة الرسول كانت عظيمة كاملاً، ونفسه كانت أجح الابتراض اليوم، وأعظمهم في أعين أصحابه وأحبابه، لما فذوه بأنفسهم. ومن أجل ذلك كانت حياة النبي اسوة لأصحابه وحبيته دسية لمحبة الله فقال الله عز وجل: (قل إن كُنتُم تُحبون الله فاتبعون الله فاتبعوني يُحبكم الله). فجعل اتباع الرسول في أخلاقه وأعماله والاغتناء بسته وديثه، من علامات جمهور الله، ومن السهل أن يعدل الإنسان.
نفسه حية لديه لأمر يعرف له فجأة، ولكن من العسير أن يقنع اليم
مدة حياته كليها في جميع أطرافها وشبيها ومتحاها بمهدي شخص وسننها
اقتداء كاملا لا يتجز عنه ولا يعدل إلى شيء غيره، أما أصحاب محمد
رسول الله ﷺ فهم اتبعوا في جميع اختلافهم وأعمالهم وسائر نواحي
حياتهم وطرقهم واقتراهم وأثروا وامتحنا في ذلك امتحانا شديدا وبلوا فيه بلاء
عظيما ثم خرجوا من هذا الامتحان فائزين. وإن الولع الشديد بالرسول
والنجمة الصادقة له قد حمل الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ثم
المحدثين ومؤلفي السير والمؤرخين، على أن يعنوا عناية كبيرة بجمع كل
ما يتعلق بالرسول ﷺ من نول وعمل، وأمر وبهي، وحديث وخلق،
وأن يبلغوا ذلك الذين يأتون بعدهم، فلحسنوا كل الاحسان ورفقا هذه
المهمة حقا، ليعمل بهذه الهدية كل مسلم ما استطاع، ولولا أن حياة
محمد ﷺ كانت كاملا وعظيمة في عيون أصحابه لما اعتبروا اتباعه شرفًا
هم وكيالا وله أثر في الامتداد به مناك العاداة وإصلاح الدنيا وقوام الخير.
فالإسلام قرر أن حياة محمد ﷺ الله الكامل لجميع المسلمين،
وينفي بيان جميع نواحيها وشبعها ووجوهها للناس كافة. وقد حقق
المسلمون ذلك وحرصوا على تعرف ذلك وبياته، فلم تخف منه خفية،
ولم تفقد ولا حلقة واحدة من سلسلة الحياة البشرية المباركة، فجميع
المراحل وتشونه مسطورة في كتب التاريخ، ومن ذلك يستدل على أنها
كانت حياة كاملة طاهرة بريئة من كل نقص، ولا تكون حياة بشأة
للناس إلا إذا كانت واضحة ناصحة معلومة من كل وجهها وثوابيها
جامعة لجميع المحامد شاملة لأموم الأخلاق وأحسن التعاليم.
لقد كانت بلاد بابل والهند والصين ولصر والشام واليونان والروماني
حضارات زاهرة ومدنية عظيمة وثقافات عالية، وقد كانت لأعمال تلك

105
البلاد سنن في الأخلاق اتخاذ منها أصولاً وضوابط للثقافة، وأداباً للمعاشرة: في الشهاد وال),$السعود والشعب والشعب، واتخاذوا مناهج خاصة بعيشتهم، ووضعوا أداباً هم في الزواج وآملاً في الملابس، وكان لهم هدي في نورهم ويقطنهم وحدود في لقاء الناس والتعامل معهم، وسوا لانفسهم سنن في الرسوم، ورسوماً رسمياً للمهنة والتعايدة وتكفين الموت والموت، ولم يتركوا حالاً من أحوال الإنسان - من عبادة المريض ومصافحة الأخوان وقضاء الخسان والاستنجان - إلا اتخاذ لها السن والرسوم والأداب - فنشأات من ذلك أصول وقواعد لمدائينه وثقافته. ودبيبي أن هذه السن والأداب لم تتم لهم إلا في قرون متطاولة، ثم درست آثارها وبيعت رسمها وطمست معالمها، فكان قيامها واكتشافها في زمان طويل، وزواها في مدة قليلة. أما مدنية الإسلام وثقافته فإن قيامها واكتشافها وظهور جهاتها في سنوات قليلة ولا تزال مدنية الإسلام وثقافته مستمرة ومعمولها بها في الدنيا منذ أربعة عشر قرنًا بين أمين شتي وأقدم مختلفة يستوى في ذلك العربي والهندي والغربي والغربي، لأن المسلمين ابتسموا ذلك من مشاكاة نبيهم ﷺ وواسوا فيه حياتهم الكريمة، فاستنستيرته بهذا النور حياة الصحابة، وانعكست إضافاتها على حياة التابعين ومن جاء بعدهم، فنشأت عن ذلك بيئة صلابة زكية، وكان منها لمعالم الإسلام كله أسسه حسنة في رسومه الفاشية وآدابه القرية. ويمكننا أن نقول بعبارة أخرى: إن الحياة المحمدية كانت مركز الدائرة، فتجه الصحابة فخطوا حول نقطة المركز مخطوطة تثبت بها تلك الدائرة وتلف المسلمين بعد ذلك من حولها. وإذا كانت المدينة الإسلامية لم تقيل اليوم في مثل كليها الأول وجمالها الأسنى فإن آثارها لا تبرح بقية تلمع، والمسلمون يتقرون تلك الآثار التي يرمونا هذا. وقد علمتنا أن حياة محمد ﷺ كانت في باديء الأمر قدرة لجميع
الصحابية في حياتهم فكانوا يبتعدون بهديه، ويسترون بسنته، ثم كان لسائر المسلمين أسوة حسنة بها يتذكرون مثالا كاملا لهم ولا تنفك صورتها معروفة لهم باقية فيهم. ولو أن قبيلة من رثى الهند أو أفريقية تصرفت ودخلت في دين المسيح عليه السلام فلها تأخذ مسبحينها من الانانجيل، أما مدينتها ومنهاج حياتها في مظاهرها وأوضاعها فإن تلك القبيلة تأخذ عن مدينتها أوربا ولقائها ومنهاج حياتها، وليس ذلك من المسيحية في شيء. أما الإسلام فذا دخل في هدايتة قوم جدد لم يكونوا مسلمين من قبل، فإنهم كا يقتبسون دينهم ما كان يدعو إليه النبي، فإنهم من هديه ومن ستة أيضا يتعلمون آداب العشيرة ومنهاج الحياة الاجتماعية وطرق الحياة، وإن تعاليم الرسول من أدب وخلق ومعاصرة هي التي تؤثر في أخلاق المسلمين فتصاغ في هذه الزيتنة حتى تسبك بها في أركي قالب. وقد قال يهودي مرة لأحد الصحابة وهو يعرّض بالإسلام: إن رسولكم علمكم كل شيء، حتى بعض الأمور الحقيقية، فاجابه الصحابي وهو مختط: نعم، إن رسولنا يعلمنا كل شيء، حتى آداب الخروج الى الخلاء.

وذلك نحن لا نزال نقدم للناس تلك السيرة الكاملة التي هي لنا سراج راهب في جميع شؤون الحياة البشرية، فكان السيرة المحمدية مرآة صافية للمدنية كلها، يرى فيها كل أنسان صورته ووجهه، ظاهره وباطنه، قوله وعمله، خلقه وأديبه، مديه، وسنته، ونافذناه أن يتصفح أخلاقه ويتقق عوجه بحسب ما يراه في تلك المرآة الصافية.

لأجل ذلك لا ترى أمة مسلمة تبحث في خارج دينها وثناء عن سيرة نبيها إلا أنها في غنى عما هو أخذه عنها، وعندها في هدي سيرة نبيها.
الميزان القوي والمظطام المستقيم، الذي يبين به ما في العالم من خير وشر وتمييز به الحق من الباطل. وفي الحق إن العالم كله لفي حاجة شديدة إلى سيرة بشر كامل تتخذ من حياته الأسوة العظمى، وليس في الدنيا إنسان كامل يعرف التاريخ سيرته على التفصيل كما يعرف تفاصيل حياة محمد صلى الله عليه وسلم. فالناس كلهم في أمس الحاجة إلى أن يتخذوا من السيرة المحمدية منهاج حياتهم، ففيها الأسوة الطاهرة، وهي الحياة المثالية للناس جميعاً.
المحاضرة الخامسة
في آشوراً موسى بن منسيمة

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونه يًعَمَّكم الله).

سادتي: إن جميع الأديان والنحل حثت الناس على اتباع أصحاب هذه الأديان، وأن يقتدوا آثارهم، ويعملوا (بقوله) أنبئاؤهم، لينالوا بذلك رضاء الله وحبته.

أما الإسلام فقد اختار طريقاً آخر كبيراً من ذلك، وهو أنه قدم للفتنة (أعمال) نبيه، وعرض عليهم التأسي به في سيرته كاملة ليس فيها خرم. وجعل اتباعهم لذلك السيرة وتأسستهم بصاحبه وسيلة لهم في الوصول على رضاء الله ومحبة. لاحذ ذلك ترى في الإسلام مرجعين: كتاب الله، وسنة نبيه. فآحكامه تعالى قد جاءنا في كتابه وهو القرآن الكريم، وفي سنة نبيه، والسنة في اللغة: الطريقة، والمراة بها في اصطلاح الشريعة الإسلامية الطريق التي اختارها الرسول، وسجّلها عما باحتمام الله. فمعنى السنة إدن الأسوة النبوية رصية الرسول الطاهرة التي أثرت عنه وبلغتنا كاملة في كتب الحديث الصحيحة، والمسلم لا ينفع في دينه ولا يكمل في اسلامه إلا باتباع السنة النبوية وحدها.

وليس من الممكن أن يكون جميع الداخلين في دين من الأديان من طائفة بشرية واحدة، أو أن يكونوا من شعب إنساني واحد، لأن الدنيا قد قام بثنائها على التنوع في الأعمال والاختلاف في الأفعال، ولا أن الناس مختلفون في مهنهم ومكانهم وإ حياتهم وعاشاقهم ومحاكمهم، وهم 109
يعتنون ويساعد بعضهم ببعض، تَحَرِют الدنيا. ولا بد للعالم من ملك أو رئيس جمهوري أو ول يتوال أمرهم العامة وحاكم يحكم فيها بينهم فيه يُنَتِفون فيه. وكذلك لا تخلع الدنيا من رعاية يرعى أمرهم رئيس، ومن محكومين يحكم منهم حاكم، ومن خصوم ي قضى بينهم قاض بالعدل، ليسد الأمن ويسبب السلام. وكذلك الأمم تحتاج إلى أن يكون لها جنود يتداخلون عن كثبها. وأن يكون على الجنود ضباط وقادة. وتشد فيهم الفقراء الذين يعانون الشدة والوسوء كن تجسد فيهم الاغتياء من أهل الرف والسرف. وفيهم عبادة الله يقومون بطاعته في جوف الدهر، وظهروا في منع الدنيا وزخارفها، ومجاهدون في سبيل الله يقارعون الباطل ويجبون الحق في الأرض. وكذلك نرى في الدنيا العائلين الذين يجدون من يعولهم، وترى فيها ليف من الأصدقاء المتحابين، وطوارئ التجار والمحتفين، وأصحاب المصالح والمعتقل. وهكذا الدنيا لا تخلع من قادة الأمم وساعة الشعب ورعاية الأحزاب. وعلى شتى الطوائف ومختلف الفرق قام نظام هذه الدنيا، وكل منهم يحتاج في عمله إلى حياة مثالية وأسورة كاملة ينتدي بها ليكون سعيداً في الحياة. والإسلام دعا جميع هذه الفرق والطوائف والأحزاب لان يتحوا سنة محمد، ويقفوا أثناه ويسكلوا طريقه. ومن تبع ذلك بعينه لان السنة المحمدية تكفي جميع شعوب البشر وطوارئهم وفرؤهم، إذا استاذوا منها الأسوة والقدوة، ففيها النور الذي يستضاء به في ظلال الحياة الاجتماعية، وكم من ظلما حاكمة في الحياة 1 ومن هنا نعلم أن سيرة محمد رسول الله جامعة تجد فيها كل طائفة من طوائف البشر المثل الأعلى الذي تنتدي به والأسوة التي تأتي بها. ومن الظاهر الوضوح أن حياة المحكوم لا تصلح لأن تكون قذوة حياة الحاكم، كما أن حياة الحاكم لا تصلح لأن تكون قذوة حياة المحكوم. وكذلك الفقر المعدم لا ينسى له
ان يسير في معيشه على ضوء من حياة الفناني المسرى. ومن ثم مست
الحاجة إلى أن تكون الحياة المحمية جامدة بذاتها في الناس كلهم على
اختلاف طول ذاتهم الأسوة الكاملة في جميع ألوان الحياة وأطوارها. وإن
مثلها كمثل الباقية الجامعة لكل أصناف الزهور والورود بجميع الوادي:
ففيها الأحمر الفاني والأبيض الناصع والأصفر الناضر والأصفر القاع.
وفي البشر طواتيف مختلفة وفرق شتى تحتاج كلها إلى حياة مثالية تكون
توفيرها لها في حياتها ومعيشه. ولكل إنسان من هذه الطواتيف أعمال
وأحوال تقلق عليه بتقلب الظروف: بين قيام وقعود ومشي وأكل وشرب
وتوم وبقية وضحك وبكاء وارتقاء الملابس وخلعها وأخذ وعطاء وتعلم
وتعليم، وقد يقوم حتف الله أو يقتل، ويكون حمضاً للغيرة أو يحتاجا
لإنسان الآخرين إليه، وقد يكون في عبادة ربه أو في معاملة الناس
معارثتهم، وقد ينزل على غيره ضيفاً أو يستقبل الضيف ويقيم له بحقي
القرى. هذه الأحوال وغيرها تطرأ على الإنسان وتعرض له فها يتعلق
بجسمه وجواه في يحتاج في كل حال منها إلى هدابة نافعة وأسورة كاملة.

وأعظم من الأسوة في أعمال الإنسان الظاهرة، الأسوة فيما يتعلق
بخطرات القلوب وبحالات الفكر ونزعات العواطف، فنحن نشعر بين
كل حين وأخر بنزعات وعواطف تغليج قلوبنا وأفكارنا، فنرضى
ويسخط، ونفرح ونحزن، وتعتنينا السكونة والطمأنينة أو القلق
والضجر. وترتب على هذه الأحوال عواطف مختلفة وتوافر متعددة.
وليس الخلق الحسن إلا التعديل بين هذه الأحوال وإقامة الوزن بالقسط
بين العواطف القوية والسواقة الثائرة. ولا يحظى بنصبه من مكارم
الأخلاق إلا الذي يعرف كيف يكون النفس عند جمهوره ويعن المنصرف
فيها وقت ثورتها. ومع ذلك فلا بد للإنسان من إمام تكون له فيه الأسوة

111
الناية في هذه الامور فيائم بله في قهر هذه القوى الثائرة والعواطف المتونية إلى أن تسكن ثورة نفسه ويسلك في ذلك مسلك قدوته الأعظم وهو النبي الذي يحمل بين جنبيه قلبا زكيا ونفسًا طاهرة وروحًا عالية نزيهة.

وهكذا المرء في كل خلة من خلايا العزبة والشجاعة والشأن والتوكل والرضي بالقدر والصبر على النزاعات والتضحيات والقناوع والاستغذاء والابتهاار والجود والتواعPHPUnit والمسكنة، وسائر ما يطرأ على البشر في منفسح حياتهم وسدي عيشهم، وما ربما يعترث هذه الخصال في ساعات مختلفة من مضطرب حياة الإنسان، فإنه يحتاج في كل ذلك إلى أسوة وبداية من سباق له العمل بذلك، واتن إلى هذه الأسوة الكاملة والهدية التامة إلا في حياة محمد رسول الله.

إن حياة موسي عليه السلام تمثل لنا القوة البشرية العظيمة والبطل الشديد، ولكننا لا نعرف في المثير عنه ما تكون لنا فيه الأسوة من ناحية دماثة الخلخ، وخفض الجناح وسجاينة النفس وساجتها، ونها نعرف من حياة المسيح نماذج لسجاينة النفس ورقة الطبع ودماثة الخلخ، وحسن الجانب، ولكننا لا نجد فيها روابي من أخلانه وأعماله تناصيل عن شروء حياته وسحره تحرك ساقه القوى وتشير كواكمن النفس وفتح معه المرافخة. والإنسان في حياته يحتاج إلى هذا وهذا، فكما يحتاج إلى ما يهيئه لا أيه ولا يهيئه جائزة يجتاز كذلك إلى ما يشير الكامن من هذه القوى ويفيض ساقه ويسير المراحي منها، إنه في حاجة إلى حياة يتخذهها نقاء له في مطهر الحلالين المختلفين، على أن يكون بيد صاحبه ميزان العدل بالجموعة الشريعة كفاحه، ولكن الجمع بين هائتين الخصال المختلفتين جمعا قوى وغريب الوجود إلا في حياة محمد، كان هو الذي مثلت حياته أعمال كبيرة متنوعة بحيث تكون فيها الأسوة.
الصالحة والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية في جميع أطوارها لأنها جمعت بين الأخلاق العالية والعادات الحسنة والعواطف النبيلة المعتدلة والنوازع العظيمة القوية.

إذا كنت غنياً مثرياً فاقتيد بالرسول ﷺ، عندما كان تاجراً يسير بسلامه بين الخجا ز وسام، وحين ملك خزائن البحرين، وإن كنت فقيراً مصدماً فلتكن لك أسوة به وهو عصوري في شعب أبي طالب، وحين ندم إلى المدينة مهاجراً إليها من وطنه، وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئاً. وإن كنت ملكاً فاقتيد بسنته وأعماله حين ملك أمر العرب وغلب على أفقهم ودان لطاعته عظيمهم وذووه أحلامهم، وإن كنت رعية ضعيفاً فلك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة أيام كان يحكمها بركة في نظام المشركان. وإن كنت فائلاً غلباً فذلك من حيائه نصيب أيام نظره بعدوه في بدر وحنين ومكة، وإن كنت متهمزاً لا قدر الله ذلك، فاعتبر به في يوم أحد وهو بين أصحابه القتلى ورفقائه المتنحرين بالجراح. وإن كنت ملكاً فاتنقاً إليه وهو يعلم أصحابه في صفة المسجد. وإن كنت تلمذاً متعلقاً فنصور مقعدته بين يدي الروح الأمين جائياً مشرداً. وإن كنت واعظاً ناصحاً ومرشداً أميناً فاستمع إليه وهو يعظ الناس على أعداء المسجد البشري. وإن ارتدت أن تقيم الحق وتصدح بالمعروف وأنت لا ناصر لك ولا معين فاتنقاً إليه وهو ضعيف بركة لا ناصر ينصره ولا معين يعينه ومع ذلك فهو يدعو إلى الحق ويعمل به. وإن هزمت عدرك وخلصت شوكته وتهزت عباده، فظهر الحق على يدك وزرع البطل واستب لك الأمر فاتنقاً إلى النبي ﷺ يوم دخل مكة وفتحها. وإن أردت أن تصلح أمرك وتقوم على ضياعك فاتنقاً إليه وقدك ضياع بني النضير وخيرك وفركدك كيف دبر أمرها وأصلح شئيها ووضيعها إلى من أحسن القيام عليها. وإن كنت بنياً فاتنقاً.
الى فلدة كبد آمنة وزوجها عبد الله وقد توفيا وابنها صغير رضيع. وإن كنت صغير السن فانظر إلى ذلك الولد العظيم حين أرضعته مرضعته الحنون حليمة السعدية. وإن كنت شابا ناشئا فأقرأ سر راعي مكة.

وإن كنت تاجرا مسافرا بالبضائع فلاحظ شئون سيد القافلة التي قصدت بصري. وإن كنت فاضيا أو حكيا فانظر إلى الحكم الذي نصد الكعبة قبل بزوغ الشمس لقبض الحجر الأسود في عهله وقد كاد رؤساء مكة يفلتنون. ثم أرجع البصر إليه مرة أخرى وهو في فتاء مسجد المدينة يقضي بين الناس بالعدل يشتهي عنده منهم الفقير المعدوم والغني المثور. وإن كنت زوجا فأقرأ السيرة الطاهرة والحياة النزيهة لروح خديجة وعائشة.

وإن كنت أبا أولاد فتعلم ما كان عليه والد فاطمة الزهراء وجد الحسن والحسين. وأيا من كنت، وفي أي شأن كان شائكك، فإنك مهما أصبحت أو أمسيت وعلى أي حال بات أو أضحت فذلك في حياة عمان.

هداية حسنة وقدوة صاحبة تقيء، لك بنورها دياجية الحياة، وينجزي لك بضوئها ظلام العيش، فصلب ما أضطرب من أمرك، وتتفق بهديه أودك، وتقوم بسته عوجك. وإن السيرة الطبية الجامعة لشني الأمور هي ملاك الأخطاء وجماع التحالب لشعوب الأرض والناس كافة في أطوار الحياة كلها وأحوال الناس على اختلافها وتنوعها. فالسيرة المحمدية نور للمستдет، ونهبها نوراس للمستهدف، وإرشادها ملأجا لكل مسترشد.

كان الواقعي النافذ الصيغ الاستاذ حسن علي رحمه الله يصدر في (بته) قبل خمسين عاما مجلة (ثور الإسلام) وقد قال في جزء منها ان صديقا له من البراءة قال له: إنني أرى رسول الإسلام أعظم رجال العالم وأكملهم. فقال له الاستاذ حسن علي: وما هي منزلة المسيح عيسى بن مريم عندك من رسول الإسلام؟ فأجابه: إن المسيح بن مريم
عندى في جانب محمدٍ كمثل ولد صغير يتكلم بكلم عذب ويتحدث
حديثاً حلكوا عند أغقل أهل زمانه وأكثرهم حزماً. ثم سأله حسن علي
وأما إذا كان رسول الإسلام عندك أجمل رجال العالم؟ فأجاب: لاني
أجد في رسول الإسلام خلاصة خلقنا وخلاصاً جمة وخلاصاً كثيراً لم أرها
اجتماعت في تاريخ العالم لانسان واحد في آن واحد. فقد كان ملكاً دانت
له أوطانه كلها يصرف الأمر فيها كيا يشاء وهو مع ذلك متواضع في نفسه
يرى أنه لا يملك من الأمر شيئاً وأن الأمر كان بيد ربه. وترأى في عقبي
تأتيه الابن مؤرقة بالحزاين إلى عاصمته، ويعقى مع ذلك مختاجاً لا يعود
في بيتته نار للترطيب في الأيام الطوال وركبها ما ينال على الجوع. وترأى قائد
عظيم يقود الجنرال القليل القديم الضعف عدد فيقاتل بهم الأرواح من الجنرال
المدجح بالأسلحة الكاملة ثم يبزهم شر هزيمة. ونجده عمباً للمسلم
مؤثراً للمصلح ويوقع شروط الهندسة على القرطاس بقلب مطمئن وجايش
هادئ. ومعه التوف من أصحابه كل منهم شجاع بآسر وصاحب حماسة
رحية عملاً جوانحاً ونشاهده بطلاً شجاعاً ينضج ووجهه ألاف من أعدائه
غير مكتثر بكثيرهم، وعمر مع ذلك رقيق القلب رحيم رؤوف متعفف
عن سفك قطرة دم. وترأى مشغول الفكر بجزيرة العرب كلها، بينا هو
لا يفوته أمر من أمور بيته وأزواجه وأولاده، ولا من أمور قراء المسلمين
ومساكنهم، وبيتم بأمر الناس الذين نسوا خالقهم وصدوا عنه فيحرص
على إصلاحهم. وبالجملة إنه انسان يهمه أمر العالم كله، وهو مع ذلك
متبئ إلى الله، منقطع عن الدنيا، فهو في الدنيا وليس فيها، لأن قلبه لا
يتعلق إلا بالبه والوى يرضي الله. لم ينتمى من أحد نجليتات نفسه، وكان
يدعو للعفو بالخير، ويريد لهم الخير، لكنه لا يعفو عن أعداء الله، ولا
يتركونهم، ولا يزال ينذر الذين قد صدوا عن سبيل الله ويوجههم عذاب
جهنم. تراه زاهداً في الدنيا عابداً، يقوم الليل لذكر الله ومناجته. كما
تتصور من شأئه أنه الجندي الباسل المقاتل بالسيف. وتراه رسول
حصيفا ونيبا معصمو في الساعة التي تتصوره فيها فاكحا للبلاد ظافرا
بالأمم. واته ليضطبع على حصير له من خوص ويتكيء على راسادة
حشوها من ليف حينا يخطر على بالنا أن ندعوه بسلطان العرب ونادي به
ملكا على بلاد العرب. ويكون أهل نمه في قناعة وشدة عقب استقباله
الإمارة العظيمة آتية إليه من أنحاء الجزيرة العربية فتكون في فضاء
أكواما، وتأتيه بنته وملذة كبدته قاطمة تشكو عليه ما تكابده من حمل القربة
والطعن بالرحي حتى جبت يداؤها وأثرت القرية في جسمها، والرسول
يوحده يقسم بين المسلمين ما أفاء الله عليهم من عين الحبوب وإمائها، فلا
تنال بنته من ذلك إلا دعاءها لها بكلمات يعلمها كيف تدعو بها ربيها.
وجاء ذلك يوم صاحب عمر، فأجلل بصور في الحجارة فلم يجد إلا حصير
من خوص قد اضطبط الرسول عليه وأثر في جنبه، وكل ما في البيت
صاع من شعير في وهاء وعلي مقربة منه شين ملظع عليه. هذا كل ما
كان يملك رسول الله يوم دان له نصف العرب. فلأي عمر ذلك لم
يتهلك نفسه من دموع تذرفها عيناه، فسأله رسول الله: "ما يبكيك يا
عمر؟" فقال: وسائلي لا أبكي، إن قصير وكسرى يتعتمان بألذنا،
ويتعيان بتعيمها، وإن رسول الله لا يملك إلا ما أرى. فقال له
الرسول: أما ترضي يا عمر أن يكون ذلك نصيب كسرى وقصير من
نعم الدنيا، وتكون لنا الآخرة خالصة من دون الناس؟

وعلما أنهن النبي بجيبه ليفتح مكة قام أبو بكر إلى جانب
العباس عم النبي بنظران الي المجاهدين من المسلمين تتقدمهم
الأعلام الكبيرة، وكان أبو بكر لا يزال على ما كان عليه من المحافظة
للاسلام، فراعه ما رأى من كثرة جموع المسلمين ومن اضروبي اليهم من

116
القبائل المسلمة وإنهم يخفون على بطحاء مكة كالسبيل الجارف لا يصدّ صاد ولا يمنعه شيء، فقال أصحابه: يا عيسى بن أبي أيوب، أنت أبو عثمان. فاجابه العباس وهو يرى غير الذي يراه أبو سفيان، ليس هذا من الملك في شيء يا أبا سفيان، هذه نوبة ورسالة.

وعدي الطائي - هو ابن حاتم الدائم الصبي الذي تضرب به الأمثال، في الجود والسخاء - كان سيد طيب، وحضر مجلسرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهو لا يزال على المسبحة، فعاشده إعطاء الصحابة للرسول، وعليهم عدة الجهاد من الأسلحة واللامة للدفاع، فاشتهي عليه أمر النبوة بأمر السلطان، ولما ينسل في نفسه: أهذا ملك الملك أم رسول من رسل الله؟ وفيا هو كذلك جاءت إليه النبي ﷺ، أمرة نقية من إماء المدينة، وقلت لها: أريد يا رسول الله أن أسرّ إلىك شيئاً. فقال لها: انظري إلى أبي سكك المدينة كنت أطلوك. ثم نهرّب معها وقضى لها حاجتها. لله رأى ابن حاتم الطائي هذا التواضع العظيم من الرسول العظيم وهو بين أصحابه في مثل عظمة الملك، نجلي عنه ظلام الباطل وتبين له الحق واضحًا وآيد أن هذا الأمر من رسالات الله، تعمد إلى صليبه فنزلعه ودخل مع أصحاب رسول الله ﷺ في نور الإسلام.

وفي الجملة إن كل ما ذكرته أنفنا ليس من الأطراف في الشيء ولا من المبالغة في المباح، بل هو من حقائق الواقع التي سجلها التاريخ، فأصبح ما استطاع أن يسجل به حقائقه. وما لا يلبى فيه أنه لا يمكن أن يكون قدوة للعالم في جميع مناهج الحياة إلا إذا اجتمعت فيه الحلال الشريفة كلها والحصول الإنسانية الكاملة بجعجها مما يحتاج إليه الناس في معايشتهم، فتكون لهم في سيرتهم أمثلة كثيرة. وفي هذه أمور متنوعة، تستنير بها كل طائفة من طوائف الناس، وكل فرقة في كل أمة من أهمهم.
في تخذون في أنفسهم سنًا ودابًا ومناهج من حياتهم الشريفة لحياتهم الاجتماعية والعائلية. وبذلك يكون الشخص العظيم المتقدى به هادياً للناس بأعماله وأخلاقه وخصائصه عندما يكون في حالات الغضب أو الرحمة أو الجود أو الفائقة أو الشجاعة أو رقة القلب فيتخونون به في هذه الأحوال بدنيهم. كيف يكون إيمانهم به بصحة الاعتقاد وسلامة العبادة لأحزانهم. فهم يجمعون إلى أسدان الناس في أختامهم إسعادهم في حياتهم الدنيا وأحداثها اليومية، فيسير لهم خليانة الله على الأرض كي يدعهم على مقام الكرامة في ملكوت السماوات وهم مع ذلك يسيع لهم السنين ويشعر لهم الأحكام الذين تطمئنا حياتهم في الأرض والسماوات. إن القسوة والمساءة والذين وخفض الجناح للأخيار من قرى الحياة الإنسانية، ولا يسعد الإنسان إلا بعين القول والعفو عن الناس وخفض الجناح لهم، ومن كان يصيبها وأقراً من هذه الخصائص كأن العظيم المحسن الكبير. وإن كانت تلك خصائصها هي التي تكون في الإنسان، أم تكون فيه أضداداً أيضاً؟ أليس في خصال الإنسان الجضب بجانب ما فيه من رحمة، والعدارة بجانب الصداقة والعفة، والطمع مع القناعة، والشرة مع الحفة. أليس يترع إلى التأكيد كيف إلى العفو، أليس هذا كله مما تقتضيه جيئة الإنسان وغيرها له إن العلم الكامل هو الذي يستطيع أن يعتدل بين هذه الأحوال وأخصال المضادة، ويقيم البزائدهن في هذه الزوايا والعواطف حتى يكسر سورتها ويقفف من شدتها ويكون عادلاً معتدلاً. فتكون له من سجاها الطيبة ملكة كريمة تبلغ به الغاية القصوى من الحق. أما الذين يزعمون أن ملاك أدبانهم وقامهم نحلهم العفو والذين فحسب، وليس في سيرة رسلهم إلا المساءة وخفض الجناح، فليسون هم نفسيهم. كم يوماًملأ أعراهم بهذه السيرة في مجتمعهم، وإلى متى استمرا على هذا الهذل في حياتهم الاجتماعية بين زمن قسططينين أول
المملكة المسيحية في جوهرها، وأي ملك مسيحي عمل في دولته بسيرة نبيه؟

قد قامت للأمة المسيحية دول كثيرة في بقاع الأرض، فمنهمن أحد دولة مسيحية سعت لرعيها قرائن ثلاث سيرة ورسوها في الظلمت عن الجنة، والذين لم يغفوه، وخضع الاجناس لن استد؟ إذا لم تكن في سيرة رسول من رسول الله أسوة لاتبع ذلك الرسلون أنفسهم فكيف يكون حالها؟

إذا رجعت إلى حياة نوح ترى الفيظ والختصاق على الكفر وأعماله وعلم الشرك ومن يدين به. وترى في حياة إبراهيم جهاده في تخطيط الإصلاح وإيطال عبادة الأرض. وفي حياة موسى قلنا للشركين بزء، وقد سللمه حتى بناء اجتماعرة وقوائلاً ملكية. وترى المسيح عيسى بن مريم يعفو ويجعل ويلين للناس ويغفوهم في جناحه فتملؤه نفسك إعجاباً بعفوه وقته. أما سليمان عليه السلام فيعجبك بجلالته وسلطانه وأبهة ملكه. ويمثل لك حياة أبوب معايي الصبر على المكاره وشكر الله على الرغبة. وسياك يونس إعجابا بإذاته إلى الله ونذمه على ما قرب منه. ويوسف عليه السلام يهدّيك كيف يقوم الآنسان بدعوة الحق وهو أسير عان وكيف يصون نفسه ويسامعه بوعده حين تراوده أمور ذات جمال وجلال ومال وعظمة. وفي حياة داوود دووس عظمة وسحيبة مربعة إذا ببيكر من خشية الله ويجمده، ويدعو متضرعاً إليه. وفي سيرة يعقوب أسوة للعمر فيها يرحهم من رحمة الله والثقة به والتوكيل عليه عندما تظلم الدنيا في عينه. أما سيرة محمد، فإنها تجمع ذلك كله وتشتمل على جميع هذه المخلصات وتعم الأخلاق الكرية بحذارهما وما تفرق منها في سيرة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسليمان وداود وأيوب ويوسف ويوسف ويعقوب عليهم الصلاة.
والسلام، فكان السيرة الحكيمة بحر جليّ نصبُ فيه الأنباء وتتصل به كل البحار من سير الأنبياء والرسل وهم أهاليهم ورسالتهم.

روى الخطيب البغدادي في تاريخه بإسناد لين أن نداء سمع عند مولد النبي ﷺ، أن طوفوا بهم محمد جميع البلاد وأغطسوه في قعر البحر ليعرف العالم كله، ثم اذهبوا به إلى جميع الألس والطيب والحيوان، وأعطوه من خلق آدم ومعرفة شيطان وشجاعة نوح وخلقة إبراهيم وولسان لإسحاق ورضا إسحاق وبلاغة صالح وحكمة لوط وشدة موسي وصبر ليوب وطاعة يونس وجهاد يوسف وحنان داوود وحب دانيال ووقار الياس وعفة يحيى وزهد عبدين، وأغمسوه في بحر أخلاق الرسول كله.

والعلامة الذين روا هذه الرواية في كتبهم أرادوا بها أن يعبروا عن حقيقة سيرة الرسول ﷺ وناها كاملة جامحة، وأن ما أعطى الرسول جميعاً متفرقين قد أوعى محمد ﷺ وحده، وأن ما تفرق من مكارم الأخلاق في الرسول قد اجتمع فيه.

تأملوا سيرة محمد ﷺ تبدو فيها كل ما كانت به حيائه المثالية كاملة.

ليس الرسول الـثيби الذي خرج من بلده مهاجراً إلى يزرب يشبه الرسول الاسرائيلي الذي خرج من مصر يريد مدين! ليس الذي ازروي في غار حراة بعد ربه ك다가 تصد جبل سيناء ليناجي ربه? إن هذا يشبه ذلك مع فارق بينهما وهو أن عبيه محمد كانوا متوضعين وعينا موسي كانت مغمضتين، وأن رسول الإسلام كان ينظر في داخله ورسول بني إسرائيل كان ينظر إلى خارجه.

إن عبيه عليه السلام في ذهابه إلى جبل الزيتون ليلقي عظمه يشبه محمد ﷺ، وقد ارتقي جبل الصفا لينادي معاشر قريش، والذي قاتل
مشاركي بلاد العرب في بدر وحنين ويوم الأحزاب تبولاً يشبه موسى الذي قاتل المهاجرين والمهاجرين والأمويين.

وإن الرسول محمد ﷺ دعا على سبعة رجال من أعيان مكة فهلكوا، وموسى دعا على فرعون ومنف حبل سنة أخرى بل تنفرون ولم يتمنوا به فهلكوا مغرقين في البحر الأحمر. فنشبت سنة الرسول محمد ﷺ وسنة الرسول موسى عليه الصلاة السلام.

إن عثمان بن عفان ﷺ دعا بالخير من أراد تطهير من المشركين يوم أحد، وإن عليه السلام لم يدع على أحد وما زال يبخي الخير لاعادته، وليس عيسى عليه السلام يشبيه من هذه الناحية في عيسى رسول الله ﷺ. وإن عثمان ﷺ رسول الله ﷺ حين تراه في منارة المسجد يقضي بين الناس بالحق وينظم بالعدل، وأيضاً في مساحات الحرب يقاتل الخوارج والمشركين، فكان ترى موسى رسول الله ﷺ وهو يقابل أعداءه ويعمل الذين يذلون الأرثان، وترى عثمان ﷺ رسول الله ﷺ يعزر ربه ويتضرع إليه في خلوته عن الناس إما في حجرة منفردة أو في مغارة الجبل، وقد أرخى الليل مدله فكان ترى عيسى وقعد خلا بنفسه بوجه الله ويناجيه بالعمودية له.

ولو رأيت نبي الإسلام وهو يذكر الله دائمًا ويحمد ويسهب في البكور والأصال، وفي كل حال - فماذا بدأ بالأكل بدأ باسم الله، وإذا فرغ منه حمد الله، وإذا جلس مع أحد كان التذكير بالله من عمله في ذلك المجال، وإذا تام وهو يذكر ربه ويستعرض آلهة عليه - فكان يبجع برواية نبي الإسلام قد رأيت النبي صاحب الزبور في ترتيله محام الله ونعته، وكذلك ترى سليمان في جنوده، وعلى جلال الملك وأيده السلطان حين ترى
معمداً بين أصحابه وقد فتح مكة ودخلها تحت رايات المجاهدين بأيديهم السيوف مصلحة لإقامة الحق، والعواقب السمر مشرعة لتقويل دعائم الباطل. أما إذا رأيته وهو عصر بين ذويه في شعب أبي طالب وقد مع دخول الطعام والشراب إليه من الخارج فكان ذلك شرب الصديق وهو في سجنه مصر يعاني شدائد الطائرين ويكابدها.

إن موسى قد جاء بالأخلاق، ودأب انتشاز بناءه الله والتعني بمناسبةه، وعيني ببعث ليعلم الناس ماكرم الأخلاق والزهد في الدنيا.

وأما محمد رسول الله فقد جاء بكل ذلك: بالأخلاق، ودعو الله، والتوجه إلى ماكرم الأخلاق، والحرص على الزهد في الدنيا وزيتتها.

وكل هذا توجد في القرآن الكريم لفظا ومفهوما، وفي السيرة المحمدية قدوة وعمل.

سادي: وأحب أن الفن انظاركم إلى ناحية أخرى من نواحي السيرة المحمدية تدل على جامعتها.

إن في الدنيا نوعين من المدارس: نوع يختص بفرع واحد من فروع المعرفة، كالطب، أو الهندسة، أو التجارة، أو الصناعة، أو الفنون الحربية أو الزراعة، أو الحقوق، أو اللغة والآداب. ونوع يجمع هذه المعاهد العلمية كلها، فمن قصد استطاع أن يتسبب إلى أي فرع شاء من فروع المعارف الإنسانية. وهذا النوع الثاني هو الذي تعرره إليه طوانف العلمية من جميع البلاد فيجد فيه كل منهم ما يناسب نفسه إلى التخصص فيه من العلوم، وهذا سميته مجموعة هذه المعاهد باسم ( الجامعة)، ومنها يتخرج قضاة المحاكم والأطباء والمهندسين وقادة الجند والناضجون بعلوم الزراعة أو الصناعة أو التجارة والتخصصون بالأداب وعلومها والثقافة العليا وفروعها.
من بين الراويين للمتأملين أن المجتمع الإنساني لا يتم كيانه ولا
تسعده حياته بضرب واحد من العلماء، ولا ينفع خاص من أهل الخرفي
والصناعات بل يحتاج إلى مجموع ذلك كله. وإذا استحقنا ما يعرفه
التاريخ من سير الأنبياء، ولاحظنا ما خلفوه من ثرات أسلافهم،
عملا بقول المسيح: «من ثارهم تعرفوهم»، فإننا نجد لهذه العلوم
الربانيين والأنياب والإنسانين تلاميذ ومهتمين، فالأحاديث منهم يكون له
عشرة تلاميذ، وآخرين منهم يكون له عشرون تلميذاً، ونرى بعضهم
ستين أو مائتين، ومائة أو مائتين، وألفنا أو ألفين ونادراً ما يكون لأحد
الأنبياء من التلاميذ والأصحاب ما يبلغ خمسة عشر ألفاً. أما المدرسة
الأخيرة من مدارس النبوة وهي مدرسة خاتم النبيين محمد، فقد كان
تلامذتها يعذرون بمئات الآلاف.

وإذا أردت أن تعلم من هم تلاميذ المدارس النبوية الأخرى، ومن
ابن جاهله إلها، ورفي إين البلاد وله، وما بلغهم من العلم. ثم كيف
كانت انحاقاتهم، وكم أخذوا من اشخاص تمويه وشيئاً، وكم كان تأثير
تعليم نبيهم فيهم، وما هي سيرتهم ونهائيهم، وكم صلحت أعقولهم
بإصلاح رسولهم لهم، فأنك لن تجد لأمثالك هذه أجودة عليها إلا ما
 يتعلق بآخر مدارس النبوة، فأنك تجد لها جوياً على كل سؤال من هذه
الأنشطة كله بالتفصيل، وتستطيع أن تقد ودفنت أما تلاميذ هذه
المدرسة، وأماكن ميلادهم، ووصف ما تعلموها منها، وبلغ تأثرهم
باخلاق نبيهم، وعرفتهم بجوانب رشدونه. كل ذلك تجد مسجلاً مدونًا
مضبوطًا بوضوح وجلاء.

وعلم بناء التحري على جهة أخرى: إن جميع أصحاب الملالي والنحل
يذعون أن أباهم مفتوحة للجميع، فعمالاً نرى من منهم كانت دعوته
عامية لجميع الناس، وأبواباً مفتوحة لمختلف الأمم والطوائف البشرية بلا استثناء. ومن منهم كانت حلته في عهده مقصورة على رجال من أمة واحدة، وعلى طائفة خاصة من تلك الأمة. إن جميع أبناء بني إسرائيل لم يتجاور دعواهم بلاد العراق أو بلاد الشام أو بلاد مصر، أي أنهم لم يخرجوا من الأرض التي كانوا يسكنونها، ولم يوجهوا دعونهم إلا لأنهم من بني إسرائيل. ولذلك لا ترى في مدارس عميى عليه السلام رجلاً غير إسرائيلي، لأنه إنما كان ينحدر القنوم الضالة من بني إسرائيل (منى 7: 24)، وإنما اقتصر على بني إسرائيل لتأتي يريغ الصبيان إلى كلاب (الأنجيل). وأصحاب الأديان في الهند لم يكن ينظر بإيمان أن يخرجوا من أرض الأمة الآرية المقدسة (باد أريه وربة). نعم لقد نشر ملوك البوذية دينهم في خارج الهند، وبلغوا دعوة بهذا إلى الأمة الأخرى، ولكن ذلك جاء بعد زمن الدعوة من أتباعها المتاخرين عنها، كما فعل الذين نشروا المسيحية فيها بعد خارج دائرات إسرائيل. أما أصحاب الدعوة الأولون فقد خلت صحائف حياتهم من تعميم الدعوة حتى تشمل جميع بني آدم.

والآن تعالوا نشاهده مدرسة الرسول العربي الأموي: أي طالب هذا؟ هذا أبو بكر، هذا عمر، ذاك عثمان، وذلك علي. وهذان طفلة، والزبير. ومن هؤلاء تلاميذ من قريش الباطح يطلق مكة وذانك من غير قريش، إنها أبو ذر وأبو من تهامة من قبيلة غفار. وهذان أبو هريرة وطفيلة جاء من اليمن من إحدى قبائلها وتحمل دوماً ومن هذان هذا أبو موسى، والذاك معاذ بن جبل ندمه من اليمن من قبيلة أخرى. وهذا ضياء بن علبة من قبيلة الأزرد المقطانة. وهذا خباب بن الأرث أخوهم. ومن أي قبيلة هؤلاء القوم؟ منذ بن حبان ومنذر بن
عائشة من قبيلة عبد القيس استجاباً لهذه الدعوة ووفد إليها من البحرين
على الخليفة الفارسي، وفيهم عبيد ووجعفر من سلالة عباس. وفيهم فروة
من معان في بلاد الشام، ومن هؤلاء الغربياء، هذا بلال بن رباح
الخليفة، وهذا الأبيض يدعى صهيباً الرومي، وهذا اسمه سلائ
الفارسي من إيران، وهذا آخر الذي يدعى نيروز الدبلوماسي، وهذا
سيبى ومركب من الأمة الفارسية. فها أنتم تروون ناضج من تنتمون
لنبي الإنسانية النبي الأمي العربي خاتم المرسلين، لقد كانت حلقة هداية
مفتتحة لكل الأمم من شتى طوائف البشر.

إن صلح الحديبية الذي اتفق عليه المسلمون والشركون في سنة 7
لحجرة كان من شرائطه أن يكف كل من الفريقين عن القتال، وظلما
يدعو إلى الإسلام لأنه دين السلام والرحمة، وللمسلمين أن يبلغوا دينهم
أيضاً أرادوا.

وماذا فعل رسول الإسلام بعد هذه المهمة العظيمة المكررة المكررة
الأئذ؟ إنه أرسل في نفس تلك السنة كتاباً إلى ملوك البلاد المجاورة
دعاهم فيها إلى الإسلام، وبلغهم رسالة الله التي بعث بها إلى الأمم.
فبعث دعوة النبي إلى هرقل يعبره قبره وجمعهم بين دينه، وجعل الله
جهان السهيمي إلى خسرو بريز ملك الفرس، وطلب بين أبي بلتمة إلى
المقونس عزيز مصر، وعمرو بن أمية إلى النجاشي ملك الهند،
وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث الفضائي سيد قومه في الشام,
وسيبط بن عمرو إلى رؤساء اليمن، أرسلهم إلى هؤلاء الملوك
والآتيين بكتب يدعوهم فيها إلى الإسلام وبلغهم أنه أرسل إلى جميع
الناس بالهدية العامة الشاملة.

سادتي: لقد تبين لكم أن مدرسة محمد رسول الله كانت جامعة
للناس من جميع الطوائف وكانت عامة للأمم على اختلاف أسلوبهم وآدابهم وطريقتهم في الثقافة المجتمعة، وأن لم يكن هناك أي نقاد يمنع أي إنسان من الالتحاق بها، فكان تأديب كريم يدعو الجفف. فتعالوا نلق نظرة أخرى على هذه المدرسة لتصدر حكمنا الصحيح على حقيقتها ومكانتها ومنزلتها من معاهد الهداة والحكمة، ولنرى إن كانت خاصة بعلم دون غيره من العلوم، أم هي جامعة كبيرة بيد فيها طلب المعارف أنتموا كل ما ينشدونه ويعتزون إلى معرفته من حقائق الوجود ليخترعوا منها ما يوافق أذواقهم ويلائم طباعهم ويروي نظالمهم. انظروا إلى مدرسة موسى عليه السلام يجدوا فيها عددا من قادة الجيش أو قضاسا المحاكم أو طائفة قليلة من ذوي المناصب الدينية، وأراوا عن تلاميذ عيسى سلام الله عليه يجدوا فيهم طائفة من الزهاد والنساك يتناقلون بين سكك فلسطين ويتجولون في شوارع مدينتها. أما الذين دخلوا في الإسلام واتبعوا محمدًا فنجدون فيهم أصحابهم التجاذاي ملك الحبشة وفرحة عظيم معان وذا الكلعات رئيس خير ونوروزاً الدبلوماسي ومركبود من سادة اليمن ورؤسائها وعبيدا وعفر من رلاة عيان. انظروا مرة أخرى نجدوا فيما يقابل مؤلاء الملوك والولاة والرؤساء بلادا وبياسا وسبيسا وخباسا وعجارا وإفنا فكيه من المعبد والترقى والضغفة وفسيحة وبيقة وممتدة، وأم عبيس من الأمام والضيوفات. وترون كذلك في أصحاب محمد ذوي العقول الراجحة والفكر الثاقب والرأي الخصيف وأهل الحنكة والتجربة، من عرفوا دخالت الأمور وجرموا شظوان العالم ووجروا على أسرار الدنيا وأداروا شؤون الملك، وسائر السلواد كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية، فهؤلاء حكموا الأمم فأحسنوا، وأقاموا شرع الله في أرض الله بين مشرقيها ومغربيها فاتسعت دائرة حكومتهم إلى شرق إفريقية وغرب الهند، ونسخوا بعدهم ورحبتهم سلطان عظاء الملوك وقوانينهم البرم.
والفرس، ونزلوا من قلوب الناس أكرم منزلة بعدهم وإنصاصهم، ومن صفحات التاريخ الصادقة المرتبة التي لم يبلغها فيه احد غيرهم لا قبلهم ولا بعدهم.

وإلى جانب الخلفاء الراشدين والوكالاء العاديين والسيادات المنصفين من أتباع الرسول محمد ﷺ ترى طائفة غير قليلة من رؤساء الجند وقادة الجيوش من أصحاب الرسول ﷺ خالد بن الوليد وسعد بن أبي رقاص وأبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص من دوّعوا الشرع والغرب وقررُوا دولتين عظمتين كثيرة على الإنسانية ووصمة في جبينها بحكمها الجائر واعضهادها لرعاياها، فكان هؤلاء القدوات من أتباع الرسول ﷺ من أكبر الفائنين في العالم ومن أصلب المحاربين عزماً وأشجعهم قلباً واعملهم بأمر القتال وتبيعة الجيش وإدارة رحى الحرب، وإن إسهامهم لا تزال رمزًا للمهاباة والجلال في التاريخ العسكري، فسعد بن أبي وقاص هو الذي فتح العراق واقتحم مملكة فارس وانعز فيها الناحق عن مفرق كسرى الخالد، وألقاه تحت قدمي الإسلام، وخالد وأبو عبيدة، هما اللذان أخرجوا دولة الروم وجوشها من ديار الشام وطهّراً منهم أرض إبراهيم وجعلها في أيدي الوارثين لها من المسلمين، وعمرو بن العاص الذي انتزع مصر وأرض النيل من أيدي الروم الظالمين وقذفهم البحيرة، وسار على أثره عبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي سرح وغيرهم في شمال إفريقية ففتحاً وبداية واصلاحاً، هؤلاء هم فتحوا المبلاك وقادة الجيوش الذين اعترف لهم بالكفاءة أعداؤهم وشهد التاريخ بعظمتهم وعلو كعبهم وجمال بدهم.

ويبقى حفاظ القادة الفاتحين الباسلين ترى طائفة أخرى من ولاة المدن وحكام الأقطار من أصحاب رسول الله ﷺ مثل بذاذ بن ساسان في
اليمن وعُفَّاد بن سعيد في صنعاء والمهاجر بن أمية في كندة وزياد بن لبيد في حضرموت وعمرو بن حزم في نجران ويزيد بن أبي سفيان في تياء والعلام بن الحضرمي في البحرين وغيرهم من أتباع الرسول حكموا الأمصار وتولوا اللواءات فسُعد لهم الناس وذاقوا حلاوة عدلههم وانشرهم السلام وساد بفضلهم الرخاء بين الناس.

ويبعث هؤلاء الولاة العادلين البراء والحكام المتصفات الأخبار ترى في أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثة من العلماء الربانيين والفقهاء المالكين كعمر ابن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص وأمهم الزهريين عائشة وأم سلمة وأبيّ ابن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابن الزبير رضي الله عنهم، الذين وضعوا فقه الإسلام وسموا للناس قوانين أنزلتهم من واضحى القوانين للعالم منزلة سامية.

وهناك جماعة خامسة من اعتنوا بالرواية وحفظ الوثائق والحوادث كأبي هريرة وأبي موسى الأشعري وانس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن حاتم وجابر بن عبد الله وإبراهيم بن عازب وغيرهم من أصحاب الرسول الذين رووا سنن الإسلام وأحكامه وحفظوا أورامه ورواياته واحصروا الوثائق والأخبار.

ويبعث أولئك جماعة سادسة يبلغ عددها سبعين صحابا من أصحاب الصفة الذين لم يكن لهم بيت يأوون إليه إلا أثناء المسجد، ولم يكن لهم من منازل الدنيا إلا ما عل أحسادهم من أسباب بالله، فكانوا يخرجون إلى الصحراء يحتطون منها ويعمرون ما يجمعونه في السوق ويقاتلون بشمهم، وإذا بقي في يدهم شيء أنفقوه في سبيل الله تفرغوا للدين وانقطعوا لتعلم أحكامه وعبادة ربه.
ثم ارجعوا البصر إلى هؤلاء الأصحاب تروا فهبلهم زاهدا ناسكا متوكلًا على الله كمئذ نظر الغفاري الذي لم تظل الدماء ولم تقل الأرض مثله في صدق الله كمئة كلمة الحق، وكان لا يدخل الطعام لفده ويعيد ادخاره منافياً للتوكل على الله، وللذالك لقبه الرسول ﷺ جسح الإسلام، وفهم سليان الفارسي الزاهد الورع والطغي الصالح. وفيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي قضى ثلاثين حولا كاملة في عبادة الله وعرضت عليه الخلافة قاباً قابلاً، لاتولي خلافة نسفه فيها قطراً من راحل المسلمين. وفيهم مصعب بن عمر الذي كان يُليس قبل إسلامه النبي، والخليفة الفاخر وشأ في حجر النعيم والشرف وتقلب في بحبوخ العيش ورغب، ثم ليس في الإسلام المسرح والخشن من الشاهق المرقبة، ولما استشهد في سبيل الله لم يكن له ثوب ضاف يستر جسمه كله فاضطررنا عند ذهننا إلى أن يحتوي قدمه بأحشيش. وفيهم عثمان بن منصور الذي يدعى نذائر بعد بأنه أول خليفة في الإسلام. وفيهم محمد بن سليمان الذي قال أيام الفتن: لودخل علي مسلم يسعف مسلم يريد قتلي لكي أكن لأقاتله دفاعا عن نفسي. وأما ابن الدرداء وما ادراك من أبو الدرداء، فهو الفاضل العالم الذي كان يقضي عهود صانعاً ولهه قايلة.

أن من أصحاب رسول الله ﷺ من فصصت عليك ومنهم من لم أقصص عليك. ومن ذا الذي يستطيع أن يوفي البيان حقه؟ إنعم أرك منهم جماعة من صدر الأمة وساستها المحسكون كطلحة والزبير والمغيرة والمقداد وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسعد بن حضير وأسعد أبي زرارة وعبد الرحمن بن عوف، وفيهم من القارئ أصحاب الفلاخ الدخل والزروع الرفرف من أهل مكة، أو من أصحاب المظلول والحذائث الغلب من أهل المدينة.

129
ولا تقدم في البيان قبل أن ننحني ذكرى الذين قتلوا منهم في سبيل الله
لحرم ارتقى بهم. فمنهم أن قالوا: وثبت إني نحن نؤمن، وناصرة أهل الآية.
وعينهم من لم يقل تكية بسليمان. بل نعتهم الله وكررت عظامه وآذى في سبيل الله، وهذا ما نقوله. وقيل له الرسول نحن
التأمن من خديجة من زوجها الأول الذي مرت جمعه طيبة وتقتطعت
أوصاله كفLf. وسمية أو غيرها أن بلس جبهة بطلق. وأما بإسر
فإن أوفي بأيدي الفقراء إبداء شدة أن نخلق بره. وخباب الذي
صلبه المشرك. وزيد الذي طاطأ رأسه أمام السيف لينال منه كيف يشاء
وعمل في عمله، وكذلك حرام بن ملحن، وأصحابه السبعة والستون
قتلوا في ديار الغزوة عند ب يتمرة. وبي أفراد من بني عصبة ورجل
وذكوان. وإن مائة رام من بني الحيان جرحوا عاصم، وأصحابه السبعة في
يوم الرفع حتى أثخنهم الجروح، وقتل أصحاب ابن أبي العروج، وكان
عدهم سبعة وأربعين أثني بني سليم في السنة السابعة للهجرة،
واستشهد كعب بن عمرو الفناري وأصحابه دفعت أطراف. فانظر واكم
صلب لذات الله من أبناء هذا الدين الأول، وكم قتل لوجهه الكريم وكم
سفك من دمائهم في سبيله. فإذا كان من الفخر عند غيرنا أن يصلب
واحد في سبيل الله ونجاة خلقه فمنه قد صلب. وقتل مثل من سلفنا
الأولين لذات الله تعالى وحده ونجاة الإنسان كلها من الوفية والضلال.
والشرك.

إن النفس إذا همت استرحا، سواء في ذلك أقidents بحذف النسيب أم
بسنن الرمح أو رضيت. فهي نذوق سكرة الموت لحظة، وتناثر تبضت
المذمة وزهور النفس ثم تستريح. وأكبر من ذلك وأشد منه عذاب حياة
المكابدين للملعومين والظلم أعوانا. وصاربين على الذا في سبيل الله

130
صيرا جميلاً، فمنهم من ذاق أنواع العذاب لثبته على قول الحق، ومنهم من وضعوا الحجارة المحيطة على صدورهم وصرعوا في الرمضاء، وحرمت الهجرة وكانوا يتقلبون على ذلك ويعملون ويسحبون على وجههم ليصرفوا عن قول الحق ويعبأوا عن عقيدة الإسلام فلا يبالون بذلك، ويعرون على توحيد الله والشهداء بالرسالة المحمدية.

ثم الم يثلك نبا الذين حصرًا في شعب أبي طالب جياعا كيف كانوا ببيتون الليلي وينقضون الأيام وهم يقتاتون بأوراق الطلح بعد أن فني زادهم عصر وطابهم (1) وأعوزهم القوت. إن سعد بن أبي وقاص سمعهم الجموع في ليلة شديدة من تلك الليلات فخرج من شعب أبي طالب يطلب شيئا يتباه به ليذهب بعض ما به من ألم السهف، ولم يجد إلا نقطة جافة من إهاب، فقللها وشواها وأكلها بالمال.

وعن ابن غزوان إياها كان من الذين امتنعوا في شعب أبي طالب بليدي المشركين، وهو يقول: أي وأصحابي السبعة قد دميت أفواهنا من أكل هذه الأوراق والأشياء التي نقتات بها. وخباء لما أسلم وعلم بإسلامه المشركون ألقوه على الجمهر المتهب ومسكوه عليه حتى انطفأ الجمهر بالصديد والفقيه الذي سال من ظهر خباء وعليه كان يذهب به سيدو إلى أرض ذات حجارة تلهبها أشعة الشمس في وسط الهجرة فيه عليها ثم يضع على صدره جندلاً تقيلا حارا ورينًا شعث عنه بالخيل فتجه جراًًها في سكك مكة.

وكذلك فعل أبيي فكية: ربطت رجله بالخيل وسحبت عليه الأرض وخشى. وقد وضع مرة على صدره حجري قيل حتى ضاقت نفاسه واندلع لسانه.

(1) الوبط: سفاء الدين.
وذلك عبار أذى أبذا شديداً، فكان يجدل على الرضاء ويضرب ضرباً شرساً. بل إن الزبير كان عمه يلته بالحصي ويدخن عليه من أسفل، وسعيد بن زيد كان أهله يضربونه فصبر. وعثمان كان عمه يضربه. فقابل هو لآله كلمتهم البلايا والمحن. وذاقوا العدو الشديد برباطة جايش بنات قلب وقوة، وإياهم فأشربت دماؤهم من هذا الرقيق الأعلى الذي تناوله من كأس الإسلام فلا يتحولون عنه مدى الحياة.

أثنانين، تأملوا. أليس هؤلاء هم العرب الذين كانوا في منزل عن العمران يعبدون الأوثان ويعفون على الأصمام، وكانوا في جاهلية ضارين فيها بجرؤتهم؟ فلا يفهم اتقاتهم وأحوالهم وتغيرت شؤونهم؟ إن ارضهم لا تزال هي الأرض، وسماوهم كما كانت، وبلادهم لم يتغير. كيف إنجلوه عنهم ظلام الجهل؟ كيف نفتح فيهم ذلك الأمي روح الدين الحق فاصبح جاهلهم عالماً ومحاربهم مسلماً، وماذا علمهم حتى أنقلب القائم صلحاً والمفسد مصلحاً، والذي لم يكن يحسن شيئاً لم يلبث أن صار يدير الملك وصرف شتون الحكومة ويسوس أمور الرعايا. كيف نغ من هؤلاء ذوي العقول الراجحة والأراء السديدة والافكار الثاقبة؟ ان الرسول الاممي الأعز الذي لم يحمل في شبابه سلحا ولم يملك من قبل بلاداً كيف أقام ليلة العربية - التي لم تكن الأمام تقيم لها في كففة السياسة العالمية وزننا دولة ذات عظمة وجلال، واكتشف في نفسه رجالاً كنزاً من القوة لا ينفذ، وكيف جعل هذا الأمامي من هؤلاء الأمهات التي لم تكن تعرف الله ولا تعلم نوره وربوبته - عباداً ناسكين يحيون الليل بذكر الله، ويبلغون رسالاته في النهار.

لقد أخذت بأيديكم فأرتفعت مسجد هذا النبي ﷺ في المدينة، وزرت معه جامعه النبوية الكبرى زيارة كاملة، فاجتمعتم بأصداف من
نلهمذك، لفظت من أصحابه العليا والفقهاء، ووضعي النظم والاحكام، وترفعت بالجندي الباسل والفاقي الغيال، وتشرفت بزيارة العظيم من ولاته وحكامه، وترفعت بالقراء والمساكين والملوك والسلابين، وقابلهم السادة الأحرار والعيبد الإبرار. وعرضت عليهم نماذج ممن استشهدوا في سبيل الله، ومن المتوا اغتيال مرضاة الله، من الغزاة والمجاهدين، فما هو رأيكم في كل ذلك، ويفترا تحكمون؟ إن أكثر ظنهم فيكم أنكم حكمتهم وقطعتم في حكمكم بأن محمد رسول الله كان جامعاً للكلال البشري، وعليهم أعل للمحاكمة الإنسانية والصفات العليا.

ليس على الله يستسلم
إن يجمع العالم في واحد
كيف لا وهي المحاسن المحاسنة المنوعة، والمحامد النبوية المختلفة، تراها في أصحابه جميعاً، وظهرت في رفقاته، وطلبت في جلسات، فتغور استناد الصديق الأعظم، ويحكمه إملاً قلب الصديق الأكبر وعقوله حكماً، وثقوب فكر وصداد رأي، ومنه اكتسب ذو التورين عثمان الأثور رحمته وخيبرته وفضائله، ومن بلاغته تفجر البيان على لسانه كرم الله وجهه.

كل ما ترى في حلايد وأبي عبادة وسعد وعجافر من تدبير الحرب وإحكام الرأي في تبشير الجيوش وزحفها، وما ترى في الصديق من الخصب والإعانة وحرية الرأي وغنى النفس والزهد، في الأملاك والأعراض عن زينة الدنيا وزخارفها، وما تراه من تجل إلى الله والانقطاع له في ابن عمر وأبي ذر وسليان وأبي الدرداء، وما نجدها في ابن عباس وأبي بن كعب، زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود من علم جم، وفقه عميق في السين.
ورأي في الاحكام سيدنا، وما نلاحظه على بلال وصبيح وعياد وخبيب من السكونة والسلوى والطمأنينة وقوي الأيان والحنين إلى لقاء الله، كل أولئك متزه من أنوار محمد نبي الله ومحيط الوعي ويهب القرآن صلاة الله وسلم عليه، فهو كأنه الشمس المضيئة تشرق بثورة بامتها قللب الجبال

وبطن الأودية وصحارى الأرض ووهدها وبطاقها وتتلاها بضوءها جمج الأنهار الجارية ونباتات الحقول السندسية كما تلمع بها البقاع القاحلة والرمال التي لا آخر لها، فتأخذ كل منها نصيبه من الضوء على قدره، بل كأنه دى غث يبطيل من سحابه درور فيصبح الجبال الشيه والغابات اللقاء والصحارى القاحلة والساحات الواسعة والباطح العربية والخدع الصازية، فسقي جمع ذلك فينست نباتات شتى بالإوراق الجميلة والأزهار المنعضة والأشعار المتدرجة، نعم، كان الصحابة كسائر البشر، متناقنين في طاعتهم ومواعدهم وجبلاتهم. لكنهم اتفقوا جميعاً بالإسلام واخذوا وابتكروا في غاية واحدة، فكانوا يعملون لوجه الله ويبذلون بعملهم مرضاته عز وجل. سواء في ذلك تقضاتهم وولاتهم وفرزاتهم وأغثائهم ورعاتهم ورعاياهم وغزائهم وشهدؤهم وقواديهم والعلماء منهم والمتعلمون والتجار والعباد والنساك، فكان الأخلاص رائدتهم وهدأة النقل أملهم وأصالح البشر غرضهم، فالصحابة هذه حينها حلوا، وعملون لإصلاح المجتمع البشري أيها ذهبوا. فذا اختفت طيائعهم وتنوعت أراملهم وتفاقمت ظاهرهم فقد جمعتهم كلمة التوحيد ووحدة الكتاب العزيز واتجاههم جميعاً إلى قلبها واحدة. فذا سلكوا سبيلًا ولا عملوا عبلاً إلا ابتكروا به إصلاح العالم وتقوم المجتمع البشري ومواساة بني الإنسان وأعلاء كلمة الحق وتقدم العمران البشري نحو السلام والأمان ونشر الوئام.
الله محمد الذين اجتمعت فيه خلال الارشاد كلها وخلاص الأصلاح للنوع البشري بأجمعه، ولذلك قال له الله عز وجل: "قل إن كنت تحبون الله فاتبعكم الله فوجه الرسول، الدعوة إلى كل من بدعري عبادة الله بأن يطيع ويطيع أمره، ونادي الملوك في ممالكهم والرعاء في شوارعهم والمعلمين في مدارسهم والتلاميذ في نصوصهم ولفقراء في أواخرهم والاغتتاء في قصورهم، كما دعا المطلومين والفقراء المخلدون، بل أعتاب العالم كله أن يطيعوا سبيله ويقفوا أئذ، لأن سيرته الشريفة هي مثل الأعلى وفيها الأسوة الكاملة لكل من يحب الخير وينبغي الصلاح لنفسه.

الله صل وسلم عليه وعلى أهله وصحبه أجمعين.
الباحة السادية

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

كيف تتبع الرسول، وفيم تتبع ما أتى ينصحكم من السيرة المحمدية في ناحيتها العملية، وذلك ما خلقته صاحب صداقة الامير على عليهم السلام. أما لو نظرتم إلى هذه الناحية في السيرة المحمدية فستجدون حياة مليئة بالأعمال الحسنة، عازمة بختى الأعمال. وهذا البلين من كتاب سيرته من أروع الأبواب وأعظمها، وله يحكم من يشاء أن يحكم أي نبي هو خاتم النبيين وسيد المرسلين. أما من سبته من الأنبياء والرسول فلم يصل اليها من تفاصيل حياتهم ما يكون لنا أسوة فيه. لأن الذي عرفناه من ذلك لا يشفى علة ولا يروى غلبة، والإحاديث الحليوة، والمواضع الحسنة، والتعاليم العالية ليست قليلة في الدنيا، ولكن الذي يعزز الناس هو العمل بها. وهم إذا بحثوا عن العاملين بالمواطن البليغة والحكم الرائعة والأقوال المثيرة والأعمال الساحرة كانوا كأنهم يبحثون عن عنقاء مغرب أو الكبريت الأحمر.

إن أخلاق المرء هي المراة الصافية لسيرته، ومظهر جلي من مظاهرها، وأي كتاب سياو غير القرآن يشهد لن تزال عليه بأنه قد خلى بالأخلاق الحسنة والعادات السنة. وإن صاحب ذلك الكتاب أعله قد رفع مكانة من سائر الناس لأهوائه من جليل الآف والقويم الأخلاق. كما القرآن فقد أذاع بين أعداء الرسول، وأوليائه قول الله عز وجل (إني لك)
لاجرا غير منزوني، وإنك لعلي خلق عظيم، وإذا كانت أهدي هاتين الجملتين مطوعة على الأخرى فإنها مربوطتان ربط العلة بالمعلول، فالثانية علة لللاولي، فأجر الرسول لا ينقطع وثوابه من الله لا ينقطع، إذ الرسول ذو خلق عظيم، وإعجابه وأعجابه بلغت من العلو والسمو المبلغ الذي لا ينقطع معه أجر صاحبه ولا يقل ثوابه، لأن مين خلقه فياض لا يضب ونع حسناته فهو لا يغيب وقد حق للنبي الأمي العربي أن يلقب الناس يقول الله سبحانه: (لم تقولوا مالا تفعلون) وهذمة يأمر أحدا بأمر، إلا وقد سبقهم إلى العمل به.

ادرسوا سيرة الناوظ العظيم عيسى بن مريم عليه السلام وصعوده جبل الزيتون ليعزي الناس، فثارنا ذلك بسيرة الداعي الهادي محمد رسول الله صمد، صعود، جبل الصفا يدعو آله، فإن رأيتهم أحدهما لم يقدر له العمل بما قال للناس ولم يتم ذلك له، فاتكلل ستراً سيرة الأخيرة عامرة بكل ما أمر به الناس وحثهم عليه، فالذي يفعو ويصفح مع المقدرة يعده حللا حقا وغفورا صدقا، ويكون عمله هذا من أمثل أخلاقي البشر وأفضلها. أما الذي يسكب عن عظيما لضعف وعجز فلا يعد سكوثه عفوا ولا حللا، لأن العفو ينبغي أن يكون مع القدرة، والذي لا يقتل أحدا ولا يسيء إلى الغير ولا يضرب الناس ولا يسلب المال ولا ينهب منازا ولا يبيع لنفسه بيتا ولا يدخل أمواله تعد فضائله هذه سلبية أما إذا كان ينقذ المظالم من القتل القطما، ويحرص السيف ويدفع عن أموال الناس أيدي السلب والنهب يؤوي الذين لا يبت لم ويتصدق بالمث على المتاجين إليه فإن فضائله تعد إيجابية، وسمى أعجابه صالحة، والدنيا تتاج إلى هذه فضائل الإيجابية، والقرآن يذيع عن النبي الكريم أنه رؤوف وطيب القلب (فما رحمة من الله ليبست أمم) وظلت فظاً غليظ القلب لانتفضوا.
هذه هي شهادة القرآن، والقرآن أحكم وتوجيهات أنزلت على رسول الله محمد ليبلغها للناس، وسيرة الرسول هي تفسيرها في القرآن من تلك الأحكام والتوجيهات، وحياته كثيرة وما صدر عنه فيها من أقوال وأفعال هي تفصيل لما جاء في القرآن، فكل حكم جاء به القرآن قد امتثله الرسول ومنه للناس بفعله وبينب بقوله، فها من شيء أمر به الرسول من الإيمان بالله وإقام الصلاة وأيتاء الزكاة وإداء نسك الحج وبلد الصدقة والجهاد والإيتار وتوجيه العزيمة واحتفال العصر على النوايا وشكر الله على النعم والتعامل مع الناس بالفضائل ومكارم الأخلاق، وهو مستمد من
القرآن أو من الرحى الإلهي (لا يُطلق على البشر، إنَّهُ إلا وحيٌّ نزّل عليه) وما من حكم أو نزه في القرآن إلا وقد بعثه الرسول للناس بقوله وعمله وخلقه هديا وسبنا. جاء بعض الصحابة إلى أم المؤمنين عائشة سألونا أن تصف لهما أخلاق الرسول وصرفاته فأجابتهم أنهم تقرأوا القرآن الكريم؟ لقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن (سنن أبي داود) فآيات القرآن وسورة أصولات وهكذا ، وعمل الرسول وخلقه معانيها وتفصيلها. وليست في الدنيا أحسن إلى بالرجل من حليته فهي التي تعلم من فضائل زوجها وأخلاقه وعاداته ما لا يعلمها أحد غيرها. بلى أدعى الرسول النبوة كان قد قضى على زواجه بخديجة خمسة عشر عاما، وهذه مدة تكفي المرء أن يعرف أحوال صالحية وأخلاقه وعاداته معرفة ثامة. فحين سمعت خديجة أن محمدًا نزل عليه الوحي بادرت بتصديقه وأمضت به. بل إن الرسول حين فزع من نزول الوحي عليه وجيء الملك عليه - لأنه لم يعهد ذلك من قبل – هدأت خديجة جاشية وربطت على قلبه رسفت عنه ما بلغها وقالت له: إن الله لا يتخلّك. فانظر تصل الرحمة، وتحمل الكَل، وتكسب المعدوم، وتنصر المظلوم، وتقوي الضيف، وتعين على نوائب الحق. وهذا الذي ذكرته خديجة هو الذي كان يتحلى به الرسول من مكارم الأخلاق وفضائل النفس قبل أن يُوحى إليه. 

وان لمؤمنين عائشة التي صحبت الرسول ستة سنوات وكانت أحب أزواجه إليه بعد خديجة تقول في حديث: إنه لم يكن يعيب أحداً، ولا يُعزي على السوء بسوء، بل كان يعفو ويصفح، وكان بعيداً عن السيناء. إنه لم ينتقم من أحد لنفسه، ولم يضرب غلاما ولا أمة ولا خادما فقط، بل لم يضرب حيواناً، ولم يرد سائلاً إلا إذا لم يكن عنته شيء.

140
وعلي صحب النبي منذ صباه الي أن شوب، فلم يكن أحد من أهل بيته أعلم منه بالأخلاق، وهو يشيد لرسول الله أنه كان طلق الرجه، لين الجانب، خافض الجنوح، دمت الأخلاق، رجاء. ولئن يكن فظا ولا جافيا ولا ينطق بسوء، ولا ينتبع عورات الناس، ولا يتجنس على عورتهم. فإن سأله أحد ما لا يرضى سكت ولم يبد له ما يسخطه، فيفطن من يعلم خلق الرسول ماذا يريد، لانه لم يكن يحب أن يكسر قلب أحد بل كان يأمر القلوب ومؤلفها لأنه كان رؤوها رحيا. فيقول علي كرم الله وجهه: إنه كان كريما جوادا، وفيضا سخيا، صادق القول لين العريقة من جالسه أجه، ومن رآه بديهة مابه. ويفيق عنه ساعة: لم أر مثله قبله ولا بعد. وقد أبدى (كين) المؤرخ الانصافي الذائع الصيت هذا الرأي نفسه حين درس سيرة الرسول.

وشهد هند بن خديجة من زوجها الأول، وهو رحب الرسول في حجته. أنه كان لين الطبع في الجاف ولا فظ، ولم يكن يسوء أحدا ولا يصصرع عنه نيل من شرف أحد أو غضب من كرامته. وكان يشكر الناس على البسيط من عملهم الطيب، وياكل ما يقدم له ولا يعيبه، وما كان يغضب أو يقتص من أحد لنفسه، بيد أنه إذا انتهك احد شيئا من محام الله لم يقم لفضبه شيء (الشبهاء).

هذه شهادات أقرب الناس إليه من خالطوه وعاشوه وعرفوا دخانه. وهي تدل على أن سيرته الطاهرة كانت أعلى ما تكون عليه سيرة أفضل البشر، ومن أفضل سيرته وأعلاها أنه بعد ما أوفي الله لم يأمر أتباعه وأصحابه بأمر إلا وقد سبقهم إلى العمل به، فدعوا الناس إلى ذكر الله وعبده، ولو رأبت حياته نفسها لرأيتها ملتزمة هذه الدعوة، لأنه لم
تكن نصي عليه ساعة من نهار أو ليل البكر وهو يذكر الله بقلبه ويدقه
بمسائه، فكان لسانه رطباً يذكر الله لا يفتر عنه طرة عين، فإذا أكل أو
شرب ذكر اسم الله، وإذا فرغ من ذلك حمد الله، وإذا أخذ مضجعه أو
استيقظ من نومه ذكر الله، وإذا نهض أو جلس سببح الله أو وحده. وإذا
لقيناه شكر الله، حتى إن أذكاره ودعواته التي حفظها الناس عنه في
مختلف الأحوال شرفت فرغاه ياسما من كتب الحديث، وجمعت في كتابه
( الحسن الحصين ) الذي يبلغ مائتي صفحة، ومن قرا هذه الادعية
يقضي العجب ويوقن بأنه كان يحب الله ويخشاه ويهبه جلالة، فكان
كما وصف الله في القرآن عبادة الصالحين ( الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوتهم ) وكما شهدت عائشة بأنه كان يذكر الله ولا يغفل عن
ذكره أبدا.

وأمر الناس بالصلاة وحضهم على أقامتها والمحافظة عليها أشد
المحافظة، فإذا تحسبون الرسول كان يعمل في نفسه بما كان يأمر به
غيره، لأنه كان يقوم الصلوة ويحافظ عليها أكثر من غيره، كان
المسلمون يقيمون الصلوات المفروضة خصا. وكان ينطوي بالزيادة
على ذلك في صلاة الفجحي وصلاة الإحرام وصلاة التهجد وكان عامة
المسلمين يحملون سبع عشرة ركعة المكتوبة عليهم، وكان ينادي
بصلي في اليوم والليلة خمسين إلى ستين ركعة من المكتوبة والنواقل. لقدر
تقطت عن عامة المسلمين فرصة التهجد بعدما فرضت عليهم الصلوات الحسابة
لكن الرسول كان يقوم الليل بصلي صواملا لا تسل عن حسن وطولين
حتى كانت قدمه تتورمان من طول القيام، فقال له عائشة يوماً: وقد
رأت ما يعاني في نيام الليل - إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وسما
تأخر فيها بالاك يا رسول الله تلفق العنان وتعبد هذا النعم الشديد؟
فاجابها: أما أكون الله عبداً شكرنا؟ وكان في هذه الصلوات معنى

١٤٢
محبة الله أغلب عليه. من مغنى الخوف، فإننا يطيل الركوع حتى يخيل
إلينا من يراقب أنربا قد نسي السجود. وكان يقيم صلاته من بداء الوجي
في فتاة بيت الله أمام المشركون الذين كانوا يداعونه ويذونه إذاء شديدًا.
وقد هجم عليه بعض المشركين وهو في الصلاة فلم يترك صلاته خوفًا
منهم. وكان جنباً بجنا في المضجع، وكان قليلاً من الليل ما
يبقع، وبيت ساجدًا وقليلاً والناس نائم. وأشد ما يكون إقام الصلاة
حين يلتقي الجماعة في ساحة الحرب، والسيف مصابة والرماح مشرعة
والقلب واجهة، ومع ذلك فانه إلا حان وقت الصلاة والحرب كما
ومنها، اعتصف المسلمون الصلاة ونباههم إمامهم. فيتناوب بعضهم
الصلاة، ويبهض الحرب وهم ثابت في الحانين إلى أن يؤدوا فريضة
الله لا يمنعهم عنها مانع.

إياها الفاروق، أحب أن اطوي لك من صحائف القرون السالفة
ثلاث عشرة ورقة لآمر بكم إلى السنة الثانية من الهجرة. فتعمل معي نظر
إلى ساحة بدر: هؤلاء مؤمنون، هؤلاء مشركون. لقد التقى
الجماعة، واستد اللقات بين المشركين والمؤمنين، وهي وطيس الحرب.
أين هو الرسول يا ترى؟ ما هوذا ساجد بين يدي رب العالمين يدعو
ويسأل النصر المبين بقلب داعر، وليس بالدعاء ناطق وناصرة لعظمة الله
سعيدة بالأرض. لقد آتى الصلاة لأوقاتها ولم يخرجها إلا المرتين.
فقد فاتته مرة في غزوة الخندق حين تألب عليه المشركين واليهود ولم يهلهو
حتى يؤذوا في وقتها، ومرة أدلج الليل بطوله ثم غفا غفوة هو وأصحابه
نطلست عليهم الشمس ولم يستطعوا حتى ألقوا إيجازهم ياشت لها، فقضى ما
نفظه من الصلاة. ثم لم تلبث حتى في مرضه الذي توقي فيه، بل قد
اشتد به المرض ووهبت قوته خصره مع ذلك متهادبا بين رجلين من
حجرته إلى أن بلغ المسجد رصل مع الجماعة، وقد غشي عليه ثلاث مرات قبل وفاته بثلاثة أيام فكان كلامه همّ أن يذهب إلى المسجد غشي عليه ففاته الصلاة مع الجماعة. هذا ما كان عليه الرسول من عبادة الله وذكره، وهذا ما تركه لل****************************************************************************ه من يأتيسون به في عبادته وذكره لله عز وجل.

أمر المسلمين بالصوم، وليس على المسلمين إلا صوم رمضان، ولكن ما أذلكم بالرسول ﷺ، صومه؟ أنه قلّا يرمه شهر، أو أسبوع من شهر، إلا كان يصوم فيه. تقول عائشة: كان يصوم حتى يظلّ أنه لن يفسّر. وبنى المسلمون عن صوم الرسول ﷺ، لكنه يواصل الصوم يومين بل ثلاثة أيام متواجدة لا يأكل فيها ولا يشرب، وذلك الذي يقال له صوم الوصال. وكان بعض الصحابة يحب أن يقتدي به في ذلك، فيقول له: لست كما أحكم، أيكم مثله إن ربي يطمئني ويسقيني، وربما كان يصوم شهرين متوالين: شعبان ورمضان، وكثيراً ما كان يصوم الأعيام البيض (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) من كل شهر، وكان يصوم ستة من شوال ويوم عاشوراء من المحرم، وكثيراً ما كان يصوم يوم السبت ويوم الخميس من كل أسبوع. كذلك كان يأكله وصيده في الصوم.

أمر المسلمين بايتاء الزكاة وانفاق المال في الخير، لكنه بدأ ذلك بنفسه.

وقد علمت شهادة أم المؤمنين خديجة له في ذات يوم قالت لابن تيمى: إنك تحمل السكّن، وتعين على نواب الحق وتكسب المعدون، إنه لم يأمر الناس بأن يتبعوه في ترك الدنيا، ولم يقل لهم خضوا بكل ما في الدنيا من إياكم، ولم يخبرهم بأن ملكك السماوات موصية أبواه في وجه الآخرين. وإنما الذي اوصاه به أن يتصدّقو بعض ما رزقهم كما قال الله عز وجل (بَيْنَاءٌ رَزْقَناَمُ بْنَيْقُوْنَ). هذا بيئة رسول الله نفسه لم يكن يدقح من المال شيئاً.
في بيته، بل كان ينفق في سبيل الله جميع ما كان يملكه، ولم يكن قليلًا ما كان يأتيه من خمس الغنائم من ذهب وفضة ومتعة وغيرهم من عرضا الدنيا، فكان يخرج عنه كله لغيره من الفقراء والمساكين، ولم يكن يمنع هو ولا أهل بيته ببيع الحياة الدنيا، فكان حظه وحظه أهل بيته من الدنيا الفضير والتحف. وكان من سنته بعد أن فتحت أرضه خير أن يرزع على أزواجه من الطعام والخبوب ما يكفيهم عما، لكنه قبل أن ينفسي العام كان ينفد ما وزعه على أزواجه فيهم الجموع والسقف لأنه كان ينفق على المحتاجين وعلى الضيوف مما يجد في بيوته أزواجه. يقول عبد الله بن عباس: إن رسول الله ﷺ كان أسبحان وأجودنا، وهو أصبه ما يكون في شهر رمضان، ولم يقل لسائر ولا قط طول حياته. ولم يأكل شيئا وحده مهما كان قليلًا بل يشرك فيه أصحابه، وقد آذى الناس، أن من مات وعليه دين قديمه عليّ أقضيه عنه، وما ترك من ميراث فمحارته لورثت.


الله يعلم ما كتبه. إنا هم كلامات عذبة وألفاظ نجمل بها، بل قال ما قاله عن عزية ولم يظهر للناس إلا ما كان يتنزه صدره ويعمل به مدة حياته. جاءه مرة من البحر ذهب وفضة وأموال جمة فأمر
بوضع ذلك كله في فناء المسجد، ثم غدا على الناس يصل بهم الصبح. دون أن تقع عينه على ذلك المال في الجهة التي وضع فيها، فلما انتصف من الصلاة دعا الناس وطاف بوزع المال عليه، حتى فرغ منه فقام ينفض يديه ثم ورمه ليلام يكون على يدته الطاهر شيء من غير ذلك المال. وجال، من فدلك أربعة جال موقرة بالطعام فقضى به بعض ديونه، وأتي منه بعض الناس، ثم سأل بلالا: هل بقي من ذلك الطعام شيء؟ فاجابه بلال: لقد بقي منه شيء وليس هنا من يأخذه. فقال: لا ادخل بيتى ما بقي منه شيء. وبات تلك الليلة في المسجد، فلما أصبح بشر بلال قاتلا: إن الله قد وضع عنك. يعني أن بقية الطعام قد قسمت ولم يبق منه شيء، فشكر الله. ودخل بيه ذات يوم بعد صلاة العصر على غير عادته، ولم يلبث أن خرج من فاستغرب الناس ذلك، فقال لهم: أي ذكرت في الصلاة أن في بيلي شزرة من الذهب فخشيت أن يجيء الليل وهي في بيت محمد. ودخل بيه ذات يوم حزينا كثيرا فسأله عن ذلك فقال: يا أم سلمة! إن ما جاءنا من الدنانير السبعة قد بقي في الفراش، وقد جاهم المسلم. وبما يدل على زهده في الدنيا ومتاعها أن الرسول مرض مرضا الذي توفي فيه. وكان يقلب على فراشة من شدة المرض. فتذكر وهو في هذه الحالان أن في بيه دنانير، فقرر أن يتصدق بها وقال: أيبلى محمد ربه وقد خلف في بيه دنانير؟ فهذا ما كان. في حياته من المأكولات والصدقات.

لقد رُغمَ محمد رسول الله ﷺ في الآخرة ورغم في الدنيا، وحث على القناعة بالقليل منها والكفاية من العيش. فلننظر إلى عيشه كيف كان يعيش ويدياً. لقد علمتم أن الله سبحانه وتعالى لمسلمين الدنيا ووعى في أرزاقهم فكانت تجيهم الإموال من الخراج والعشر والجزية والزكاة والصدقات، وكانت قوافل الإبل تتحمل الطعام والمال إلى المدينة، أما
رسول الله ﷺ فلم يكن له حظ من تلك الأمور الكثيرة، وكان أهل بيته في مائة وثمانين، تقول عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ ولم يشيع يومين متوالين. وتقول: لم يكن في بيت يوم التحق بالرفق الأعلى سوى صاع واحد من شعره، وكانت درعه مرهونة عند يسوعي بصاع من شعره. كان الرسول ﷺ يقول: ما لا يدخل من شرب يادونيه ﷺ ياوي إليه، وشبوب يلبسه، وحباز جاف يأكله، وعاء يشربه ﷺ (الترمذي). ولم ينطق بهذا الكلام في الزهد بالدنيا إلا وقد رضي لنفسه هذا القدر، وعمل به طوال حياته، ولم يذ عينه إلى زهرة الدنيا وزينتها، فكانت له حجرة مطينة غير مشيدة جدرانها، وكان سقفاً من الخوص والورير. تقول عائشة: لم يطوُرُ وطأه ابنا. يعني أن لم يكن له ثوب آخر غير الذي على جسدته الطاهر. جاءه مرة سائل يشكو الجموع الشديدة، فأرسل إلى أزواجه يطلب للسائل طعاماً من بيتهن، فلم يجد عند احدهم شيئاً غير الماء. ويقول طلحة: رأيت رسول الله ﷺ يوماً ماضجعاً على فرش المسجد يتمثل من الجموع، وشكا إليه بعض الصحابة الجموع ذات مرة وكشفوا عن بطنهم فإذا حجر قد شده كل واحد عليه ﷺ، وأراهم ﷺ بطنه وقد شده عليه حجرين. وكان صراً ﷺ يضعف أحياناً من شدة الجموع، وذهب مرة إلى بيت صاحبه أبي أيوب الانصاري وهو جائع، فصنع له أبو بطة طعاماً وطفق له بعض الرطب من حديقته، فقال قدم إليه الطعام أحمد منه خيراً ووضع عليه شيئاً من اللحم وقال: ابعثوا به إلى فاطمة فذوقها لم تأكل شيئاً من النبي. وكان يجب بنته وسبطه حبها، أنها من الدهب. رأى فاطمة قد لبست ذات يوم قلادة من الذهب جاءها بها زوجها علي ﷺ جهم الله وجهه فقال لها: يا فاطمة ألم تكن أن يقال أن بنت عمك قد لبست طرفًا من نار؟ فذوقت تلك القلادة من عمقها.
واشترى بُنَاهَا عبدا واعتقه. ورأى عائشة قد ليست سوارين من ذهب فانزلها أن تنزعمها فنزعتها حين قال لها: هذا لا ينبغي لآل محمد. وكان يقول: يكنف الإنسان من الدنيا ما يزود به الغريب في سفره. هذا قوله، أعمله فدخل عليه ما روي أن أحد الصحابة دخل عليه فرأى قد أثر الخصبر في جسمه الشريف فقال: ألا ننهدي البك فرشا وثيرا؟ فأجابه: ما لي ولدناكم، ليس لي اليها حاجة إلا كأنا يستسلم الراكب في طريقه ليستريح ساعة من نار ثم يحمي قدمه. وفي السنة التاسعة للهجرة، وكانت رفعة الدولة الإسلامية قد امتدت إلى اليمن والشام، ولا يبق فيها إلا أمره حتى أن لم يكن يملك إلا الازارا وسريرًا خشنا لا فرش له ووسادة حشوها ليف وقليلًا من الشعر رجل حيوان في ناحية من البيت وقرية ماء معلقة على وند، فأذا كان ذلك هو زهدي الناس في الدنيا، فهذا هو عمله الذي رأيت.

أخواني. لا شك أنكم سمعتم كثيرًا عن الناس يخطبون في الأثاث، ويبيعون الناس عليه، فهل رأيت مثلًا عملًا للايثار في صحيفة حياة واعظ؟ إذا شتم أن تروا الأمثلة عليه فالتمسوا في سورة الرسول الأعظم الذي علم الإنسانية فضائل الإيثار، وحذروا عواقب الأثارة. إنتم تعلمون مبلغ حب لا يتباهيه راضي الله عنها، ومع ذلك فإنها كانت تطحن يدها حتى نجمل، وتحمل قربة الماء على صدرها حتى أخضر. فجاءته ذات يوم تساله خادمة: والإمام بومت كثيرة - فقال لها: يا فاطمة، لم أفرغ بعد من حاجات أهل الصفة فكيف أقضي حاجتك؟ وبروئ أنه قال لها: إن إيتام شهداء بدر سباق في أمر الحزام والهديد. وأشهد اليه صحبة رداء في أحد الأيام، فنظر اليه أحد الحاضرين وقال: ما أجمل هذا الرداء، فدفعه اليه.
أراد أحد الصحابة أن يقيم مأدبة فرح له، ولم يكن عندنا ما يقدمه للأضيفاء، فأتى النبي ﷺ يستعجله، فأرسله إلى عائشة لتخطيه سلة ذي ق ركزت في بيته، فذهب ورجع بها، ولم يبق في البيت الرسول تلك الليلة ما يأكله.

وذهب مرة بصاحب الصفة إلى بيت عائشة، وقال لها: هل وبيت ما عندك من طعام، فله، بطعام من نخلة، فلم يشبعهم. فقال لنا: هل وبيت شيفا آخر، فهل، بحساء من ثمر، ثم بقدح من لبن. ولم يكن في بيته غير ذلك. فكان اللبن آخر ما قدمه للأضيفاء، فأبواهم بكل ما عدها.

وأنا شهت أن تشاهد المثل الأعلى للمثابة بالله والاعتدال عليه يشاهد ذلك في بيت هذا الرسول من الله، فإن الله أمره بقوله ( فاضير كتاب صير أولو العزم من الرسل ) فالمثل أمر به. وانت تعلم أنه بث في أمة أمير ذاه بحية وانفجعت تمنها أن تسمع كلمة غفيرة لمقائدها ومزاهمها، وهما عليها ان تموت في سبيل ذلك. لكن الرسول ﷺ قام برسالته صاخباً مثابراً فكان يوحد الله في المسجد الحرام ويصلي على امين المشركين في نداء المسجد الذي كان نادياً لهم ونجيهم، فكان يركع الله ويسجد أمامهم غير مبال بهم. وما نزل قول الله سبحانه وتعالى ( فاصعد يا أومر ) صعد جبل الصفا ونادي المشركين، فنادوا إليه بلغتهم دعوة الله. وقد استحسوه بضرب من الأذى حتى القوا عليه مرة سلماً جزور وهو فائم يصلى في نداء البيت الحرام. بل أرادوا مرة أن يغفوه بالبراءة، وانقروا الشوك في طر وقته، لكنه صبر كأبهي أولو العزم من الرسل.

وأما هم عممه أبو طالب، أن يخرج من ذعته ويسك بنده عن حمايته، قال له وقد حيت أنفذه: يا عم، إن قريشاً لا وضعوا الشمس في بيبي والقرص في بساري لا أنتهي من تبلغ هذه الرسالة. وإن قريشا قد 149
حرصته وبني هاشم في شعب أبي طالب مدة ثلاثة أعوام ومنعهم الطعام حتى كان الصبيان يضاورون جوعاً. واضطر الرجال أن يتناوبوا بوراق الشجر، ثم بينوا قناته، لكن الرسول لم يدخله الخوف ولم يتردد في تبليغ الرسالة التي بعث بها. ثم خرج إلى المدينة واجتمعت في طريقه صاحبه أبي بكر في غار ثور وتباهى المشركون حتى بلغوا مدخل الغبار وأقرنوا منه ولونوا ألقاهم لرآوهم، ورفع أبو بكر في تلك الساعة العصيبة فقال: يا رسول الله، لما نحن آثاراً فقال له بصوت ثائر: الطمأنينة وما ظلك مائتين الله ثالثهما، لا تخز، إن الله معنا، ووعدت قريش من يأتي به جائزة قدراً مائة من الأيل، فخرج سراً بين جمجم يركن فرسه ويبعده عنه حتى اقرب من الرسول فقال أبو بكر: يا رسول الله قد أمرنا، ورجل آخر يكره الإباحات فيه ويدعو للرسول، فكان هادئ النفس مطمئن القلب يذكر الله ولا يغفر له شيء. وبعد أن نجاه الله وبلغ المدينة لم يأمن غواسل قريش ومكابض اليهود فكان عاطفاً بالاختيار من كل جانب حتى كان المسلمون يحرسون بيته في الليل فنزلت هذه الآية (واللّه يعصرملك من الناس) فخرج لساعته من المدينة وقال اللذين يحرسونه: إذنبو فان الله وعدني بقصمه وتوبي حفظي.

ورجع من غزوة نجد. فاستولى بشجاعة في ساعة الهاجرة ونفرقه عنه أصحابه ولم يبق عنه أحد. بلما غلبته عينه جاءه اععرابي من المشركين وقد سل سيفه، قاتله الرسول فقال له الأعرابي: من يعضمك مني؟ (تأمل حرج هذا الوقف). فجابه رجاءه رابط وقلبه مطمئن باللذين: والله ما طرقت هذه الكلمة سمع الأعرابي حتى تأثر بها وأغفر سيفه.

خرج المسلمون إلى ساحة بدر في قلة من العدد والعدد وهم لا
يزيدون على ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلا بعضهم معه سيف بلا رمح وبعضهم معه رمح ولا سيف معه، وعودهم نحو ألف مقاتل في سلاح تام وعتاد كامل، فانتهى الجمعان وخي وطيس الحرب. نرى أين هو قائد جيش المسلمين؟ أنا، ها هو قد اعتقلهم لأجتنا أن نرى يدعون تارة ويستفتح على المشركين، ويسجد الله تارة وهو يقول: وَلِلَّهِ انشدَك عهدك! وعودك، اللهم إن شئت لم تعهد بعد اليوم.

وربما وقع الخلل في صفوف المسلمين وتفرقوا عن الرسول ، ففي قلبه هو ثابتا في موضعه كالجلب الذي لا يزعجه شيء، واقترب به متكلا على تأيد، راجيا نصره، كما وقع في سنح أحد حين تفرق عن أكثر الصحابة، فثبت هو مكانه، والمشاركون تارة يعملون عليه بالسيوف، وأخرى يشدون عليه بالرماح، ويرمونه أحيانا بالحجارة والمسام حتى انكسرت ثينه وشرخ رأسه ودخلت في رأسه حلقة المغرق، ففي تلك الساعة الروحية كان واقعا بنصر الله الذي وعده بعصمه فلا يخلقه، وكذلك وقع في حين حين كانت سهام المشركين تقع على المجاهدين المسلمين كالطر، ففرغر المسلمون، لكن الرسول لم يرمح مكانه، بل ظل ثابتا يدعو الناس إلى الله وهو يقول:

إِنَّا النَّبِيُّ لَا كَفَّرْتُ أَنتُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلْبِلُ ثم ترجل عن مطيعه وقال: أنا عبد الله ورسوله، ورفع يده يسأل الله ويدعوه.

انخواني، هل سمعتم بِقائِدِ بَاسل لا يزال يبتلي بِفئة جيشه ونقص عدتهم، ولا ينكسر على عقته ولا ينسحب من ساحة القتال. وان تفرق عن جندته، ويستفتح عن ساقه باستبتعاد ربه وطلب نصرته؟ ذلك كان مبلغ ثقته بالله، ويقينه بنصره وإعتيه على مدة.
وأخلاكم سمعتم بواعظ يعظ الناس بأن يحبوا أعداءهم ويعاملهم على مودة مبغيضتهم، وأن يزجروا الطيور سعداً للذين يزجرنهم الطيور تحسًا، لكنها لا أحيكم رأيتم أمثالًا عملية لا تعاطف الناس بهذة المبادئ فتعالوا معني إلى المدينة الرسول أرى أملة رائعة للعمل بالمبادئ لا أظنكم ترون مثلها في أمكنة أخرى. واتركوا ما جرى في مكة فإن النبي لم تكن له فيها قوة فلا نضرب المثل منها للحلم والعفو عن مقدرة. لكنه لما خرج من مكة ومعه صاحبه أبو بكر تعيبها سراقة وها في طريقها إلى المدينة وكان يطمئن بجائزة قريش وهي مائة من الايبل من يأتيها يرسَل، فجعل يركض فرسه والطمع في الجائزة يفزعه حتى دنا منها، وخفى أبو بكر على الرسول ودع الرسول ربه أن يعصمها من شره فسامحت قرائم فرس سراقة في الرمل فاضطر أن يترجل وجعل يستقيم بالازلام كعادتهم في الجاهلية فخرج له الذي بكر ثلاث مرات ومع ذلك ظلت قرائم القرش في الرمل فأتفقت سراقة بالشر وعزم على الرجوع فنادى الرسول وطلب منه الأمان وان يكتب له بذلك كتاب ويؤخذ كتباه يوم تعلمو كلمته فيتغلب على قريش، فأمر الرسول أبو بكر فكتب له كتاب الأمان، فلما فتحت مكة ورأى سراقة بعينه كيف تغلب الرسول وعلت كلمته دخل في الإسلام ولم ياخذ الرسول بما كان يريده من قطع، بل لم يساله عن ذلك البناء.

وقد علمتم أبا سفيان ومكانته من مشرك قريش، ونشاط في مقاومة الإسلام حتى لم يدع النبي بقر قراره ويظمن بلال في المدينة، وهو الذي زحف بالجيشه وعبا المشركين في بدر وأحد واحمد القائد منهم في معظم الحروب التي قامت بين المسلمين ومشرك العرب، وكم من مسلم قتل، وأموت جرح في تلك المعارك، لكن أبا سفيان هذا مع كل ما تقدم منه جاء إلى النبي مع عمه العباس قبل فتح مكة ولو أنه قتله.
كان بذلك مذدراً، لكنه - وهو الذي يعبث يرقة للعمالين - وقد وسعت رحته أبي سفيان فشلله بعفوه. ولم يكتف بالعفو حتى أكرمه وأعيز، ونادي في الناس يوم نفتح مكة: "من داخل دار أبي سفيان فهو آمن".

وعرفتم هندا زوج أبي سفيان في الخرب، وهي التي كانت مع لداتها من نساء المشركين تزجر ومترس على القتال وتخطب في غزوة أحد، وهي التي مثلت بحمزه النبي -رضي الله عنه-. فلما رأى النبي -رضي الله عنه- حمزة بعد الحرب وقد مثل به جزء لذلك المنظر المولم، ومع كل هذا فقد أتته عند يوم الفتح منتفقة فلم يترعرع لها ولم يسأله عنها فعلت بل عفا عليها وصفح. فلما رأى هذا الخرف النبيل أيتام ولم يسأل أن صاحت قائلة: يا محب، لم يكن أهل خيانة أبغض إلي من أهل خيالهم قبل اليوم، وأنا اليوم ليس أهل خيانة أحباب أي من أهل خيالكم.

وأبعد فتح الطائف قرر وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه هارباً يلتزم مكاناً آخر فاختبأ به، فلم أظل سلطان الإسلام هذا المخببا الذي لا يأبه وحشي قال له قاتل: إنك لا تعلم ما نعلم من أمر محمد، أنك لن تجد لنفسك مأمنًا إلا عندنا. فغضب عليه وذكر في تلك اللحظة عمه حمزة وقتله بيد هذا الرجل، فذرفت الدموع من عينيه الشريفين، وها هو القاتل أمامه ولم يدرك أن يقتضيه لكان ذلك حقًا وعدلًا، لكنه عفا عنه وأتفى بأن صرته قائلًا: "يا الوليك عني إفاني إذا رأت ثلاث تذكرت غمي حمزة وشهدته".

وها عكرمة وأبو عبيدة جهل كانا أعدها عدوين للإسلام والمسلمين ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنتي الله الكريم الذي لم يؤذّه أحد مثله. وابن عكرمة قاتل المسلمين نفياً لهنّ الله مكة لرسوله خاف على
نفسه ما فعله هو وأهل بيته بالنبي والمسلمين، فقصر ناجي بنفسه إلى اليمن، وكانت زوجه قد أرسلت من قبل وعرفت الرسول حق المعرفة، فذهبت بنفسها إلى اليمن وربطت على قلب زوجها ونضجت روعه ورجعت إلى المدينة، فإنها بلغ النبي قدومه سارع إليه يرحبه به حتى سقط عنه رداً، ثم قال لعكرمة بن أبي جهل وهو فرح مسرور:

"مرحبا بالراكون المهاجر، وهل تعلمون بين يرحب رسول الله، ومن هو هذا القادم الذي فرح بقدومه حتى سقط عن مكبه رداً، وشمله بحفيه وصافحه؟ إن هذا كله لرجل سبق منه قبيل اسلامه أن قال الأسلميين وأذاهم، بل هو ابن الذي ألقى على الرسول سلام جزور، والذي هم أن يهدم عليه وهو يصل في المسجد الحرام، والذي هم أن يصفع بالرداء، والذي أشار في دار الندوة بقتل حامل هذه الرسلة الإلبية إلى الإنسانية، والذي أوقت نار الحرب بساحة بدر وكلاً للاسلام المكابد ولم يقبل الصلح، هذا ابن ذلك العدو الألد، ولم يكن هذا الولد قد اعتزل أيها بشاره في جميع فعالاته، فأنا قد علما النبي وهو في أوج قوته هناك له، وبشجاع رحب به واستقبله بوجه طلق وصدر رحب.

وهبار بن الأسود هو الذي كان في الحقيقة قاتل زينب بنت الرسول، ولم فعلات أخرى وجرائم شنت وقد خالف المسلمين أشد الخلاف، فإن الله فتح الله مكة لنبيه آهديه دمه، فأراد هبار أن يهرب إلى فارس، ثم عانى عن ذلك وبدا له أن يحضر مجلس الرسول، فلما جاءه قال: يا رسول الله، كنت هممت أن أفر إلى بلاد الفرس، لكني

(1) الناشر: ثم كان عكرمة من أجلة الصحابة وكبار المجاهدين والقادة، مرضى الله عنهم.

١٥٤
ذكرت عقولك العام، وصفحك الشامل، نجستك مغنى يجمع ما
بغلك من ذويك. فلتأس سمع النبي، اعترافه شمله بعفوه الذي وسع
اعدائه جميعاً وفتح له باب رحمة الذي ما زال مفتوحاً للجميع.
وعمير بن وهب تآمر على قتل النبي، مع صفوان بن أمية بعد وقعة
بدر، فخرج إلى المدينة يترصد النبي، ومعه سيف مسمن، ووقع
أسيراً بأيدي المسلمين وثبت عليه جراحه، نخذ النبي، سبيله وسمه
يسعى به، بدون.
وكان صفوان بن أمية لما تآمر مع عمير بن وهب على حياة النبي،
وحرض عميراً على إقامة هذه الجريمة تنهى لعمر أنه يعول عليه ويقضي
عنه ديوانه ليرأه هناك في هذه المغارة. فلذا نفع الله مكة للنبي، فرق
صفوان هارباً من مكة إلى جدة ليركب منها البحر إلى اليمن، فجاء عمير
الي، يخبر بذلك، فأعطاه النبي، الأمان لصفوان فطلب عمير
من النبي، إمارة على أمان صفوان فأعطاه عابشه، فلها نقي عمير
صفوان وألح عليه بالرجوع إلى الخريف على نفسه فذكره عمير بما كان
من النبي، لما وقع في أمر المسلمين وحدثه بما قبل عليه
النبي، من كرم النفس وسعة الصدر وسجاحة الخلق وعظيم
العنف، فانقاد له صفوان وذهب إلى المدينة، فلما حضر مجلس النبي،
قال له: بلغني أنك قد أعطيتي الأمان، فهل هذا حق؟ فأجابه
نعم. فقال للنبي،: ليست داخلاً بينك حتى تهادي شهرين، فأجابه:
لقد أمهلتك أربعة أشهر ولم تنقض تلك المدة حتى صبح حال صفوان
ويغير قلبه ودخل في الإسلام.
وأما نفع رسول الله خير معقل اليهود العظيم وحسنهم المنبع،
105
صُنعت بحديدة طعاماً ودعت إليه النبي ﷺ. فأجاب دعوتها، فقامت له لما مسموماً، فإذا تناول منه أعلم الله بذلك فامسك بده عنه ودعا بالهودية فسأله عن الشأة المسمومة فاعتبرت بجرتها، وقد بلغ من خلّم رسول الله ﷺ أن تجاوز عنها ولم يأخذها على ذلك سوء، وبقي مدة حياته، يشعر بأثر ذلك السم.

وتقام آنذاً أن الرسول ﷺ عند منصرمه من نجد استظل في الهجرة بجسرة وعلق فيها سيفه ثم ساره النوم وقد ابتعد عن الصحابة وطرقوا لحاجاتهم... إذ جاءه إعرابي من المشركين كان يرقصه فأخذ السيف واعتبره ودنا من الرسول، فاستقيل، فقال له الإعرابي منيع ما؟ فقال له الرسول وقبله مطمئن وجاشه رابط: الله ﷺ، فها سمع المشرك هذا الجواب الذي لم يكن يرتقي ثائر وأغمد السيف. وفي غضون ذلك رجع بعض الصحابة والأعرابي لابد لم ينصرف، فلم يتعرض له الرسول ولم يعابه على ما كان همّ به. وكذلك وقع في أمر المسلمين إعرابي كان راعيداً لقتل الرسول، فلها أحضر إليه ذعر الأسير، فسكن الرسول روعه وخفف عنه وقال له: لو أردت قتلي ما ندرت عليه.

وقبض المسلمون على تنانين من المشركين يوم فتح مكة وكانوا مس يحرون على قتل الرسول، فلم يبلغه أمرهم أمر بتخليص سبيلهم ولم يبدأ سوء.

أخواني: انكم تعلمون الطائف وأهلها، وكيف قابلوا الرسول بالشر والاذى اياً كان في مكة يعاني صوناً من المصاعب والعخلات. ان أهل الطائف لم يعرض عليهم الرسول نفسه ليجيروه، جهوه وردوه أضيف رد، ولم يصعوا إلى دعوته. وإن سيد الطائف ورئيئها عبد يالبل.
استهزأ به ووعُبَّر عنه، وأجرى به طعام أهل الطائف وسلمت له بيضها ودُفِّنَت من بينهما، فلما مر بالطريق وقِدَّ اصطُرفوا صفين ومومياء بالحجارة فجرت قدمها وسالت منها الدماء على حذائه. وكان كليًا جلد يستجمر من التعب، ينعيونه من الجلوس وإذا مر به يرميه بالحجارة. وإنما ينعيه من أذي أهل الطائف لم ينه طوال حياته. ولقد سألته عائشة بعد ذلك بسنتين عن أشيام ما لقيه من بلاء فأخبرها بأنه يوم الطائف. وكان بعد ذلك أن راح المسلمون على الطائف في السنة الثامنة للهجرة وحاصروها فأطلوا حصارها واستعصى عليهم حصنها الحصين الذي قتل فيه كثيرون منهم، فهم الرسول أن يرجع عليهم، لكن أصحابه أبا عبيدة الفتح وسأله النبي أنه يدعو على أهل الطائف، فرَّف بديه إلى السيا، فدعوناه أن يدعو على أهل الطائف، أن ألقواهم للسلام وملكه فيها.

هذه هي رحلة الرسول وسعة صدره وسجاحة عقله وكرم نفسه. يدعو بالخير للذين آذوه بالشر أشد الآثاء، وأبوا أن يجيروه حين استجار بهم، ثم قاتلوه أشد القتال. ومع كل هذا لم يسأل الله منهم الأعظم ما يعلمه من الخير وهو الهدي، وأرائهم رجلا آخر في الدنيا بلغت الرفعة من قليه هذا المبلغ؟ اجبيوني، بله عليكم ولا تقولوا إلا الصدق.

دارت رحى الحرب على المسلمين بعد أن كانت الغلبة لهم، وذلك لأنهم خالفوا أمر الرسول، واستهديهم أموال المشركين فاستغادوا بجمع الغنم، وحينئذ كر عليهم العدو قُاتِلُوا وزلزالت إقدامهم، فاحتلّ المشاركون بالرسول وموته بالسهام والحِجارة وقاتلوه بالسلاح فانكسرت نذئه وشج رأسه ودخل في شتى حلقات من البضعة وتصلم بالدم. فلم يرد في ذلك الوقوف الراهب على أن قال: كيف تفلح أمة تقتل نبيها؟ لهم أهد قومي فاعمل لا يعلمون، وإذا كان المسيح عيسى بن...
نرمم قد قال في عظمة الجليل: أحبيب عدرك، فان عمدا رسول الله ﷺ يقتصر
على إرشاد الناس بلسانه بأن يحبوا أعداءه، بل أراهم بسيرته وعمله
كيف يكون موقفهم من أعدائهم?

ان عبد ياليل.. وأظنك نذكرن اسمه.. قلبه في الرسول هو وعبيرته
بالمكره وآذوه أذى شديدًا. فقد نزل مع قومه على الرسول ﷺ في المدينة
بعد ذلك أنزله في مسجد، وضرب له قبة فيه، وجعل يزوره بعد كل
عشاء، ويعز عليه ما كان يلبق وهو في مكة من عناء وجهد. ومن هو
عبد ياليل؟ هو الذي استقبل الرسول ﷺ في الطائف بالذين، ووجهه
بالحجارة وسماه الخصب. فهل عهد من أحد فيه ما أن يجب عدوه
وعقوبه مثبط هذة الساحة عند المقدرة؟ وما فتح المسلمين مكة
ودخلوها أعزاء ظافرين اجتمع رجال قريش وأشراها بفناء المسجد
الحرام، وفيهم من كان قد شتحم الرسول وأظافه ضروب الآذى
وفيهم من كان قد اتنمر عليه بالقضيل، وفيهم من كذب يرساله
رافترا عليه، وفيهم من قاله وتدرّب بكل وسيلة نحو الإسلام، وفيهم
من طعن النبي بالرمح وضرب بالسيف وفيهم من آذوا فقراء المسلمين
رضعاءهم وكوا صدورهم وظهرهم بالجمار الملتئب، كل أئلتك من
رجال قريش وساداتها كانوا يوم فتح مكة وأهالي منسفهم، رؤوسهم
صاحبين، ولعلهم كانوا يذكرون ما سلف منهم، وتخز ذكراءه في ضياءهم
مرتقين أن يوقع بهم الرسول جزاء ما اقترفوا، وحق هم أن يتفقوا، فإن
الذي اجلوه عن وطنه وأخرجوه من دار. قد عاد بهم فان تزعموا عزيزا يقود
تحت رابته عشة آلاف من الابطال الاباسين الذين يتظرون أواصر
سيدهم لينفقوها.

في ذلك الموقف الرهيب ساهم الرسول: ماذا ترون أني فاعل بكم؟
قالوا: خيراً. اأخ كريم وابن اخ كريم. فقال كريم: أقول اليوم ما قال يوسف لابنهم (لا تشرب علىكم النبي) إذن ما فاتنطم الطلقين.

هذه هي عبادة الإعداء والعفو عنهم. وهنا ما حقق محمد رسول الله، وضرب به المثل للضيافة التي لا عهد للدين بها، فذلك هو العفو والصفح، وذلك هي دماثة الخلق رása الصرد وكرم المعدن. إنه لم يدعو الناس إلى فضيلة إلا بدأ بها بنفسه. لم تكن دعوته كلمات عذبة يرسلها على الناس، ولكنها كانت عملًا يتقدم به إلى الإنسانية ليكون لها منه أسوة وقدرة.

إن دعاة الديانات الأخرى يسمعون الناس مواعظ حلوة من أقول أبياتهم ومصليهم. أما دعاء الإسلام فيقدمون للانسانية أمثلة عملية من سنة نبيهم ربه. ولذلك كتب الله الخلود لهذه السنة وهذا الهدى، والدين الإسلامي كي يدعو الأمم إلى كتاب الله يدعوها كذلك إلى سنة نبيه الكريم: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة). إن هذا يدل على أن الرسول نفسه مثال لهذه الدعوة، وحياته حياة مثالية للبشر جميعًا.

وهذا من خصوصيات الإسلام، فكأنه من الإسلام للناس القوانين والاحكام، عرض عليهم كذلك حياة النبي لتكون مثالًا لهم يقتدون بها في حياتهم. ولذلك كان يقول لهم: "صلاةنا رأيتني أصل«، وكانوا يتداولون أخباره في آداب المعاشرة مع الأولاد والأزواج ويعرون توليه: "خيركم خيركم لاهلك، وإذا خيركم لاهلك".

وأما وقفات بعرفات في حجة الرداح كان عدد أصحابه من حوله نحو مائة ألف أو يزيدون، فبلغ رسائل ربه الأخرى، واعتن فيهم أحكمه، وأبطل بيايا رسوم الجاهلية، وبما ما بقي عالما من آثار مفاصدها، واستثمر فيها وأزال أسباب الحروب بين الأمة العربية وأبطل دواعي

109
الملاحم التي لم تكن قبل ذلك تنقطع. لكنه لما أعلن إبطال دراعي 
الجاهلية بدأ بنفسه أولاً فقدم من عمله ما يدعو الناس إلى أن يقتدوا به، 
فخاطب ماله الف من العرب الذين شهدوا موسم الحج قائلاً لهم: 
إن دماء الجاهلية موضوعة تحت قدمي، وأول دم أضعه دم ابن 
ربيعة بن الحارث. 
وأبطل ربا الجاهلية، وأول ربا أبطله ربا عمه العباس بن عبد 
الطلب.
وتأتي الكرامة والشرف مع النفس والمال، وإن معالجة الأمور المتعلقة 
بأعراض الناس وشرفهم من أشد الأمور وأفضلها وإصلاح ذلك يعد 
غضاً من كرامات الناس ونيل من شرفهم. لذلك قلنا: أجرنا المصلحين 
على إصلاح الرسوم الفاضدة الملكية من قوام الناس والضاربة جذورها 
في أعراق قلوبهم حتى إنها تجري في عروقهم مجبرة الدم. أما 
الرسول، فأنه علم الناس المساواة بين جميع الطبقات، ودعاه إلى 
الأخوة الإنسانية بصدق ما نصل إليه معانيها، حتى إن الرقيق الذي كان في 
إصلاح الجاهلية أدل الناس وأحقرهم، دعا الإسلام الناس إلى أن 
يعاملوه معاملة الأخ وال://ثيل، وبدأ النبي بنفسه فاتخذ غلامه زيدا 
بنزلة الابن، وسوى بين الرقيق والعبري الحرم الكربم المحتد الشريف 
التجار، وكان قد بلغ الإباء والفخر والخيلاء بالعرب إلى أن كانوا يبرعون 
ذلك في الحرب أشد المراعاة، فكانت القياقل تتفاضل في درجات الشرف 
والكرم، والذي يزعم لنفسه أنه أشرف من غيره وأرفع نواة يشعث بهائه 
مترفعاً عن أن يدنس سيفه في القتال بدم من يراء دونه شرفًا وكريمًا ومنزلة. 
أما رسول الله فقد أذن في الناس أن الناس كلههم لم يأخذ من 
نواب: لا فضل عربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوا
إن أكركم عني الله أنتواكم) ولهذا التعليم الجديد أعلن أن الناس كلهم سياسياً إلا بالفضائل فلا تعلو طبقة على طبقة ولا طائفة من القوم على طائفة أخرى، وأصبح السيد والولى والغني والفقر سواء لا يتفاوتون إلا بالنفوس الرضية والأخلاق الصالحة. ولم يبق للنسب وزن في ميزان الإسلام. واحتاج هذا التعليم إلى عمل يؤيده ويقويه ويقيم له ولزنا في أعين الناس. وكان النبي ﷺ لما ذهب زينب بن حارثة زوجه زينب بن جحش (رأى أمه أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ) وكان النبي في نظام الجاهلية مثل الوط من الصلب، فكانوا يحرمون على أنفسهم تناقل حلال من اتخذوه أبداًCustomer removed) كأمور من فسخهم تناقل حلال الأبناء من الصلب، وقد جر هذا الحكم الجاهلي مفاسد عظيمة في حياة الأمة عند العرب، فإن جاء الإسلام بإصلاح رسول الجاهلية الفاسد أبطل بعضها وعدل بعضها، فإن أراد أن يبطل أحكام الجاهلية في المتبنى، ست الحاجة إلى أن يبطل هذا الحكم الفاسد بعمل من أعمال الرسول، ولا يخفى أن الشرف من أشد ما يحافظ عليه الناس ولا سيا العرب، فأقدم الرسول على ما دعا إليه من أبطال حكم النبي، وزوج زينب حلية زيد بعدما طلقتها زيد، وبذلك أنهى هذا الرسوم الفاسد ولم يبق له أمر بعد عين.

إن حياة الرسول ملأى بالأمثلة، وعامة بالوقائع التي تدل على أنه قدم حياته للإنسانية لتكون أسوة لابناؤها، وأنها طمعنا مني في الإيجاز، وروي أنها بالسامعين عند هذا الحادث كي لا ينسوا، أمسك عن الأطبار في هذه المحاضرة لأن الوقت قصير والبحث طويل.

أخواني تأملوا حياة الأنبياء من أدم إلى عيسى، وفكرنا نحن سلف من المصلحين والذين بعثوا بداية الحمل: من الشام إلى أقصى الهند.
فهل تعرفون واحدا منهم عمرت حياته يمثل هذه الأفعال الجليلة المتغيرة، ويتمثل هذه الأفعال العظيمة الكامنة التي يرى فيها الناس أسوةٌ هم ومنهاج حياتهم الشخصية والاجتماعية؟

واليكم الآن كلمة واحدة. إن أحد الوعظين والخطباء يذكر في مواضعه وخطبه (الحب الإلهي) بكلمات عذبة وألفاظ فصيحة رائعة.

ولكن – كما قيل – أن الشجاعة تعرف من ثمرها. فماذا كان أثر الحب الإلهي الطاهر في حياته العملية؟ ولكن تعالوا أدرسوا سيرة هذا الرسول العربي الذي كان يحب الله، تجربته ذاتية في ظلالات الليل يصل والناس.

ثم ترونه باقئاً ذراعيه إلى السماء يسأل ربه اقامة الحق وتيسير الخير، وقبله خاشع، وطرقه داعم، ولسانه رطب بحمد الله وسببه.

وتمجيده. ليست هذه هي صورة الحب الإلهي في أجمل حالاتها؟

ان نبي الله عيسى بن مريم لما قبض عليه أعذراؤه وأرادوا صلبته، انطلق لسانه مرضاً : "إلي، إلي، لا إله إلا الرب، ربي، ربي، لماذا تركتي وخذلتي؟". أما محمد رسول الله فإنه لم يبقي من الزمان، وأيقن أنه تركت هذه الدنيا، وكادت روحه الطاهرة تفيض صمودا إلى ربها.

أخذ ينهاي ربه قائلاً: "اللهما إلى الرفق الأعلى"، فهو في حين شديد إلى لقاء ربه، وفي شوق عظيم إلى رفيقه الأعلى. فأي الجملتين أدل على الحب الإلهي، وأيها أصيح في الحنين إلى لقاء ربه العاليم عز جلاله.

وعظم سلطانه؟

«اللهما صل عليه وعل سائر أخوائه من الأنبياء والمرسلين».
المحاضرة السابعة

رضي الله عن جميع الأنفس

ساتي. بينت فيها سابق من المحاضرات السابق أن حياة النبي هو الذي يبدن أن تتخذ أسوة، وأن سير الرسول هو الذي تستحق أن تكون قدوة لبني آدم أجمعين من بين سائر الطوائف العليا من الناس. وأن السيرة التي تستحق أن تكون أسوة لجميع الناس إلى يوم القيامة من بين سير جميع الأنبياء والرسلين هي سيرة محمد ﷺ في حياته الشريفة.

وأما تبين أن سيرة الرسول العربي هي السيرة، والمثالية، وفيها الأسوة الكاملة للمسلم كله فان لسائل أن يسأل ماهي الحياة الكاملة والسيرة الجامحة في هذا الرسول أي شيء في رسالته للناس من ربي العالمين، وماذا بلغ الناس عن ربه وما هي الأحكام اللازمة في رسالته التي بعث لاجليها هذا النبي الذي ختم الله جملته واشتاق له عن أي نبي يأتي بعده وكيف أصلح خطام الرسول برسالته الأحكام السائقة من الأنبياء السابقين وأكمل ما كان ناقصا منها بسبب مقتضى البيئة وطبيعة الحال؟

لا شك أن الله سبحانه قد بعث كثيرا من الأنبياء في مختلف العصور ورَأَنْتَ لِلنَّبِيَّ الرسول، على السنة ورسالته. وقد قلت مراراً وأثنت باقلن. واضحة أن أولئك الرسول خصص الله رسالتهم بعض الامام وبعض الأزمان، لذلك لم تسحب الحاجة إلى حفظها من عواصل التصحيح والتحريف، ولم تتعلق عناية الله بصيانتها من أيدي البلا ولحي الدين، نضاعت أصولها المعاصرة لأصحابها أو قريبة العهد منهم، ووجدت بعد
فاضياعها تراجم دخلها كثير من التغيير والتعديل فبعد التراجم عن أصلها كل البعد واختفت واتخذت زيرتها كثيرا مما لا أصل له في الصحف المنزلة. وإن ضياع تلك الاصول الأولى دليل واضح على أن تلك الرسالات كانت لزمن عقد قد مضى ولولا ذلك لاقتضت حكمة الله بقاء أصولها.

أما ما بعث الله به خاتم رسله محمدًا ﷺ فقد تولى حفظه، وسمي عفويا من كل تزوير أو تصحيح إلى يوم القيامة، لأنهم آخر رسالات الله، وسمي للبشر ما بقي في الدنيا بشري. ولذلك أعلن الله صفة الكيان والهالم لهذه الرسالة ووعد بحفظها، ولم يعن مثل ذلك ولم يعد به في أي كتاب آخر من كتب وآية رسالة من رسالاته، بل على العكس من ذلك نجد النص في سفر التثنية من التوراة (15) على أن رسالة موسى مؤقتة وأن الله باعث غربا، يقيم لك الراب إلهك نبيا من وسطكم من إخوتك - مثله - له سماعا، وقال (18): أقيم لهم نبيا من وسط أخوئهم مثلك، واجعل كلامي في نصه، فيكلمهم بكل ما آوصي به (33: 1-2). هذه هي البركة التي بارك بها عبد الله موسى بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء، واترى من رؤيات الله، بعينيه نار شريفة لهم. فهذه الآيات من سفر التثنية في التوراة تدل على أن الله بعث نبيا مثل موسى في بنيه نار شريفة ملتية، وأن الله البلقي في نصه كلاما فيكلهم الناس بكل ما يوجه الله إليه. وهذا أوضح دليل على أن شريفة موسى لم تكن آخر الشعائر ولا أثوابها إلى يوم القيامة. وهذا النبي أشعيا.

(1) بريت فاران هي التي سكنتها هاجروا إبناها، سموا كليما في سفر التكوين 21.
يبدع بعثة النبي آخر في الأصحاح 40 من السفر المنسوب إليه. وفي سفر ملائخ يشارة برسول من رسول الله، وكذلك سائر أسفار بني إسرائيل، والزبور تدل كلها على أن ما كان عندهم لم يكن آخر رسالات الله، ولا اتصفخت شريعتهم بالبقاء والندام. وأدرسو الأنجيل كذلك فأنكم تجدون في نِهج يوحنى (14:12) : وفؤاد أطلسب من الآب أن يعطيكم قارئاً آخر ليبيق معيكم إلى الأبد. وفيه (12:13-16) إن في أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحملوا الآن، وإما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، فهذه الآيات من الأنجيل دالة دلالة ليس فيها إيهام على أن ما في الأنجيل ليس آخر رسالات الله، ولم تتم به رسالات الله، بل سيأتي بعده النبي آخر تكمل به رسالة عمي بن مريم. أما الرسالة المحتمدة فلا النبي، النبي آخر يأتي بعدها، ولا تأتي ناقصة ستكون بشرية ينفوذها. إن الرسالة المحتمدة تأتي بأنها كاملة وأنها تامة لا نقص فيها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (المائدة 4). وأن محمد هو القائِل بختم بي النبئون ؛ إلا النبي يعده، وأنه آخر لبناء النبوة. كل هذا من الدلائل الساطعة على أن رسالة محمد هي الرسالة الحالية من رب الملائمين لنبي العالمين الأبعد الله. ولذلك تولى الله حفظها ورسياتها وصمتها فقال عز من قائل (إنا نحن نذكر الذكر وإننا لخلقون). 

أخواتي، بليا سؤال آخر لا بد من الجواب عليه: هل أنبهي النبي آخر غير محمد برسالة عامة لجميع البشر، وهل جاءت من الله رسالة غير الإسلام شملت دعوتها الناس جميعاً أن بني إسرائيل قصروا الدنيا على أنفسهم فجعلوها عودة بحدود بلادهم، بل زعموا أن الله السالم هو
إله امتهن وحدها وخصمها تمامًا بأنفسهم من دون الناس. لذلك نرى
إنه انتهى بني إسرائيل وأسفارهم لم تعني دعوتها لغيرهم من الأمم، ولا
نزول الشريعة الموسوية والذين اليهود متفقين على الإسرائيليين لا
يتزاوجهم إلى غيرهم، وأسفارهم لا تناضب غيرهم ولا تدعو إلا
اسباطهم، بل إن عيسى المسيح لم يرفع إلا إبنته بني إسرائيل الضالة،
ولم يبلغ رسالته إلا في تراهم، وأرضهم والمسؤونين لهم؟ ولم يرغب
في أعطاء خبر الأولاد للمكلاب.
وذلك صحائف (ويدا) الهندية وهي الكتب المقدسة التي يدعى
الهندوس أنها منزلة على اتباعهم من السياح، لا تطرق نبرات تلويتها آذانا
غير آذان الآمة الآرية، وجميع الناس من غير الآريين أنجح من مكانه.
والآثيم الشور (أي الأنجاس) إذا سمعت آيات (ويدا) فليصب فيها
الرصاص المذاب.
أما الرسالة المحمدية فهي الأولى والأخيرة من رسائل الله، التي
جعلها الله للناس كافة أحرهم وأصبهرهم وأيضرهم وأسودهم عربا كانوا
وعجبها من الصين شرقاً إلى أقصى الجزر البريطانية شمالي، يستوي فيهم
القطر والفرنج، ذلك لأن إله رسول الله محمد ﷺ هو إليه جميع الأمم.
وهو رب العالمين (الحمد لله رب العالمين) فهو لا يقل ذلك مرسل
للإنسانية كلها (رمي لبعينين) فرسالة الإسلام رسالله تعالى، جمع البشر
(إن هو إلا ذكرى للعالمين) (الأنعام 10)، (تبارك الذي نزل القرآن
على عبود ليكون للعالمين نذيراً)، الذي لهُ ملك السماوات والأرض.
(القرآن: 1-20)، فرسول ﷺ نذير الدين وكلها، ورسالته تعالى العالم
إنه، وحينما ينفذ حكم الله فتلقين شريعة الإسلام قائمة ورسالة محمد
نافذة. وقد جاء في سورة الإعراف (قل يا إبنا الناس لإني رسول الله

166
إليكم جميعًا الذي أنتم ملك السماوات والأرض). وهذه الآية تعلن عهود الرسالة المحتمية إلى كل من يبلغه نذائرها ورصلها دعوته (وأوحي إلی هذا القرآن لأنذركم به ورمن بلغ) (الانعام 19). فثبت من هذه النصوص أن الإسلام وحده هو الذي أعلن عهود دعوته للإنسانية كلها وعده هو الدين الاجمالي الجامع للمحسنين وله بيته بين جميع أهل الدين. قال الناس في الألفية قبل أن يفهموا هذا، وبعثت الي الأمم كلها عامة، وهذا يؤيد دعويه، والتاريخ يشهد لها شهادة لا ترد. وكيا أن السيرة المحتمية كاملة تامة، وفيها الأسوة لجميع البشر، كذلك دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ في أمهم دائم وفيه صلاح العالم ورشاده.

ولسأتأت أن يقول: هلني على حقيقة الرسالة المحتمية التي أكمل الله بها الأديان، وثبت بها نعمة الله على العالمين، وهي تثبت الله خاتم أبنائه بالسيرة الكاملة والاسوة الشاملة لجميع البشر، في الدنيا والآخرة، والجهاب على ذلك أن الدین يشمل على أمرين: أمر يتعلق بقلب الإنسان ويسمي (الأيمان)، وآخر يتعلق بجواريه بما يليك ويدعى (العمل). والعمل يقسم إلى ثلاثة أقسام: أولها يتعلق بالله وهو العبادة، والثاني يتعلق بتعبئة الناس بعضهم ببعض وهي التعاليم ومعظمها القوانين والاصول، والثالث يتعلق بآداب النفس وآداب المجتمع وهي الإخلاق. فالأيمان إذن عقائد، وعبادات، ومعاليم، وإخلاق، وهذه الأقسام الأربعة اكتملت بالرضا المحتمية والتعليم عائلي المسلمين فيلمت الغاية التي ليس وراءها غاية.

والآن نعلموا نستعرض الكتب السياحية لنقارن ما فيها من هذه الأقسام الأربعة: أما النزوة والإنجيل فلا يرغب فيهما من العقائد لا يروي
الخليل ولا يشفى الخليل. نعم، نجد فيها ذكراً لوجود الله وتوحيده.
لكننا لا نجد فيها دليلاً يدل ذلك ولا بررهانًا يحتم النقوس على التصديق
به، كما لا نجد فيها ذكراً للصفات الاحفاز التي تزكى بها السروح
الإنسانية، وظهور بها نفس البشر، وتشابها بعدها الله وعفافه.

فقبل البعثة المحمدية لم يكن الناس يعرفون هذه الأمور ولا كشفت
هم الحجب عن حقيقة النبوة والرسالة والحوい والإلهام، والصلة بين الله
ورسله، ومكانة الأنبياء ومنازلهم، وكيف يؤمن الناس بالنبوة وما يعني
الإيمان بالأنبياء وما يعني عصمتهم. هذه المسائل كلها لم يكشف ضمها
ولم يقف الناس على بيانها قبل الرسالة المحمدية، لأننا لم نرني من
الأنبياء تصدى لذلك وأفاد في ذلك. أما الجزاء على الأعمال، وأمر الجنة
والنار، والحشر والنشر، والقيامة والحياة بعد الموت، فكل ذلك غامض
قليل الموضوع في النزوة، ولا نقرأ عنه في الأنجيل إلا فقرتين في جواب
يهودي، والجنة والنار لا نرى عندها إلا فقرتين كذلك. بينا الرسالة
المحمدية هي التي افاضت في هذه الأمور بوضوح عظيم.

وإذا أردت أن تعرف الملائكة من النزوة يلبس عليك أمرهم، وقد
يشق عليك أن تميز بين حديث النزوة عن الله وحديثها عن الملائكة (انظر
سفر التكوين 18: 1 و 19: 1) وذكر فيها الملائكة، والتبين في
الأنجيل حقيقة روح المقدس نفسه بما حتى لا يتسنى للقارئ أن يميز
بين الله وروح القدس، بل يصح عنده أنه إليه أو ملك. أما الرسالة
المحمدية فقد أوضح أصوة الملائكة، وكشفت عنهم الحجب. فأصبح
ملحوظ هذا اللقب بينا واضحاً ومكانة الملائكة وأعمالهم معينة معلومة
وإسهامهم مذكورة، فهو وسائط بين الدوران، وينفذون إرادة الله في
تدبير العالم وتصريف الأمور في الدنيا، كل ذلك نراه مفصلا في آي الذكر الحكيم.

هذا في المقاعد مما قد فصلته الرسالة المحمدية وأوضحت أمره، أما في الأعيان ورأسها عبادة الله، فإن التوبة تتوزع في ذكر القران وآدابها وشرائطها، وفيها ذكر الصوم والأدعية، وفيها ذكر بيت إيل أو بيت الله. ومع ذلك فإن هذه الأمور غير واضحة ولا تستوعب أنظار الناظرين حتى أن منهم من جنح إلى إنكارها. وفيها عدا ذلك فائتانا لا نجد في التوراة أنواع العبادات واقسامها ولا طرقها ولا آدابها ولا تعين أوقاتها، وليس هناك عنيدة تامة بتعليم العبادة للناس، وقد أعـمل جانب عظم من كيفية ذكر الله ودعاته، فلا نرى ما يدل على تعليم دعاء خاص لرب العالمين، وكيف يدعو الناس ربيهم وسألوه بحاجاتهم، ونرى في الزبور أدعية كثيرة ومناجة لله طويلاً، لكن ليس فيه ذكر لأداب العبادات وشرائطها وأوقاتها، أما الأنجيل فقد ترى فيه ذكر للعبادات، بل ليس فيه ذكر للعبادة المتينة، نعم نجد في فقرة منه (من) 4: 20 ذكراً لتكشف المسيح وصيامه أربعين يوماً. وفي الإنجيل إياها اعتراض اليهود على المسيح بأن أصحابه لا يصومون، وفيه ذكر دعاء دعا به عيسى عليه السلام في الليلة التي أرادوا صلبه فيها، وفي ذلك الموضوع دعاء آخر له، لكننا لا نجد ذكراك لعبادات أخرى.

أما الإسلام فإنه الفعل الصلاة والصيام والحج، مفصلة آداب كل منها وشروطها، وموضوعة طرق عبادته وسننها. وهو يرشد الناس إلى كيفية ذكر الله، وباقي دعاء بعون. وباقي كلمات بلغة يسألون رب العالمين.

وقد عين لهم مواعيد الصلاة والصوم والحج، واحكموا هذه العبادات وسننها، وكيف يسألون ربيهم فيها ليستنزلوا رحمته ويستنجروا ذئبهم.
وكيف ينضرون إليه ويشعرون له ويتناجون في سره ويدكرونه في
أعماله ، وكيف يتوبون إليه معترفين بولائهم ، منيبين إليه منها متوغين
وزكية تفوقهم ، وترنيه أرواحهم ، وتظهير قلوبهم ، والقرب إلي رحم
بكل ما ينالون به مرضاته ، لكون روح الدين قائمة وحقيقة ملموسة 
والقسم الثاني من الأفعال : العاملات . ويبتني أن نسميها قوانين
الملكة وأصول المعاشرة ، وهذا الضرب من الأفعال مخلصة تفصيلًا وافية
في رسالة موسى عليه السلام ، وأوفر بالرسالة الحمودية أكثرها لكنها
خففت من شدة أحكامه ووسعت ما ضاقت منها فجعلتها صالحة لتكون
قوانين عادلة . وكانت دائرة العمل بها محدودة ببني إسرائيل فلي فأضاف
اليها الإسلام ما نقص منها أصبحت جديرة بأن يدعو العالم كله لأن
يتخلوها قوانين إنسانية عادلة . ونحن لا نرى ذكرها لأن قوانين المملكة في
الزبور ولا في الأنجيل ، وقد نجد في الأنجيل بعض الاحتكام في
الطاقت ، أما الأمور الأخرى فلا أثر لها فيه ، مع أن الدين العالمي الأبدي
الذي يتكفل بحاجات المجتمع البشري يتحمل أن يشمل قوانين الدولة
وأصول المعاشرة . وليكن ضمني السبب عليه السلام خلاباً من هذه
القوانين فقد اضطرت الأمم المسيحية إلى استعارة هذه القوانين من الأمم
السبقية كالغريق والروم . بينما الرسالة الحمودية اكتملت فيها هذه
القوانين ، لأنها نظرت إلى هذا الضرب من حاجات الأمم نظراً ثانياً
حكياً ، فاستوعبت من جميع نواحيه مستقصية جاته كلها ، فلم تشرك
نابية منه إلا وقد أفتتها ، فاستقر قوانين كلية أنتمتها على أصول جامعة
استثمر منها الأئمة المجتهدون للأصوليون من فقهاء العلماء إحكاماً
لحاجات جدت ومتضمنات حدثت ، ولا يزالون يرتبطون منها .
واستمر هذا العمل الفعلي في هذه القوانين ألف سنة من أعار الدول
الإسلامية الراقيا ذات المدنية الزاهرة والحضارات الزاهية . وعمل

170
ذلك المسلمون في مختلف بقاع الأرض وأقطارها، ولا يعرف العالم كله إلى الآن قانوناً أعدل ولا أرحم بالنسانية ولا أصلح لها من قوانين الإسلام.

والقسم الثالث من الأعيال: الأخلاق. وإننا نجد في التوراة أحكاماً عديدة تتعلق بالأخلاق، منها سبعة تعد أصولاً، وليس في هذه الأصول السبعة إلا أصل واحد إيجابي وهو الأمر بطاعة الوالدين والبر بها، أما الستة الأخرى فكلها سلبية وهي النواحي: لا تقتل، لا تسرق، لا تزور، لا تشهد على جارك شهادة زور، لا تتجاهن حليلة جارك، لا تطمع في مال جارك. وبعض هذه الأصول داخل في بعض، فهي في الحقيقة أربعة.

والأنجيل رد هذه الأحكام السبعة كما هي في التوراة وزاد عليها الحكى على عبادة الخير، فنجاء بزيادة واحدة على ما في التوراة. أما الإسلام فقد جاء بأحكام كثيرة في المعاشرة، وبقوانين مفصلة في المعاملات، وأعراض فيها كان نحوا حتى جعل منه بحراً. وفي القيادة التي أسرى فيها بالرسول ﷺ أعلى الله أهل الإسلام اثنى عشر حكايها أساساً منها واحد في التوحيد، وكلها مذكورة في سورة الإسراء (۲۳-۳۹). وفيها خمسة إيجابية تدعوها أوامر، وخمسة سلبية تسمى النواحي:

وقضي ربيك ألا تُعَبِّدوا إلا إياه، وبالوالدين إحساناً: إما يبتغينَ عندلك كبير احدهما أو كلاهما فلا تقل لهم أبداً ولا تبهرهما وقال لها قولًا كريمًا. وان(hour) لها جناح اللذن من الرحمة. ولكل رتب أرحمها كيا رّبّياني صغيرًا. ربك أعلم بما في نفسكـم: إن نكونا صالحين فإنّه كان للاولين غفوراً. وأت ذا القربى حقه والمسيّن وابن السبيل. ولا تبذّر تبذّر تذّرت إن المشدرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لرّبّه.
كتفوا. وإما تُعَرْضُهن عنهم ابتداءاً رحمته من ربك ترجوها فَقَلّ هم قولًا مُّسَعَّرًا. ولا تَجَلِّنُ يَدًا مَعْلَوَة إلى عَتْنَاكِ ولا تُبْعَاطُها كُلّ البَسْطِ تَفْقَعُدُ ملماً عَسَورًا. وإن ربك يَبْسُطُ الرَّوْقَ أن يَشَاء ويَقَدِّر، إن كان يَبْعَبَو خَبِيرًا بَصِيرًا. ولا تَقْتَلَنِ أَوَلَادُكُم عَمَّى مِن إِمَلاطٍ نَحْنُ نَزْرَتُهُم وَيَاكِم، إن قُلُبُكُم كان خَطًَّا كَبِيرًا. ولا تَقْرِبُوا الزَّوَّاُن إذا كان فَاحشةً وَسَاءَ سِيَلًا، ولا تَقْتَلْنَا النَّفْسُ التي حَرَمَ الله إِلَى الحَقِي وَمَن قَطَل مَلَكُوا فَقَدْ جَعَلنا لَوْلَى سَلَطَةُ فَلا يَسغِفُ في القَتَل. إن كان مَتْسُرُوا، لا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلا بَالَّتِي هي أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغ عَشَرَةَ، وَأَوَافِوا بِالْعَهْدِ إِنْ العَهْدُ كَانَ منْ مَسْكًرًا. وأَوَافِوا الْكِتْلَ إذا كُلُّوْنِ وَزَنَا بِالْقَفْضَاتِ المُسْتَقِيمَ، ذَلِك خَبِيرُ وَأَحْسَن تَاوِلًا. لا تَقْفِ إِلَّا مَا لَكَ بِعَلْمٍ إِنْ السَّمْعَ وَالبصَرَ وَالْفَوْقَ إِذْ كُلَّ أَوَلَدْكُنَا كَانَ عِنْدَهُ مَسْكًرًا. لا تَمُشِّي فِي الأَرْضِ مَرَاحًا، إنك لَن تَضُرِّقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِنْبَ الْكَثِيرًا. ذَلِك كَانَ سَيِّئًا عِند رَبِّك مَكْرُوهًا. ذَلِك مَا أوْحَى الَّيْتِيم رَبِّك مِنَ الحَكْمَةِ:

1 - بر الوالدين وطاعتهما. 2 - إبنتك كل ذي حق حقه. 3 - الاحسان إلى اليتيم. 4 - الوزن بالقسطاس المستقيم. 5 - إيفاء الكيل. 6 - الوقف بالوعد (هذه أمور خمسة إيجابية).

1 - لا تقتل أولادك. 2 - لا تقتل نفسا. 3 - لا تقرب الزنا. 4 - لا تقف ما ليس لك بعلم. 5 - لا تبذر في النفقة. 6 - هذه أمور خمسة سلبية.

فإذا قارنت بين ما جاء في القرآن من الاحكام الأساسية وبيا جاء به الأنجيل والترابرة تَنَبَّأ في حق جميع الرسالة الحمدية وتبعض لكم أنبياء اكتملها ما كان ناقصا في الرسالات السابقة التي لم تهتم بذكر الاحكام الأساسية. ولم تقتصر رسالة الإسلام على تكميل هذا النقص، بل
عنит بحل معضلات المجتمع البشري في الاخلاء، وجهت الإنسانية إلى الطريق المثل في قوها، وبهت الإنسان إلى نواحيه وعيهنه وأفراده النفسية، ووصفته له دواء من كل داء من أدواء النفس، وأخذت بنه إلى الجادة الوسطى في الأعيان والأخلاق والممارسات هذا ما أكملته الرسالة المحمدية من الناحية العلمية.

ولو شنتنا أن نعبر عن جميع تعاليم الإسلام بأسلوب موجز، يجزينا أن نعبر عنها بهذين الكلمتين الرجعتين: الأمان، والعمل الصالح.

فيتان الكلمتان تشملان جميع ما جاءت به رسالة محمد وعميون بكل ما أكملته من عقيدة، وعمل، وخلق، وحسن معاملة، فهي قوانين الإسلام وزبدة ما جاء به محمد رسول الله، وهي في الواقع قوانين الفلاح والنجاة وصلاح السعادة. فمن آمن بلهامه لا يزعزعه شيء، وأطاع الله فأمر به من حق وخير وعمل بذلك عملًا صالحا لا يشوبه سوء، أفلا يفعل ويدعو. وقد وصف الله في كثير من الآيات شان المؤمنين الذين يؤمنون بالله ويعملون عملًا صالحا ويشرون تارة بقوله (أولئك هم المجاهدون) وتارة بقوله (أولئك هم الفائعون). فالفلاح البشري والفوز الإنساني يرجع إلى الأمان بالله والعمل الصالح بعيداً آمر.

وقد كان بودنا أن نستند القول في الأعيان والعمل الصالح ونوفيها حقها من البيان والشرح، لولا أن هذا الموقف لا يساعد على ذلك.

(1) والإيمان الإسلامي يضع وسمن ثيابه، وقد استقصاه اقلام الإسلام فأوصوا:

تدور حول شيتين لا ثالث لهما: الحق والخير، وكل شعب من شعب الإيمان الإسلامي لا ريب أنها تدخل إما في باب الحق، أو في باب الخير، والعمل الصالح هو عمل المؤمن بما هو مؤمن به، فلا يكون العمل صالحا إذا كان من عمل الحق أو من عمل الخير.

وعلى الدين الحق.

173
والذي يعني الآن من الكلام على الرسالة المحمدية ناحية الكمال فيها وإتاقها ما كنا نناقش في الدبائل السابقة مما يرجع إلى العقائد والعفوان، فأصبحت ما كان من قبل ناسدا، وردت البدع الطارئة، وقعت المفاسد المعظمة الفاشية التي شوهدت وجه الإنسانية، وكانت بابا لكل شر واصلا لكل فساد، وبذلك سدت في أصول الدين جميع اللهات التي تبررت منها المفاسد فإن كانت سيما في انحطاط الإنسانية عن مستوى الكرم.

ولأول مسألة عني بها الشرع المحمدي كرامة الجنس البشري ومكانته من سائر المخلوقات، وهي مسألة ترجع إلى أمر التوحد، فالإنسان قبل الإسلام كان يرى نفسه أحدث منزلة من معظم المخلوقات الموجودة. كان يهب كل ما عظمته جنته، وباطني رأسه لكل ما يبدو له أسود حالا أو أبيض لامع، ولكن ذي ليس سائع أو لعب ناقل. وبلغ خروجه من مظاهر الطبيعة ومن المخلوقات الضارة، ورجاءه من الأشياء التي يرتقب نفها، أن صار بعد الحجازة السم والجبال الشم والبحار الزاخرة والأنهار الجارية والأشجار الخضراء والأمطار الهائمة والبهار العلماء والبحار المنجمة والبحار في الحرف والشمس البازة والمجرة الزاهرة والبدر المظلمة والباحة المهمة، وفي الجملة كان بعيد من المخلوقات كل ما يشتهي شرها أو يرجو خيره، اتقا لضرره أو طعاما في خيراته. فلما بعث محمد رسول الله أعلن لجميع البشر بأن هذه المخلوقات كلها إنما خلقته لهم ولم يخلقها لها، وأنها محضة لهم فلا يلبق لهم أن ينضفروا لشيء منها. وقللهم مرهم: أبنا الناس، فإن خلقه الله في هذا العالم، وقد سخر لكم كل ما فيه جميعا. إن الدنيا لكم ولستم لها، وإنما قال ربك للمملكة إني جاعل في الأرض.
ولأجل استخلاف بني آدم في الأرض سمت منزلتهم بين جميع المخلوقات وشرفهم الله وكرمهم (وقد كرمسا بني آدم) (الأسراء 27) فهل يجوز خليفة الله في الأرض وقد كرمه الله أن يسجد لم هو دونه، ويعد ما هو أصغر منه شاكل؟ كيف يسجد بدور أم له شيء غير الله والعالم مسخر من الله لهم (ألم ترى أن الله ستعذب لكم ما في الأرض) (الحسد 65) (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) (البقرة 49) (والأنعام خلقه لكم فيها رفعة ومتاع) (النحل 5) (هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شرب ومنه شجر فيه تسببون يثبت لكم به الزروع والزيتون والحيل والاعشاب وين كل الشعرات) (النحل 10 - 11) فلبني آدم الأرض وما فيها من الشجر والحضر ومن الشعر والزروع وخيرها من المنافع والمرافق ما لا يعد كثرة ولا يختص وفرة، وهم السياء وما فيها من الشمس والشمس والنجوم (وسمخ لكم الله والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرئ) (النحل 12) وهم البحر وفيسانه، والمهر وجريانه (وهو الذي سمخ البحر لاتكلوا منه حياً طريحاً وسمخوا فيها من جليلة تلمزوها وترى الفلك مشوار فيها والدمعوا من فضله وعلكم تشكرون) (النحل 14) والقرآن الحكم حافل بكثير من هذه الآيات.

فبدت الرسالة المحمدية بذلك على أن موقف الإنسان من هذا العالم موقف السيد الكريم مما سخر له، وموقف التوجه بتاج الخلافة الإلهية من كل ما هو مستخف فيه. فالإنسان مكلف بإكليلاً الجلال والعظمة، لا يفعله شيء من موجودات الكون، والكون كله دون الإنسان، وهو نقطة
 دائرة العالم وانسان عينه والغایة من خلق العالم ولاجله جعلت الدنيا. وما يثير العجب أن يركع الإنسان لمخلوق أو يسجد لما هو دونه أو يعبد شيئا خلقه الله، وكيف يفعل الإنسان ذلك وقد كرهه ربه وشركه ومنه وفضله على جميع ما في العالم تفضيلا.

ولما جعل الإنسان قدر نفسه فعل يرفع رجلاً من أتمائه فوق درجاتهم، وجعل أناساً في مكانة رفيعة لا يستحقونها، وقد كان يبلغ الامر بالإنسان إلى أن يعبد الإنسان. أما رسالة محمد فقد عرفت الناس بأقدارهم وأزلاتهم منازهم وأعطت كل ذي حق حقه فلم تنقص من حظه شيئاً ولم ترفع أحداً من الناس فوق مكانة التي يستحقها، فكما لم تتخط عزازاً عن عزته الجدير بها لم ترفع أحداً فوق المقام اللائق به، وبذلك دلت الإنسان على شرفه وعلمه، وعلمت أنه ما كان رفعاً وذده سلطناً، وبأس فانه لن تبلغ به رفعته أن يعبد كيا كان يريد الفراعة أن يعبدوا، ومما كان طهراً عابداً متبناً فلا ينبغي لانسان أن يركع له أو يرفع عنه ما لا يرجى إلا من الله أو يخشى كخشيته الله ومهمها حاز من المال الكبير والثراء العظيم فليس له أن يتطلبه بذلك على إخوانه من خلق الله. وإن رسالة محمد قد قطعت الفساد واجتخت الشر من أصوله وأعلنت في الناس بوضوح وجلاء هذه الحقيقة: (ولا يتجلب بعضهما بعضاً أرباباً من دون الله) (آل عمران 24) وأذاعت في العالم عن الأنياب أنفسهم وهم أسمى مراتب البشر أنهم لا ينبغي لأحد منهم أن يقول للناس (كونوا عباداً في من دون الله) (آل عمران 79).

ليس في عالم الشهادة أرفع قدراً من الأنيباء، ولا في عالم الغيب أعلى درجة من الملائكة، ومع ذلك لا يجوز أن يتخذ الناس أحداً من الأنيباء أو الملائكة معبدين لهم (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا).
(آل عمران 80) فالرسالة المحمدية رفعت مكانتة الإنسان وقد كانت منحة من قبل فساد لا يتعص ولا يجيء رأسه لغير الله ولا ي嬉しい إلا له ولا يبدع حيلاً مثيراً، إذ لا معطي من منعمه الله، ولا مكان له من أعطاه الله وهو الذي في السماوات وفي الأرض (ال😊خراء 48). (ألا له الحَّلقُ والأَمْرُ) (الأعراف 74). (إن الحكم إلا الله) (الأنعام 57).

ولم يكن له شريك في الملك) (الفراقان 2).

ثم تأملوا أمر التوحيد بعد علمكم بأن الرسالة المحمدية رفعت درجة الإنسان وعرفته بقدر نفسه، إن هذه الرسالة أوضح حقيقة التوحيد ورفعت عن وجه الحَّجَب الكثيفة وأزاحت عنه ظلال الشرك، فتجد من كل ما نسبته حوله أيدي الأوهام الباطلة، والعقائد الخاسرة، وليس في تعاليم الإسلام ما يدل على أن الله أشرك قبضته في الحكم وأن قاصر حاكم مثله فالإسلام عيب الحكم كله الله ليس لأحد فيه من نصيب، فله الحكم في السماوات والأرض وله الأمر فيها.

سادي، إن الإنسان وقد اعترض بالخلافة الإلهية على الأرض وارتفع كأس المحبة لله وحده، هل يعقل أن يسجد بعد ذلك لغير الله، وهل يُلمس قلب المؤمن بآيات الخوف من الظلمة أو الذور، ومن المياه والرحب؟ وهل يُلمس ملكاً عظياً؟، أو يوجس في نفسه خيفة من صحراء واسعة أو جبال شاقة أو أرض رحبة أو بحار زاخرة حتى يسجد لها أو يدعوها خوفاً أو طمعاً؟ إن المؤمن لا يتخلى إلا الله، ولا ينال بغير الله، ولا يطمغ في نزوة ثرى، ولا يرجع غنِي إلا من الله الغني عن كل شيء. انظروا تعاليم الإسلام كيف بلغت بالانسان ذروة الشرف وسام المجد، وتأملوا كيف رفعت الرسالة المحمدية مستوى البشري ووجهت المجتمع الإنساني نحو الحق والخير.
وأمر آخر وهو أن الرسالة المحمدية أدلت في البشر أن الإنسان نزااع إلى الخير، وأن فطرته بريئة في الأصل، ثم تطور عليها أعراقه فتجعله أثنا مذنبا أو نقيا صالحا. فسيبمه التي يقتربها هي التي تؤثر فيه فتجعله شيطان مريرا، كلا إن حسناته التي تصدرونه هي التي تجلو نفسه وتجلوها فيكون بها ملاك طاهرًا. إن هذه لبشرى عظيمة هتف بها محمد رسول الإسلام في بني آدم، بعد أن كانت الأديان المتشرة في الهند والصين من سلفة الأيام تنصر الإيمان بالتناسخ وبعث الآداب - بعد موت أصحابها- في أجسام أخرى أرفع منزلة مما قبلها إذا عملوا أعمالا صالحة، أو في أجسام أذل وأحقر ما كانت فيه من قبل إذا اجتازوا السيناء. وقد ذهب إلى هذا التناسخ بعض الموكي من ينتمون إلى حكاءات الأخر وجر هذا الاعتقاد الفاسد ويلامعها على معتقدية، فأصبحت حياته حية إكراء وإجبار ولا اختيار له فا يعمل، فكانه الله صغرى تمحركها آلة كبيرة، وأdzنه ولد مذنبا، بل ولادته في الدنيا نذير له بأنه محرم آثم.

وجاءت المسيحية فثبتت في الناس عقيدة أن كل مولود يجعل من ساعة ولادته خطيئة آبيه الأول آدم، فالمولود يولد آليا مخطئا وإن لم يخطئ في الواقع، والخطيئة الآثيم بجبله يحتج إلى المنفردة من شخص آخر لولد آليا ولد يخطئ بجبله. ففندى هذا الشخص الآخر بنفسه خطيئة بني آدم لذهب بسيئاتهم. وهذا ما نشرته المسيحية المعروفة عند الناس داعية بني آدم إلى الإيمان بالفادئ.

أما محمد رسول الله فقد بشر الإنسان بأنه يولد غير آثم ولا يجبر على الخطيئة، ولا مسؤول عن خطئية آبيه الأول آدم، وإن يبيع عيشة لا إكراء فيها ولا إجبار، وهو غير في حياته ين أن يعمل صالحا إن شاء فيجتني شهوة صلاحه ونزااته، وبين أن يعمل عملًا سيئًا فيكون بعمله
مذنبة آلياً (والثين والزيتون وطور سبين وهذا البلد الأمين، فقد خلقنا الإنسان في حسن تقريم ثم رددناه أسفل ساقين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحتان) (سورة التنين). قال السلام يبشر بني آدم بأن قرامهم أحسن، وفطرتهم أفضل، وجلبتم عين، وأغلم بعد هذا الإعداد الآلهي إما يفسدون أو يصلحون بأعمالهم ويها جناوته لانفسهم (ونفس وما سواها) فأمره فُجِرَها وتَقَدِّمَا. فقد أفلح من زكَّاه ونفَّذ من دُسَّاهَا) (سورة الشمس).

وهل من دليل أوضح على حسن جليل الإنسان وزناه فطرته وطهارة أصله من قول الله فيه (إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن طَيْرٍ بُعْرَةٍ تُبْلِي فَجُلُونَهَا سَمَيِعًا بِصَرِيحٍ. إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفَرُوا) (سورة الدهر). (إِنَّا لِيَبَا الإنسَانَ ما عَرَكْ يَرَبُّهُ الَّذِي خَلَقْكَ فَسُؤُالٌ فَعِدَّلْك في أي صورة مَشَاء رَبِّكَ) (سورة الانفطار).

وإنه رسول الله الذي يتحرك لسانه بالوحي، ويصدر منطقه عن الهمام، قد جعل الدين والفرطه يجعل واحد، أي إنها كلمتان لمعنى واحد. ناصٍ الفطرة هي الدين الذي دعي الإنسان إليه، والإثيم عارض يعرض للإنسان ولاحق يطرأ عليه، وقول الله عز وجل (فَأَقِمْ وَجِهَّاك لِلنَّاس حَكِيمًا فَطَرْتُ الْكَانَ سَلَامًا لا بِشَيْءٍ لَخَلَقْتِهِ اللَّهُ ذَلِكُ الدينُ الغيّم) ولكن أكثر الناس لا يعلمون (سورة الروم). وقد فسر الرسول هذه الآيات في رواى البخاري في تفسير سورة الروم من صحيحه، وقال ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبوابه بيدهان أو يبصعده أو يعجبته كأنها تنتج كل بيئة صحبتها سليمة هل ترون فيها سكاءً.

إن البشرى التي بشر بها الرسول النبي آدم هي أن كل إنسان مختار فيها يفعله غير مكره عليها ولا عبر، وأثبت حياته الحاضرة نتيجة حياته...
البانية نحن أمن بالرسول فقد تغيرت وجهة نظره إلى أعماليه، فلا هو كتب واجب علمنا منه بأنه مكره على العمل هو استمرار حياة سالفة. فكل من آمن بالرسالة الحميدة أصبح يفضلها حراً طليقاً من الارهاب الباطلة والعقائد الفاسدة التي قيدت حياة البشر وغلبت عليهم.

إن الدنيا قبل بعثة رسول الإسلام توزعتها عقائد باءولة وأوهام سخيفة، فكان أهل كل دين في ملكة من الملكي يحسبون أن ملكتهم هي الدنيا كله، فكان براهمة الهند وتصاحوها يرون أن بلادهم هي أرض الله المحتازة وما خرج منها لا نصيب له من رحمة الله، لأن الله لا يريد الحتب إلا لitsuان بلادهم. وأمر الرسالة الإنسانية والإبداعية الربانية قد اختص به بعض البيوتات من سدمة المعابد لا يعودون إياها. وكذلك كان زردشت يحسب أن الآله المكا يعني بأمر بلاده المقدسة وحدها ويهمل وطنه الأخيار، ولا تعني بلاد أخرى ولا آمة أخرى. وبناء إسرائيل يظنون أن رسالت الله خاصة ببعض أعصابهم وأنها حقهم الموروث.

أما الإسلام فقد وضع على الإنسانية ما ضيِّقه الآخرون، وأعلن أن الناس كلهم سواء، وأن دعوة الله غير مخصوصة بلاداً دون أخرى. فمشرك الدنيا ومؤذنينها رجعواها وجنوبها والفاسيون والهند، كلّ قد خلوا فيها رسول أو نبي، وأن الله تعالى تستوي عليه الأمم واللغات في بعثة الأنبياء، نبأ السيرة أشرق على البشر جميعاً وتلالات نفهم أنوار الرسالة (فإن مين آمة إلا خلوا فيها نذير،) (سورة فاطر) (رَيْكَلُ قَوْمَ هَايَمَ) (الرعد) (ولقد أرسلنا من قبلك رسلنا إلى قومهم) (سورة الروم). فاليهود لا يؤمنون ببني ليس منهم، والنصارى لا يوجبون على أنفسهم الإيان بني من بني إسرائيل أو غيرهم، ولا يرون اذن لم يؤمنوا ببعض الأنبياء أن ذلك يقتل شيء من دينهم. وكذلك الحنادك لا يعتقدون.
بأن الأسلام الابي والرحي الرباني نزل على بلاد غي ببلادهم، وذلك

شأن المجوس أتباع زرعته فاعلون إلى أن الدنيا كلها مظلمة

سوداء فلا نور إلا ببلادهم بلاد النار.

أما الرسالة المصممة فقد أعلنت أن الدنيا كلها الله وحده، وأن

سكانها أجمعين من خلق الله، وإن الأقوام على اختلافها سواسية في نعمه

والآلهة، وكلهم تلوا نصبيا من دعوته وحظا من رحمته، وما من بلاد

عمرتهما أمة إلا وقد أضاء فيها نور من هداية الله، وبصوت فيها نبي دعاه

الحق وبلغها أوامر الله ونواهيه.

وقد علمنا ما سلف أن الإسلام فرض على كل من دخل فيه أن يؤمن

بجميع تفريغ الله ورسله بالكتب السماوية التي أوعي الله بها من قدم

الزمان، وليس مسلم من لم يؤ من بالإيمان وتعابه وبالكتب المنزلة على

الرسل المعويين من قبل، فالرسول الذين سماهم الله في القرآن يجب على

المسلم أن يؤ من بينهم إيمان تفصيل، والذين لم تذكر أسياؤهم يؤمن

المسلم بهم إيمان إجمال بأنهم كانوا صادقين هداة للبشر، وكانوا يتابع الحكما

والعدالة. وقد وصف الله المسلمين بأنهم ( الذين يؤمنون بما أنزل إليكم

وما أرسل من بعلك ) ( البقرة ). وفي مجلس آخر من البقرة ( لكن البر من

أمن الله واليوم الآخر والملائكة والكتب والبنين ). وفي سورة البقرة

أيضاً: ( كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله، لا تفتق بين أحد بين

رسوله ). فليس للمسلم أن يؤ من بعض الرسل ويكفر بعض. وقد

خاطب الله المسلمين جميعا بقوله ( يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله والكتاب

الذي أنزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ) ( النساء 136).

سادتي، هل تعلمون أحداً علم مثل هذا التعليم فسؤي بين الهدية

من جميع الملالي والنحل في إعطاءهم وإكراتهم والاداب معهم والاعتراف

181
بجميلهم و تصديقهم في دعوته إليهم من حق، و أين ترون مثل هذه الروحانية العامة والإخلاص الشامل؟ أجبروني بصدد: أليس رسول الإسلام رحمة للعالمين حيث علم الناس كيف يرعون شرف الهداة ومعظمة حملة الرسالات الالهية، فعمل دعوته و انتسب رحمة حتى نال كل شعب من شعوب البشر وكل أمة من أسرهم نصيبيا من ذلك، ولقد اتخذ المتدينون جميع الديانات و سائر و سائل بينهم و بين الله، معتقدين أنهم ل يصلون إلى الله العبد إلا أن يتوسط بينهم وبينه، من زعمون أعلاهما لذلك، فكانت السدنة و خدمة المعابد و سائر الناس إلى الله في قديم الزمان، و حتى اليهود انتحروا من سبط لاوى ومن تناقل منه شعاعة بينهم وبينهم، والنصارى جعلوا بعض الحواريين و خلفائهم من الروبهان والقيسين رسل رسولون بينهم إلى الله، وقد غلوا في رفع مرآبهم حتى بلغوا بهم ميلغا لم يبلغه مقرب عند الله فزعموا أن ما يربط هؤلاء الشعاعة في الأرض فهو مرتبطة في السماء وما حولها في الأرض فهو محول في السماء، وأن لهم أن يخبروا للناس خطاباهم و يستمروا عنهم آنهم، وأن العبادة لا تقبل عند الله إلا برساطتهم، وذلك براهمة الهند زعموا أنهم كحولون من بين الله وأنهم الوسائط بين الحق والباطل وأن العبادة الهندوسية لا تقبل إلا بهم و عل أديهم، أما الإسلام فلا يعرف بطائفة خاصة من سدنة المعابد وخدم المساجد وأحبار الدين، وليس في الإسلام خاصة من سدنة المعابد وخدم المساجد وأحبار الدين، وليس في الإسلام رهبانية، ولا يرضى أن تكون فيه فئة تتخلد الدين مهنة ومصدر رزق ولاً لأخذ أن يكون أو يصنع، وما بيد أحد شيء من أمر الخلل والعقد بل كل ذلك بيد الله فهو الذي يغفر الذنوب وحده، وليس بين الحيد و معبوده والمخلوق و خلقه أي تدخل أحد في عبادة الله ومناجاته، ولكن مسلم أن يجعل الناس وأن يحبهم وأن يذبح أصبيته بهذه وأن يعقد النكاح ويقوم.
بجميع أمور الإسلام وأوامره. والإسلام يعلم أتباعه قول الله عز وجل
(ادعواني أستجيب لكم) وأنه يجيب دعوة الداعين مباشرة وبلا وساطة،
فكل مسلم يدعو ربه من دون بهجية ويثبت حزنه ويشكو إليه ضره، بلا
أي وساطة. فالإسلام هو قوسي نفسه وهو يرغمهم حين يعد ربه منحنًا
من قيود البراهمة والفسادين.

لقد بعث الله رسوله وأتباعه إلى البشر بالهدية وإصلاح المجتمع
الإنساني، ولكن الناس أفرطوا فيهم أو فرطوا. فمنهم من غلا في
تعظيمهم فرفعهم من منزلة الرسول والأنبياء والهداية إلى منزلة الآله المعبد
أو إلى منزلة شبهة بذلك، وإنك ترى في روايات الشام وبابل وعصر ملالي
الكهنة والاحجار تقتل الله عز وجل وتنحل بعض صفأتهم، وكذلك المندك
جعلوا الأنبية المبعوثين فيهم بالهدية والحكمة آفة متجسدة، وكذلك
فعل أتباع بوذا والصليبيون بصلحاء ملتهم وهدياء نحلتهم فافتنهم
 Animator، وهذا ما فعله التصارى بنيهم عيسى بن مريم سلام الله عليه
فافتنهم بربا ودعوه ابن الله سببانه وتعالى عنا يقولون علواً كبرًا. ذلك
ما أفرط به الناس في حق الأنبياء. وآخرن نصروا في حقهم وفرطوا,
كما فعل بنا إسرائيل في كل من تكهن أو اعتقد عن أمر المستقبل فجعلوه
نبيًا، ولا يتوقف مقام النبوة عندم الاعال ان يتحدث أحد كهانهم في أمر
المستقبل، أو أن ينصح أمراً فيقع، ولا يلزمهم أن يكونون من بني المائم
فضلاً عن أن يكون عند الله معصوماً صالحاً. لابن ذلك ترى في مصحف
بني إسرائيل أموراً مناسبة إلى الأنباء تنافى النبوة وهي بين أن تكون غير
صحيحة أو يكون من وقعت منهم غير أنباء.

فلياً ظهر الإسلام وصف مكاثة الأنباء اللائقة بهم، وعذر منزلتهم
عند الله، وإعلان أتباعه عبيد الله وليسوا أشباهه ولا أنداد الله، وأن الله لا

182
يتجمس في صورهم، وأهمهم ليسوا أبناء الله ولا أقرباءه، ان هم إلا بشر بعثوا إلي بشر. وإن جميع آباء الله كانوا من قدم الزمان بشرًا ولا غيره.

وكذلك قال محمد خاتم النبّين ﷺ: إنما أنا بشير ملككم، فاستغرب الكفار ذلك وقالوا: أبعت الله بشراً ورسولاً، فقال الإسلام: فقيل إننا أنا بشير ملككم، وهم كتسية بشراً ورسولاً. وكل هذه آيات من كتاب الله الحكيم.

أنا الابناء مع قرب منزلتهم من الله وشرفهم وعلو مكانتهم عنتبه، لا يملكون من تدبير العالم شيئًا، ولا يقدرون على ما يصدر عليه إنسان مثلهم وكل ما صدر عنهم مما عجز عنه الآخرون فإذن الله وأمره. وقد وصفهم الإسلام بأنهم وإن كانوا بشرا كغيرهم من البشر إلا أنهم أعلى منزلة وأسما مكانان من سائر الناس، فهم يكلمون الله ويوحي إليهم وقد عصمهم الله من الذنوب وطورهم من رجس الأثام، فكانوا أعقة كرام الأخلاء لتكون لا يقبلهم هديان المجرمين والأثيمين من الناس، وقد يجري الله آياته وبياناته على أدبهم، ليقوموا بتعليم الناس الصلاح والرشاد وليزكرون ويطهرون، فبُعد هم على الناس أن يكملوهم ويعظموهم ويعملوا بهدويهم، لأن الله أرسلهم هداة مصلحين وشرههم برسالته ورحيم وكلمه.

هذا ما علمه الإسلام للناس من الاقتصاد والاعتدال في أمر الأنبياء وفاء بحقهم بلا غلو ولا تقصير، وهذا ما كان جديراً بالإسلام لأنه جاء مكملًا لتوحيد رب العالمين.

أخواني: لقد طالنا الحديث، ومضى هزاع من الليل وزيق شيء كبيراً أريد أن أقصي عليكم، فلنحتم هذا الحقل بالصلاة والسلام على رسول الله الآمين الذي ختم به تعليمهم الأخير للناس إلى يوم القيامة.
المحاضر إلتحامية

خواص: اليوم آخر اجتماعي بكم، بعد أن استمر شهراً ومحاصرة
اليوم آخر المحاضرات الثلاثة. وقد حاولت في المحاضرات الثلاثة أن
أثمم بكل ما يتعلق بقبول الإسلام، وما يرجل من مبادئه وقواعده
وسنته. ولكن أني لي أن أوفي ذلك؟ ومن هذا الذي يستطيع أن يجمع ضوء
الشمس بده، أو يحيي نجم السهاء؟

إن الإدوان السائقة للإسلام، التي كانت دعوتها إلى توحيد الله،
قد تطرقت إليها الفساد في أمر الشوفيد لوجوهد ثلاثة: الأول التشبيه
والتمييز، أي أنهم قد شبهوا الله بغير من خلقه. والثاني أنهم جعلوا
صفات منفصلة عنه مستقلة. والثالث أنهم اغتروا بكثرة المظاهر في
العالم، وخدعوا بضرب من صناعات الله وآثار مقدراته، فالله من الله
على الإنسانية بالإسلام أزال به الأوهام وكشف خفايا الشهبات فانجلت
عن البصائر غياب التمثيل والتشبيه.

واليكم أولاً أمر التمثيل: فان أهل الملائ والتحلي من غير الإسلام
اختاروا طرقاً وأتخذوا وسيلة لمعرفة ما عز وجل من الصفات الحليفة،
والصلة التي بينه وبين خلقه، فشبهوه جل جلاله بالمسيح مختلفة، ومثلوا
صفاته في ضروب من الصور والأشكال، فلما طال عليهم الامام بقيت
هذه الصور المثل بها وزال عن قلوب الناس اسم الله الذي لم يزل ولا
يزال، فصارت المشبه بها أثناها وأصناها وثأباً، وطفق الناس يعبدونها

185
ويستغدون لها أثناً منهم بأنها مظاهر صفات الله ومشاهد قدرته. وتفنونا
في تصوير صفات الله بهذه الالحيل المتحركة والأوثر المصنوعة. ومن ذا
الذي ينسلك في أن الله يحب عباده ويرأى بهم ويحن عليهم؟ لكن الجاهلين
جعلوا محب الله عبادة، ورأفته بهم مثلاً من حجور أو غريبه. والأمم
الأزية امتثلت مثل الامرأة رمزًا للحبر الإلهي فذام عندهم مظهر الحضانة
الأمومة، والإله الحب والغير، تعبيراً عن حب الله بنوع من العبادة، وعن
حنانه عليهم بحنان الأم على ولدها، فالقلب الأله عندهم أما حنوناً
وتحتوا له صورة أم حنون، وانخرها بعبدتها ويسجدون لها.
والعوارف الأخرى من المنادك قد أظهروا هذا الحب الإلهي لعباده
وحنانه عليهم بما بين الحليلة وزوجها من الوعد والمحبة، فاختار لفيف من
الرجال زي النساء، وهمهن ونائهن وتحتوا شكلها، وعلى زعم أن
الله يحبهم كما يحب الزوج خليلته.
وكذلك ظهر الإله عند الرحم والاغريق في صورة امرأة.
أما الأمم السامية فقد تمثل الإله عنها رجلًا واباً، إذ كان ذكر المرأة
عندها على ملا من الناس مأخذاً للإذايب السامية. وكان الأب هو رأس
الأسرة وأصلها. وبدلاً عليه ما استخرج من بطن الأرض في بابل وأشور
وديان الشام من تماثيل تصور الإله بصور الرجال، وكذلك بنو إسرائيل
يظهر ابنهم في بلادهم كانوا يصورون الله بصورة الأب وهم بنو
والداً، ويشبون الثلاثة وسائر الناس أولاً، ثم ضاقت نطاق
تفكيرهم، فلم يبق للإله أولاده سوى بنى إسرائيل. ووجد في
بعض صفحات بنى إسرائيل ما يدل على أن الرابطة كانت بين الإله وبني
إسرائيل كالرابطة التي تكون بين الزوج وخليلته، وأن بنى إسرائيل
وأورثهم حلالاً والإله زوجهم ( تعالى الله إيقولون ويعضرون).
181
وقد أخطأ المنصبون إلى المسيح عليه السلام فجعلوا ما كان بانيًا بده
استعماله كأنه حقيقة ثابتة. وأنقلب تشببه الإله بالآب لسانه على نبي
عيسى عليه السلام ورأته به فاعتبروه حقيقة، فإن الإله الذي لم يلد ولم
يولد ااعتبروه والدا وعيسى ولده.

وشبيه بذلك ما نجده عند قداماء العرب من ذئبهم سنة أنه آب
والملائكة بنات له، فلي يزغت شمس الإسلام اكتشفت ظلالات تشببه
والتمثل كلها، وأدخل قتام الشرك، وأهمل استعمال جميع الكلمات التي
تفضي إلى الأشراك بالله، منذ نادي رسول الإسلام، هذه الحقيقة
(ليس كمثله شيء)، ثم نزلت سورة من نصارى سور القرآن تحت الأوهام
الباطلة كلها والعقائد الفاسدة التي نسبها الناس حول وجود الله، وهي
يقول الله عز وجل: (قل هو الله أحد، الله الصمد، له يبدد، له يولد،
ولم يكن له كندا أحد) فكان الإسلام بذلك طاهراً من دنس الشرك نقاً
من كل شوائبها.

إخواني وخلاني، إنكم أن تظنوا أن الرسالة المجدية نفته شيئاً إلٍ
له عز وجل من عظيم الرأفة وواسع الرحمة بعباده، أو أبطلت ما في
عباده من حنان، إنها لم تفعل ذلك، بل وقعت جبل الله الذي يبره
لعباده وزادته قوة. وإنما أبطلت ما زاد على ذلك من أوهام تفضي ال
تجمعهم الله أو تمثلهم شيء من خلقه، وعند وسائل كاذبة تجر إلى الأشراك
بالله مما اتخذه الإمام السلفية فضلت به، وأصلت. وفي عقد ذلك
فللاسامح إسلاماً بين الله وعباده من رابطة هي أشد وأقواً من كل ما يبت
به المخلوقون بعضهم على بعض من نسب ورحم وأصtera ودم، فإن الإنسان
الذي يعيش في طاعة الله أقرب إلى الله من قرابة الولد لوالده وقربة
الزوجة من زوجها.
انظروا كيف أراد الله أن يعلم الصالحين من عباده بأنه يجعلهم كما يحب
الأب أولاده فأنا حلهم أن يذكروه كما يذكرونه في حبهم أو وجد ذكرنا. فهؤلاء
وهم لا يشبه نفسه بالأب، لكنهم يشبه حب الأب، واجتنب ما يدل
على القرابة والرحمة والحرص الماس، فابقى من هذه العلاقة ما يدل على
الحب ثم زاد الحب على أن يذكروه أشد وأكثر ما يذكرون أثراً هم بقوله
( أو أشد ذكرنا) لأن الصلة بين العبيد رحالتهم أشد وأعمق من جميع ما يلت
به الروح إلى أحد من ذوي قربته، فقال تعالى ( ولذين آمنا أشد حبًا لله ). والإسلام لا يسمي الله أبا الناس، بل يدعو ورب العالمين، فإن
الرب هو مقصنا من الأب، وإن الصلة بين الأب وأبيه عز يغنى
والصلة بين المرجوب وربه أثبت وأ传感 لأنا مستمرة من أول نشأة المخلوق
إلى أن تنتهي حياته بل انقطاع، فله وورد رؤف حكماً بأكثر ممنا في
الرجال من الود لأودائهم، وما في الأب من الشفقة والرفاء نحو بنيه، وما
في الأم من الحنان على أولادها، ومع ذلك فإنه سبحة ليس بأب ولا أم،
وهوميزه ومقدس عن كل شئية من شوائب البشرية.

والأمر الثاني الذي أفضى بالأديان القديمة إلى مساد المفتي في معيِ
التوحيد: سؤال الصفات الإلهية، ومنذ ذلك أن أتباع الأديان الأخرى
قد فضلاً صفات الله عن ذاته، وجربوها مستقلة عنه، وبدلك تعددت
اللهة وكثرة في جميع الفرق الميسودة من الدين البشري، لأنهم اختروا
من كل صفة إلهية إلى، وجعلوا تلك الصفة في صورة أو صاغوها في
قالب ثم وسعوا نطاق الشرك وطبقوا على جميع ما شبهت به صفات الإله
من مختلف المفتيات ومنوع المثل، ومنذ هذه الصفات وما شبهت به
في صور وتماثيل وأوثان، وبعد أن كان الله إله واحد لا إله آخر، صار لهم
ثلاثون ولثلاثمئة مليون من الله، وتفصل ذلك أنهم أرادوا أن يعبروا
188
عن قوة الله وقدرته، وظهر أن اليد من مظاهر القوة والبطل، فنحتوا
الله تعالى بين قوتيين من الحجر، بل سولت لهم أنفسهم أن ينحتوا له
كثرًا من الأيدي، وحاولوا أن يعبروا عن حكمته البالغة فيجعلوا له
رأسين، واتخذوا له وثناً رأسين، وإذا تأملنا نحل الهداك الكثيرة العدد
بذا لنا أنها لم تكن هذه الكثرة الهائلة ولم تفرق الفرق كثيرًا، إلا أن جل
تجسيهم صفات الإله. فإن الله تعالى ثلاث صفات عظيمة: الخلق،
والقيام على الخلق، والإماتة. وإن شئت فلذ أن تعبّر عن هذه
الصفات الخلقية، والقيامية، والإماتية. وقد جعلت الطرق من
الهداك هذه الصفات الثلاث اشخاصاً مستعينين أطلقوا عليها أسماء:
برهان، وثابت، وشغف. فيهما رمز للخلق، وشغف وهو القيوم، وثابت
هو المميت. ونجمت عن ذلك ثلاث نحل: نحلة عدد اتباعها برها،
وتحل أن لها وثابت، وتحل معبودها شغف. وقد انفصل بعض هذه الطرق
عن بعض. وهنا أ perpetr عنهم تعدد فروع الرجل والعالة لامهم تطلوا بها
صفة الخلق وأرادوا أن يعلوها بجسم كلي فعلوها في الصفات الأخرى
فهذه سوء بصيرتهم إلى أن فروع الرجال والنساء من أكثر الامراء
للخلق في هذا الكون فاتخذوا لها سورة وأوّانها وجعلوا يسجدون لها
ويتقربون إليها.

وفي التصرفية صفات هيئة ثلاث: الحياة، والعلم، والإرادة،
تمثلها ذواتاً سمها الأقطاب الثلاثة: فألب من الحياة، وروح القدس
رمز للعلم، والإباء رمز الإراده.

ونجد مثل ذلك في عالم الأصنام عند قادة المصريين والأغرافاء
والروم. وإن محمدًا ﷺ، بعد تفشي آراء الأمم في صفات الله فاظهر خطا
تلك المذاهب وفسادها، وبين أن الله الواحد، وأن صفاته الكثيرة ليست
أشخاصاً منفصلة عنه، وأن من جعل الله الواحد النتين أو أكثر مختراً بتعدد أشياءه الحسنى وصفاته العليا فقد ضل وضوبي وحاد عن سواء السبيل. قال القرآن أعلمنا بأننا (رب العالمين) فإن (له المثل الأعلى) وأنه (نور السياوات والأرض). وكان نصارى العرب يدعون الخالق بالرحيمن لاتضالتها بالرحيمن، أما عامة المشريين فكانو يدعونه الله. ونزل القرآن تصديقاً لها (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحيمن، أي ما تدعوا فله الأسياوة الحسنى) رفقة سورة الشورى (فقاله هو الويلي وهو يحيي الموتى وهو يرزق كل شيء فديراً) وفيها أيضاً (ألا إن الله هو العفّور الرحيمن). وفي سورة الزخرف (وهُوَ الّذِي في السياوة) وقُل لهم: إن هُوَ السميع العليم. رفقة السياوات والأرض. وما يبته أن كُنتُم موتين. لا إله إلا هو، لا هو يحيو ويجيبون. وربَ أباكم الآخرين) أما بِهِما بَعْضُهُما الخالق ووشك يمنعون اليوم. وربِّ بِعِينِ الميِت فمدخلة الثلاثة كلها واحد هو الله الخالق القيوم المريم، والوصف لا يتعدى بها كثرت صفاته (فَلَهُ الحمد) رفقة السياوات، وربُ الأرض، رب العالمين وله الكيسيّاء في السماوات والأرض، وهُوَ الحكيم. (الجميلة 36- 47). (هو الله الذي لا إله إلا هو عالِم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوُ الخالق المكرّم المحسن العظيم الجبار المتكبّر سبحانه الله عَلَيْهِ اسْتِكْبَار. هو الله الخالق الباري. المصُوِّر له الأسياوة الحسنى يسبح له ما في السياوات والأرض وهو العزّز الحكيم. (الج/** 27 - 24)).

فلا تذكر أشياؤه وتعتدّد صفاته. وهذه الكثرة ليست في ذاته بل في صفاته، وإنما علمنا ذاته الواحدة الموصوفة بالصفات الكثيرة.
بسبب رسالة محمد. أما الأديان الأخرى فقد جعلت اتباعها الله الواحد آلهة متعددة بتعدد صفاته، فسبيح الله عنا يشركون. وقد بين الإسلام وأحسن البيان بأن القدوس والخالق والملك والوزم والجبار والعزيز والنصير والرحمن والرحيم هو الله ليس غير. والمنتج الثالث للشرك كثرة أفعال الله وتنوع شوته. وحينئذ يا الله تصدر عنه ضروب من الأفعال حسبها أبا تصد من مصادر متعددة لنها فاعلين كثيرين، فتحملهم فساد رؤيتهم على أن جعلوا لكل عمل عاملا مستقلًا فاعتبرنا أن الذي يحب غير الذي يحب، ومن يحب العبد غير الذي يحبهم، فاعتبرنا إله للعلم، وإلها للشره والرزق، فتعد الواحد بذلك وصارت الآلهة بعدد الأفعال. أما الإسلام فقد أخبر بأن الأفعال فإن كانت كثيرًا فإن الفعل هو الله الواحد الحكيم المتعلم.

إن جميع ما في الدنيا من الأعمال ينقسم إلى تسنيم: الخير، والشر. وقد عجب الذين زاغت بصائرهم كيف أن الواحد يفعل فعلين متضادين، فذهبوا إلى أن من يصدر عنه الخير لا يأتي منه ضده، فبعد أتباع زردشت إلى بعينهم أخذوا للخير والآخر للشر، وسموا مصداً الخير (يزدان) ومصدر الشر. وأظهرنا أن هذا العالم ساحة حرب يعترك فيها هذان الفنون المتصارعان. وما حملهم على هذا الفساد في العقيدة إلا خطاهم في فهم الخير والشر.

والحق أنه ليس في الدنيا شيء يصح أن يطلق عليه اسم الشر. فالنار لا شك أنها تحرق، ولكن الأحرار في نفسه لا يعد خيرا ولا يسمى شرا، فإن أوقتها لنضج عليها غذاك، أو تحسين من تكون تعصي به من البدن فإن عملك هذا هو الذي يعد احسانا ويطلق عليه اسم الخير. وإذا اضمت النار لتحرق مأوى ياويا الله نفيق باسر لم يرتكب ذنبا فإن...
عملك، هذا هو الذي يعد سيدة وشرا، بينا النار نفسها ليست بنفسها خيراً محضاً لا يشرفه أو شراً محضاً لا خير فيه، وأنت الذي جعلته بعملك خيراً أو شراً، والمسيف القاطع لا يعد خيرا ولا شراً، بل أنت الذي تتخذ منه ذريعة للخمر أو الشر، والظلم لا يعد شراً لكنيك أن تسترت به في جوف الليل لتركب فيه السوء فالمير هو عملك لا الظلم، وإن تواريت فيه لتحمل صالطلاً أو أوبت فيه إلى الراحة والهدوء فهو خير.

وقد خلق الله الأرض والسياج وجعل بينهما أشياء: الريح والبحاب والرياح والنزاع والطين، وخلق منهم أشياء وخص كل شيء بصيغة عبث فيه قوة تناسبه، ثم خلق الإنسان ووهبه الحكمة البالغة والبصرية التالفة والأراء السديدة، فنظر هذا المخلوق في الكون وتأمل حسن تقويه وحجب تتسليه وبدعه نفثه، فجعله الاعجاب به وسلا نفسه الاستغراب منه، فلم يبالك أن انطلق لسانه قائلًا (فتبادر الله أحستًا الخالقين) ثم نأدى في خشوع وحضور لعبد العالم (إني وجئت وجهي للذى فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين) كما فعل إبراهيم خليل الله، وبجانب هذه الطاقة من البشر طواطع أخرى لم يكن لهم من بلغ الحكمة وسداد الرأي وثائق الفكر ما ينتمهم من جنسود الله والكفر به، فالتبست عليهم حقائق العالم، واشتهيت لهم خواص الأشياء والقوى المعودة فيها، فجعلوا المادة علة العالم وسبب خلقه وقيلوا (ما هي إلا حياتها الدنيا تموت وتحيا وما يعذبنا إلا النذر).

إن العالم لا يضل ولا يغي، ولا يرشد ولا ييدي ولكن الإنسان هو الذي يهتبس بسليم فطرته وسديد رأيه وسلامة قلبه، أو يفضل بسوء تفسيره ونحوت رأيه وقبيح تأمله. وإن شئت قلت: إن العالم ييدي من يهتبس به وينبز من يضل به. وما أنزل الله من كتبه التوراة والإنجيل

192
والقرآن - يهدى الذين يحسنون تنذره وتلاوته فتسطرون قلوبهم إلى ما فيه من حق ويؤمنون به، وأخرون يتلونون من أنزل الله من حق فيزدادون ربياً بله ولا تمكن نفسهم إليه فيجدون ويكفرون، مع أن الكلام واحد، إلا أن تأثيره في القلوب مختلف: فيخرج هذا منه مؤمناً به، ويخرج ذاك منه كافراً به، وكلاهما من خلق الله الواحد، والذي يستنتج من كثرة الأعمال تعددها واختلافها كثرة الفاعلين فقد أخطأ، وإن بيد الله تعالى الحسبر والشر والهدية والضلال، وكل ما ترى في الكون ونفس من ضروب العجائب وأنواع الفواكه فهي من بديع السماوات والأرض وجميع صنعه وعظمتهم قدرته، فهو الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له (يُضيف به كثيراً) وهبى سبعاً وما يضل به إلا الفاسقين. الذين ينقضون عهد الله من بعد ميتاه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يقيئذون في الأرض أولئك هم الخاسرون) (البقرة 26-27) (والله لا يُضيء الغسوم الكافرين).

فهذه الآيات تدل على أن الضلال والهدى يرجعان على الله عز وجل، ولكن الإنسان هو الذي يختار بلديه ذي بدأ ما يفضي به إلى الضلال أو المدى، فمن فسق عن أمر ربه أو أقطع الرحم وأفسد في الأرض وكفر جاء من الله الضلال، والضلال لا ينقذ نفس القطيعة والإفساد في الأرض بل هو يعقب هذه الخلل ويلبواها.

إن الله عز وجل خلق بنى آدم وحقّم على الخisper وشره بصيام بالحسن والسيء، ثم أمرهم بالخير ونهىهم عن الشر؛ ولهذا الطريق المستقيم، وجعلهم سوء العقاب إذا عصووه وإنه مدين السبيل إله شاكراً وإله كفّوراً، وهو الذي قد خلق كل شيء خيره وشره ذوكم الله ربككم خالقكم، كل شيء لا إله إلا هو (سورة غافر). (والله خلقكم وحما
تعمّمون (الصافات) ثم بين هم الخير من الشر والحسن من السيء
( أعطى كل شيء خلقه ثم هديه) (طه 50).

وهما تقدم تعلمون أنه لا يردد في الدنيا خير لذائه ولا شر لذائه، وإما يكون الأمر خيراً او شراً باختيار الإنسان وعمله، فإذا سلك الصراط المستقيم كان بذلك راشداً وآمناً، وإذا سدر في الفساد والغيب وآثرت بنيات الطريق على الطريق المستقيم، فسل ونSaga. وإذا صرع اختياره لما يفعل ويسعد أصاب الخير وأنا بالحسن، وإذا ارتكب الشطط في اختيار ما يضر أصاب الشر وكان من المخطئين، والذي يظن أن للكون إلهين أثنا لان في الكون خيراً وفيه شراً قد زاغت بصريه وأخطاً الحقيقة (إذا كُلُّ يُبْعِدُ الله وحده خالق كل شيء) (هل من خالق خير الله يرزقكم من السماوات والأرض لإننه لا هو إلا هو تعالى تؤتكم) (فاطر 3). والله قد بلغ رسالاته وأحكامه بالسنة إبتداءه ومرسله، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. (ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا فهميرتهم ظالم لما ظلماه) ومنهم مقتضى ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) (فاطر 42)، (وما أصيبكم من مصيبة فبأ كسبت أبدكم ويعفر عن كسر) (الشورى 30)، (فأحسنوا نجورها ونقواها، قد أفنى من زكاه وفقد خاب من دساه) (الشماس).

ما من دين خلا من العبادة لله، لكن الأديان القديمة حسب أتباعها أن الذين يطلبهم بإذاعة أجسادهم وتعذيبها، وان الغرض من العبادة إدخال الالم على الجوارح، وأن الجسد إذا أزدادت آلمه كان في ذلك طهارة للروح ونقاء النفس.

وعن هذه العقيدة نشأ التبتي عند الهندوس والرهبانية عند النصارى.
وابنعوا من رياضات الجسم أنواعاً عجيبة أشدها على الجسم أفضلها عندهم وأقربها إلى الله في زعمهم: فمنهم منArial عنة على نفسه أياً يغسل طول حياته، ومنهم من لا يلبس إلا السموح والثياب الخشنة، وبعضهم آلي على نفسه أن يعيش عرائنا إلا من خيره يتحسر بها ماضيها على ذلك مهما أثرت فيه حمارة الظيف أو زمهرير الانتشار، ومنهم من لزم كلهما فلا يبرره ابداً، وبعضهم اختار لنفسه أن يبقى واقفاً في حر الشمس طول حياته، ومنهم من يعفون إلا يقتات إلا بورق الشجر، ومنهم من يبني صرورة حضورها لا يتزوج، ومنهم من يعد العبادة والقربة إلى الله مع التناسل، وفيهم من يرفع إحدى رعيته في الهواء ويبقى كذلك طول عمره حتى يتبين يتوقف، وكان بعضهم يحبس نفسه ما استطاع وهو يحبس أن ذلك من العبادة، ولا يزال في النند من يتعلق بشجرة منكساً رأسه إلى تحت. وهذا كله وأمثاله ما كان عليه أتباع الأديان قبل مبعث محمد، فإن الله عز وجل إن أتىهم هذه من أقرب الوسائل إلى الله ومن أفضل ما تركه به التقوس وتطهير به الأرواح، فأنزل الله عز وجل الإنسانية من هذا العذاب الآليم والAlamat الشديد بالرسالة المحمدية الكاملة، وأرشدتهم إلى أن ما يحسبونه عبادة من هذا السحف والشر انتها من الملاهي التي يتعلل بها من زاغ بسرعة، وثواب عليه الرأي فظن في الله غير الحق، وقد أعلنت الرسالة المحمدية للناس هذه الحقيقة: إن الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى القلوب التي في الصدور، وما يفعل الله بمعذبيكم لاجتادكم وجراحكم (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وجعل الرضوان بدعته من عند الناس لا من عند الله ( زعيمات 22) وفي الحديث النبوي لا صرورة في الإسلام، وإنكر على الذين حرموا على أنفسهم طيبات الدنيا فقال عز وجل (قل من حرم زينة الله التي أعُجِرْتُ لعباده والطيبات من الراقى) (الأعراف 32) وقد
أنكر الله على رسوله حين حرم على نفسه العمل فقال: (يا أيها النبي لَيۡمَ تَحَرَّم
ما أَحْلَ لله لِكُلِّهِ) (التحريم) ، والرسالة المحكمة علمت الناس لأول
مرة أن حكمة العبادة أقرار العباد لوبه بأنه عبده ومطيع لأوامره (إنَّ الذين
يَسْتَكِيِّرونَ عَنْ عِبَادِي سَيَدَخُلُونِ جَهَنَّمَ دَارَ الْخِيَابَةِ) (غافر
٤٠) فالدين الإسلامي يعدّ المسلمين خاصة وغيرهم عامة أن الله يريد منهم أن يؤبنوا
به ولا يشركوا به شيئا ، وإن يطبعوا أوامره ولا يستكبروا عليه ، فلا جرم
ان تظهر طاعتهم له في صور واساليب متعددة من العبادة . وغاية العبادة
في الإسلام اعتياد الطقوس والتعروق عليها (يا أيها الناس أعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم تلقون) . ثمرة الصلاة في
إسلام الكف عن الفحشاء والمنكر (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر) . أما الصوم فمن الوسائل إلى نيل الطقوس (يا أيها الذين آمنوا
كُبِّرْ عَلَيْكم الصيام كَأَنْ كُبِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْ قَبْلِكُم تَلَقُّون
(البقرة ١٨٣) . وأما الحج فمن حكمنه أنه (لِيَشْهَدُوا مَنِيَّتَا
وَيَتَذَكُّروٰا أَنَّ هَٰذَهَا لِلَّهِ حَقًّا مَا رَزَقَهُم مِن بَعْضٍ الْإِنْدُمَاءِ) .
والزكاة تركي القلوب وتتزعم منها رذيلة البخل وتسد حاجات الفقراء
واقتضاء ضرورات البائسين لأهمتها خدمة أعظمها الامة وتجرد على فقراتها . وقال
الله عز وجل (الذي يُؤْمِنُ مَالُهُ بِذَكَرِي) . وما أحد عينه من نوعه يجور إلا
ابتناء وجهيه الأعلى) . ومن الدين عند المسلمين النكاح والزواج وقد
قال لهم نبيهم أن النكاح من ستي ومن برتب عن ستي فليس مني ، وعدّ
القرآن الكريم أولاد الإنسان وزواجه قُرُّه أعين له ، وارشدهم إلى أن
يسألوا الله ذلك (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وفَّرِّبِيَتِنا قَرْرَة
أعين) .
وكان قتل المرء نفسه ما يقرب به الأقدام من الآخرة ، فكانوا يتبادلون
لأجلهم قرابين بشريتا تذبح كالأضاحي استضمام للاصلة ، فإذا سفكت
دماء البشر هذا الغرض نشرت دماؤهم على الأوثان، ورجاء أحرقت نلام
الأصحابي وجرت بها الاستدانة وجرت بهناملها، واجل ذلك كان اليهود
يحرقوه لحم الأصحابي. أما الإسلام فقد بين رسوله الكريم الخرمن
الصحابي ورحم ذبح الإنسان وتقديمه عقابا واحذ نضجية الهمام إلا أنه
مه قلت أن يشرل الأصحابي أو تخرب نلامها. وقد ذكر الله عز وجل ما في
التضحية من منافع للعباد يقوله (والذين جعلت ها نكم من شعائر اللهم
ألفها خر فذكروا اسم الله عليها صوان، فلا وصي جوبيا
تكرروا منها واطعموا القريعة والمغفر، كذلك سخرها لكم، لتكتم
تشركون، أن ينال الله نلامها ولا بد فيها ولكن يتمنى الحق في نلام
ذلك سخرها لكم ليتكبروا الله على ما مداكم وبشر الحسنبن)
(المج 37) أما المقيدة الفاسدة في التضحية فقد جملت الناس على
أن يحبوا أنهم يملكون حياتهم في التضحية فقد جملت أولاءهم على
حياتهم، وزعموا أنهم يملكون أزواجهم، حياتهم وموتهم. وهذه المقيدة
الفاسدة قد جرت شرا عظما وفسادا كبيرا في الحياة الاجتماعية.
فتابحوا لأنفسهم الانتحار وقتل الأولاد ورود البنات وذبح الإياب على
النصب والراثان، وانتحار الخلاص أو أحرارهم أنفسهم بعد موت
ازواجهن، وغير ذلك من المقائد التي عانها الإسلام واجتبتا من صوابها
منذ أن فن الناس أن النفس لله هو الذي يملكها ولا يملكها أحد غيره
ولا فتفل نفس إلا بحق الله، لذلك لا ينال في الإسلام أقل حذجة لم
يذكر اسم الله عند ذبحها، والذي ينفاه فان الجنة مغرة عليه. أما في
أمورا المتحضر وأمريكا المتقدمة فإن الانتحار لا يزال أفضلا وسائل النجاة
من مضاعف الحياة والآلام، والدول تحاول عنيا أن تأخذ على أيدي
المتبرعين فتذهب مساعي الحكام والولاية أدراج الربح، لأن الناس

197
يُعَمَّون أنهم يُلِكُون أنفسهم لنفسهم أن يُتَصَرَّفوا فيها كما يشاؤون، والانتحار عندهم أفضل وسائل النجاة من آلام الدنيا، ولا يرون أن بعد هذه الحياة حياة يؤخذون فيها الانتخاب. وَحَتَّى لو ابتدأوا أنهم يبحثون بعد مماتهم ويشترون تارة أخرى، فأنهم يستبعدون أن يذهبوا على انتخابهم وقتلهم أنفسهم. أما الإسلام فقد شهد في أمر الانتحار وهذه جريمة عظيمة وحذراً عاقبة وعللهم أن هذه الوسيلة الدقيقة لا يركن إليها في الخلاص من آلام الحياة وشداها. فإن من انتصر فقد أقسم على ما ليس له من حق، لأن الحياة والموت من أمر الله، ومن تجاوز أمر الله استحق سخطه وغضبه وسيحل به عذاب الله في الحياة الأخرى وهو أشد وافقي من آلام الدنيا التي أراد المتحرر أن يخلص منها (ولا تقولوا النفس التي حرِّم الله إلا بالحقّ) (ولا تقولوا أنفسكم. إن الله كان يتَّمَّرُ رحياً، ومن يفعل ذلك عدواناً وظلالاً فسوف تُصْلِيه ناراً).

كان قتل البنات وأوادهن فائياً بين العرب، وبين الراجوت من أهل الهند، وفي كثير من اليهود، فكم ظهر الإسلام انكر ذلك وباحه (وإذا الموعودة سُكِّلتُ: بايّ ذَٰلِكُ قَتِلتُ) وقتل الأولاد لم يكن جريمة عند العرب، ولا يزال هذا المنكر باقياً في الأمم المتحدة. يدفعهم إلى ذلك خشية الإصلاح وضيق النفقه، وربما يبررون ذلك بأن غلاب البلاد وواصلاتها لا تسد حاجات العوام البريسي فيقتلون أولادهم دفعاً للاضرابات الاقتصادية عن البلاد، والعرب وغيرهم لم يكونوا يرون تعباً على من أجهضت حملها وقتلت ولدهما. وكان الأخريين يتجعودون كل مولاً بولد في بيوتهم فيقتلون منهم الضعفاء، والمنحدرين والناقضين الخلفين. وقد يذكرونهم من قبل الجبال، ويستحيون منهم الأقوياء وناضجي الخلف في جميع طرقه المعروفة في هذه الأيام، ليس Birth Control وتحديد النسل...
لا ضربا من ضروبقتل الأولاد وولد البنات، وقد نادي الإسلام في الناس أنه ما من أحد يرزق أحدا وإنما الرزق هو الآلهة المتكلفة بحياجته خلقه. قال تعالى ( وما من ذاكرة في الأرض إلا على الله رزقها) وقال ( ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق تحي نرئكم وإياكم إن قتلوه كان خطايا كبيرا).

ومن أكبر الجرائم التي اقترفتها الأمم ولا تزال بالغة في بلاد لم تبلغها دعوة الإسلام ولم تشرك أثرها في أرضها، أنهم جعلوا ثراء المال وثقيه الدم وشرف النسب وكروم المحترم ولون الشهرة أساس الكرامة ورس ما يتفاصلون به ويرفعون. وقد جعلوا لشراء المال وثقيه الدم وبيض اللون أصولا يرجعون إليها في هذا التفاصيل بين أفراد الأمة وبين الطوائف من الأمم. وسنا لذلك من القوانين والأداب في المعاشرة والمجتمع ما بلام أهواءهم ومذاهبهم في النسب. أما الهند فقد عد من الناس من أهلها كل من خرج عنهم من الأمم والناس أنجاسا مثاليا، فإن لمهم لا استعمال غيرهم أو صاحبهم أنمس أحساؤهم رأوا أنهم قد تجسوا ووجب عليهم أن يعتسلوا لان من سواهم رجس يجب أن يتطهروا منه. وقسم من الناس أنفسهم أقساما وزعوا بين هذه الاقسام حظوظا متفاوتة من الشرف فرفعوا بعضهم على بعض درجات لا في الفضائل والأخلاق بل في أمور المعيشة وشئون الحياة وحكم الحكومة. فالشورع ( وغير الطبقة السفلى منهم) يعدون أنجاسا وعبدا وخداما، وهم أصحاب المهن الخمسة، ويرون أنهم لا حظ لهم من الدين أيضا. وكذلك قدماء الغرب تفرقو إلى أربع طوائف. وهكذا فعل أهل أوروبا فخصصوا أنفسهم بأسر الحكومة والسلطان على الأمم ولم يتركوا من سواهم إلا أن يستبديروا ويضيعوا لحكمهم. وبنو إسرائيل مثوا أنفسهم أبناء الله ( تعالى الله عما يشربون)
ونسواهم من الأمام أذلة صاغرين. ثم فروا بين بني إسرائيل أنفسهم فانزلوا طوارئهم منازل مختلفة وجعلوا بعضهم فوق بعض. وهذه أوروبا الرائقة التي تدعى دعاوى عريضة في الأخاء والمساواة والمدنية، السنا نرى أن الرجل البيض قد أثلك كاهله بأعماه الحكم في العالم ويرى أن غير الأوروبي لا يستاهل السيادة والحكم، فالبيض المتفوق هو الذي اختص بالحضارة والاستعلاة، أما السود (وكل من عداهم يدعوه من السود) فأنهم لا يملؤهم ولا يساورهم، بل إن بعض البيض يرثون بأنفسهم أن يركزا في أسفارهم مع الأسيوي في عربة واحدة من القطار، وترفعون عن مجالسته ومساكته، وقد عزلوا الجنس الأسود الأفريقية الجنوبية وامريكا المتحضرة فيناهم إحياء منزولا عن البيض لأنهم لا حق لهم بأن يتجاوزوا البيض. فالامريكيون الذين يدعون العدالة النهائية وإحياء العظيم عاملون السود من سكان امريكا نفسها اسراً وتعذيفاً عليهم حياتهم كأنهم ليسوا من البشر أو من خلق الله. وفي جنوب افريقيا وشرقها ليس للسود ولا للهنود ولا للأسيويين عامة من الحقوق المدنية والانسانية مثل ما للإنسان في بلاد أخرى. ولم يقصروا جهودهم هذا على الامور الدينية، بل إنهم عدوا طورهم وجاوزوا الحق إلى الامور الدينية فينا الكنيست الليطيف خاصة وجعلوها بعزول عن السود فلا يذنون للسود بدخول تلك الكنيست. وإن البيض يشمخ بأن له ويرى نفسه أنه يدخل كنيسة يغتصبها السود أو الأسيويون والافريقيون. وليس للأسود أن يركع له مع الغربي البيض إبداً. أما الإسلام فقد صنع هذه الفوارق والعصبات الدموية كلها، وأنكر أن يكون التفاح باللون والدم والنسب. وسواء بين بني

(1) ذكر الفارابي بـ "الкاست الأيزفوري سيد شريف من الديرة المحمدية (الناصر)"
أدم كلهم، وهذه كلما كان يجول بين المرء وأخيه من ثروة المال ونقاء الدم، ولون البشرة والجلاء العريض والنسب الأصيل والمجد الأعلى. وكانت قريش تتعثر بآبائها وتباهي بأنسابها، فخاطبهم النبي يوم وقف فيهم خطيئًا في فناء المسجد الحرام يوم فتح مكة فقال فهم: يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نعمة الجاهلية وتعظيمها بالآدب. الناس من آدم وآدم من تراب، ابن هشام. ثم أعلن الرسول في جمع عظيم بحفل حافل يوم حجة الوداع أن لا فضل للعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى. كلكم أولاد آدم وآدم من تراب، فعلاك الشرف والمجد والتقوى، والعمل الذي يرفع صاحبه أو يضعه. وإن الله قد أذهب عصبية الجاهلية وقفرها بالآدب، فلأمره إما مؤمن، تقي أو فأجر شقيق (خضبة الوداع في جامع الترمذي وسنن ابن داود) وقد خاطب الرسول فيها عامة الناس بسان الوحي: يا أيها الناس إنما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، إن كربكم عيني الله انتقاكم وقال سبحانه (وما أموالكم ولا أولادكم بما تقدموا) إلا من آمن وعمل صالحًا فأولئك لهم جزاءه الضحى بما عملوا) ثم أخذ بين المسلمين وجعلهم إخوة فقال عز من قال (إذا المؤمنون إخوة) وقد تأدي الرسول يوم حجة الوداع في جمع من المسلمين عظيم يبلغ عددهم مائة ألف أو يزيدون، فالمسلم آخر المسلم. فهذه المساواة والمحاماة قد عمتا الفوارق بين الهندي والإفغاني والصيني والتركي والإيراني والاندونيسى والعربي، وبين الشرقي والغربي، بل ذهبنا بكل ما يفرق بين الأسود والأبيض من فوارق الجنسية والنلسون والدم، وأعلن الله إحسانه اليهم بقوله (فأصبحتم بنعمته إخوانًا).

إن أبواب بيوت الله مفتوحة في الإسلام لكل مسلم بلا تفريق بينهم في
المهن والاجتماع والممارسات الاجتماعية، لأنهم لا يتفاضلون بالشراء ولا يتفاوتون في الآباء واختلاف المجتد. وليس في الإسلام نظام طبقات كثيرة بين البراهمة والشيوخ (النبيذين). فكل مسلم أن يتلو كتاب الله، وأن يؤمن الناس في الصلاة، من أي بيت كان، ومن أي قوم كان، والنزاع مطلق بين طوائف المسلمين وأبنائهم، وربما العلم مفتوح لكل داخلي، بل هو نجيب مقسم بين الجميع، والناس سواء في الحقوق، وفكيك القصاص: الدم بالدم، والنفس بالنفس.

إخوانى الإجتراء. كان بودي أن أذكر عن رسالة محمد. كل ما حسنته على الإنسانية، وأن أحدث أ kapsها ونعمها على جميع طبقات البشر، ولكن وثابت لم يسمح بذلك، ومثل هذا الموضوع العظيم يحتاج إلى وقت طويل. رأي من الوقت الذي تحدث إليكم فيه. وما كنت أحب أن استمع لكم في الرسالة المحمدية على التمثيل والمستعدين في الأرض من بني البشر، والحقوق المتنوعة في الإسلام، والمستوى الذي رفعهم الإسلام إليه لأول مرة.

وكنت أحب أن ألم بمرسالة المحمدية من جميل نحو النساء، وما حفظت من حقوقهن وما رعت من كرامته.

كان بودي أن أفصل لكم جميع هذا وكثيراً غيره تفصيلاً تبتعد منه أن أوربا التي تدعى التقدم الفكر لا تزال وراء الإسلام مسافات طويلة، ولكن تضارعه لا قدم للإنسانية من رعاية وما أسوء فيها من حقوق.

إن من أعظم الجرائم التي عم بها الضلال وظلم، الدعوة إلى التفرق بين الدين والدنيا، حتى صار يقال: هذا من حكم السلطان، وهذا من حكم الرحمن. وحتى صاروا يبزون بين ما يكسبون في الدنيا، وما

104
يكسبون به الدين. وقد أفردوا لكل واحد منها طريقاً عرفاً طريق الآخر. والرسالة المحمدية هي التي كشفت الستار عن وجه الحقيقة في ذلك فأعلنت في أعيال الدنيا التي يراد بها وجه الله والغفور في الآجالة. إنما أرجاء الدنيا ما بين أمور الدين وأمور الدنيا من التلبس، وإن هي من صميم الدين، ومن الدين أن يقوم الناس بأمور الدنيا من التجارة، وزراعة، وصناعة، وحولة، وخدمة. بالطريقة السليمة التي هدى إليها الدين وأرشدت إليها تعاليمه. ومن أعظم الخطأ أن يحسب الناس أن الدين منحصر في العبادة من صلاة وصوم. وفي الغرار من الناس اعتزالهم في مغارة أو جبل للعبادة، بزعم أن استغلال المرق بأمور نفسه وشكون أولاده، وعبادته، والمشاركة في مصالح أمه وبلاده وأحبباه وخلائه هو من أمور الدنيا لا من أمور الدين. فلا بد أن هذه العقيدة قد أعلن رسول الإسلام فسادها وابدأ عراؤها بدعوته وبلغته من جهة، وبياتبه المثل من جهة أخرى. وقد ينقوله وعمله أن أمور الدنيا التي تؤدي بالطريق الذي هدى إليها الدين تعد من الدين ويثيب الله عليها كما يثيب على العبادات وغيرها مما هو من صميم الدين.

إلا إن ملاك النجاة للإنسان في الإسلام الآبام والعمل الصالح. أما الآبام فهو الإيان بله وحده، والإيان بأن رسول إنا يعتبره هداية البشر ودلايلهم على طريق الله، والإيان بملائكة الدين هم رسول الله ببته وبيومن أرسل البهيم من البشر، والكتب التي أنزلت على الرسل وفيها أحكام الله من الأوامر والنواهي، والإيان بأن الله يجعل الناس على أعياله ويجزيه خيراً عما يعمله من خير أو شراً سيراً يصدر عنه من شر. فهذه الخمسة هي أساس الآبام وملائكه، والإيان أساس العمل، ومن لا إيان له لا ينتظره الاعتلاش فما يصدر عنه من عمل.
والمراد بالعمل أن تكون تصرفات الإنسان صلاحية. وللاعيال ثلاثة ضروب كما ذكرت في المحاضرة السابعة من هذا الكتاب (1): الضرب الأول (العبادات)، وهي عبارة عن تنظيم الإنسان لإلهه الذي خلقه، وعن خضوعه له ورحمة اتباره وإظهار افتقاره له. الضرب الثاني (المعاملات)، وهي ما يتعاطاه الناس فيها بينهم لتبادل مصالحهم واستعمالهم وآرائهم، ومنها أحكام الدولة وقوانينها التي يراعيها الإنسان ويعقيد بها ليسود الأمن ويعمل السلام في البلاد. فلا يقع فيها الفساد والتفوضي التي تنتهي إلى المجزية في الدنيا والآخرة، والضرب الثالث (الأخلاق). وهي الفتيان التي توجب الأدب التلقيد بها وإن لم تضر على الناس بالتشريع وأحكامه الفاتحة، وبتابيعها تطهير القلوب وتعزز النفسوس ويرفع مستوى المجتمع البشري ويتقدم في إنسانيته: وهذه الأربعة نصيحة لإتباعها، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، هي التي تهيي للمجتمع أسباب النجاة.

سادتي وأخواني، ساهوني إذاً قلت لكم أن التبت في الدنيا والعزلة عن المجتمع وحب الخولة عن الناس، ولكني الله ليست مما يجتمع الإسلام ويدعو إليه. والإسلام نشاط دائم وجهاد طويل، لذلك تراى يجب المسلمين على أن يكونوا داعياً في عمل وسعي ونشاط، وذلك ينادي السكون الدائم والانصراف عن الحركة والعمل (وأن ليس للإنسان إلا ما معنى)، (كل نفس بما كسبت رهينة) فالعزلة عن الناس ليست من الإسلام، بل من الإسلام القدام في معترك الحياة واقتحام حلبة الحركة والزحام لشن دعوة الحق والخير وإصلاح البشر. وبين أنديكم الشامى برسل الله، وما كان عليه أصحابه، فإذا عملتم كما عملوا وجاهدتم.

(1) ص 139

204
كما جاهلوا وناصبوا على إقامة الحق كيا ناصبوا كنتم مسلمين حقا كيا كانوا
وكتب الله لكم مثل الذي كتب لهم من الفلاح في الدنيا والنجاة في
الآخرة .

إن محمدًا ﷺ لم يدع إلى مثل ما دعا إليه ( بزفة ) من هجر الدنيا
ومعارضة الفطرة بقمع الشهوات ومحاولة اتباعها من النفس ، بل دعا
إلى تعديلها وتسكين ثورتها والجذ من شكلها والإسراف فيها .

ولم يدع إلى مثل ما يقال عن دعوة المسيح من احترام النصرة والقوة ،
بل دعا إلى تحرري الطرق الصالحة في الحصول عليها وفِي حسن
استيعابها .

إما الإسلام إبان بالحق وعمل به ، ولذلك تفاصيل وفروع ومساع
متنوعة وجهاد عظيم وكفاح متواصل . فترك العمل عكس ما جاء به
الإسلام ، والذين الذي يأمر بالفُرائض لا يجعل أن يرغب بالإسرا خ
عندها . وإن شتم تفاصيل ذلك فافروأوا سيرة الرسول وادرسوا تراجم
أصحابه . أليس الله عز وجل قد وصف تبهبه بقوله : ( مُحْمَّدُ رَسُولُ
الله وأَلَوْنَهذِيْنَ مَعْنَىِ اِسْتِدْاهَةۡ عَلِىُ الْكَفَافِرِ وَرَمَيۡتَهُمۡ
بَعْدَهُمۡ أَن يَرَاهُمۡ رَكَعُمۡ رَكَعَةٌ سَجِدَآۡ سَجِدَةٌ ثُمَّ فَضۡلَٰ
نَدَأً مِنْ اللَّهِ وَرَضۡوَائَنَا ) .

كان في جهاد عظيم وكفاح مستمر ، وما برح طول حياته الشريفة
مختلطة بالناس متحدثا إلى أصحابه يجالسهم يساعدهم ويواصلهم
ويشاربهم ويلقاهم بوجه طلق وقلب نقي سلسل متعلق بالله وما يرغب به
الله ، وقد تراه راكبا ماجدا لله ، كما قد تراه ساعيا ينتظى الفضل من الله
ويكسب رزقه بعمله مع تعلقي قلبه يره لا يلتهي عن ذلك شيء ( رجلاً لا
ثُلَّوُهُمۡ تَجَارَةَ وَلَا نَبِيعَ عِنْ ذَوَّرَ اللَّهِ ) فهذا إذا ذكر الله لا يحمله ذلك على ترك

٢٠٥
الدنيا والعمل فيها وهجر أمه وعياله، وإذا قام بعمل الدنيا لا يقطع مع ذلك عن ذكر الله بقلبِه وحريَّ مراعاته في كل ما يعمله.

ألم يأتيكم نبأ المسلمين وهم يقاتلون الروم في بلاد الشام؟ إن العدو ارسل عزرا يتجسسون له أهوا مسلمين في معسكرهم وله عادوا القدامهم قلنا: إشهدوا على أنهم باذالل رحبان، وفي النهار فرسان إخواتي. اليوم آخر عهدكم، فكم في هذه المحاضرات. وكم حسنني قادرا على أن أصف لكم رسول الإسلام ورسالته وصفا كاملا، وإن سأوليها حقها مبينا سيرة الرسول الظاهرية ومناجيها المختلفة في هذه المحاضرات الثمانية. وما هي ذِي المحاضرة الثامنة قد انتهت وفرغت الآن من القائمة، ولكن الرسالة المحمدية قد بقيت منها نوح لم أوفها حقها من البيان.

اللهم صل عل محمد رآله وصحبه وسلم

وآخر دعوتنا أن الحمد لله رب العالمين
فهرس تعليقي

الموضوع

الصفحة

ترجمة حياة المؤلف للسيري مؤرس النوروى رحمها الله تعالى .. 5

مقدمة المؤلف ..

المحاضرة الأولى: في سيرة الانبياء هي النسباء الحسنة .. 17

خصائص النبات أكثر من خصائص الجباه فواجيهه أكثر ..

خصائص الحيوان أكثر من خصائص النبات فواجيهه أكثر ..

ومدارك الإنسان أقوى فواجيهه أعظم ..

مسؤولية الإنسان بقدر مؤهلته ..

حكمة ارسال الله الرسول للبشر ..

الفرق بين دعوة الرسول ودعوي غيرهم ..

خلود دعوة الرسول واضمحلل دعوى غيرهم ..

ما من طائفة من الناس أصلحت فساد المجتمع إلا الانبياء ..

ان الهداية والدعوة لا تمر ولا تبقى إلا بالقدوة والأسرة ..

المحاضرة الثانية: في أن السيرة المحمدية هي العامة الحالية ..

امتياز محمد لأنه كان شاهدا وبشرا ونبيا ..

السيرة المحمدية هي السيرة التاريخية ..

سيرة متنوعة الهندس ليست تاريخية ..

سيرة زيدوا ليست تاريخية ..

الذي نعلم من كونفروسين أقل من الذي نعلم عن زيدوا ..

207
ل Nhận العلوم المحققين في كثير من سير انباء إسرائيل

الكلام على الأناجيل من ناحية التاريخ

ليس في أصوات الدعوات من يمكن التأسي بلهاء محمد

ما يعلن معرفته من أسئلة التوراة عن موسى

شنون حياة المسيح اختم من غيره وأيضاً

يشترط الكيان والعلم والجمع في سيرة من يقتدي به، ولا يتوفر

هذا إلا في السيرة المحمدية، وبيان البراهين على ذلك

الحياة المئوية هي التي يبدأ صاحب دهورها بنفسه فيما

يدعو إليه

الحسنت السليبة والحسنت الإيجابية

يتناظر ان تكون سيرة المتبع تاريخية، وجماعة، وكاملة

عملياً ...

المحاضرة الثالثة: السيرة المحمدية من ناحية التاريخية

امتياز الإسلام بحفظ السيرة النبوية وتراجم الصحابة والتابعين

والائمة المتبعين

عائبة الصحابة بحفظ الحديث النبوي وعناية التابعين بتراجم

الصحابية

الكلام على التابعين، وأساتذتهم من الصحابة

المستشرون وتشكيلهم في رواية الحديث، والكلام على الحفظ

الكتابة

كتابة الحديث في العهد النبوي

التابعون الذين دونوا الحديث تبدأ ولادهم من سنة 11

جمع الحديث له ثلاثة اطوار

علم نقد الحديث من جهة الدراسة والفهم

208
ستة مصادر لسيرة النبي محمد وذده
كتب السيرة المحمدية تعد بالألوف
مرجليوت أشد المستشرقين تهاملاً على الإسلام
اعترافات جون ديرن بورت ورويند باسمر سميث
السيرة النبوية أوثق رواية وأكثر صحة من كل ما كتب في سيرة
النبيين

المحاضرة الرابعة: السيرة المحمدية من ناحية كفاها وتثامها

87
لا تكون حياة أحد كاملة إلا إذا كانت معلومة للناس
حياة محمد من ميلاده إلى ساعة وفاته معلومة التفاصيل بجميع
دخلائها.
مثال من كتب الشهاب لتفاصيل ما يعرفه التاريخ عن محمد
من جملة ودقيقة
كلمتا كبن وباسمرث ما يعرفه التاريخ من دخائل محمد
تفاصيل أخرى ما يعرفه التاريخ عنه
ما استقصاه ابن القيم في زاد المداد من أحوال النبي الخاصة
وش朔نه اليومية
إباحة النبي لاصحابه ان يذكروا عنه كل ما يعرفونه فلا
تحفظ
كان الرسول معروف الدخائل لاعداداته أيضاً، فلم ينقلوا
عنده الا الخبر
شهدت أبي سفيان قبل إسلامه للنبي عند هرقل
رجاحة عقول العرب تجعلهم لا يبتعدون عن أمر الرسول
فانتباههم على بيئة

409
لوكم الرسول شيء لاكتُمن ما في القرآن من مؤاخذه...
كلمة هيجنس في المقارنة بين محمد ﷺ، والذي قبله...
سنن الإمام الساكنة في الأخلاق بابدة وسم يسنى الأشياء...
 المسلمون لا يحتاجون من خارج دينهم إلى أصول وضوابط...
أصولكم كاملة...

المحاضرات الحاسمة: السيرة الحميدة من ناحيتها الجامعة...
الأديان الأخرى تتحرى أقوال أتباعها، والمسلمون يتغرون
أعمال نبيهم...

حياة محمد ﷺ جمعت ما تفرق في الأديان، كما امتازوا به...
انتهاء أحد البراءة لهذه الناحية من الحياة الحميدة...
ما أعطى الله الرسول جمعاً متفرقين قد أوحيه محمد ﷺ وحده...
مقارنة بين النبي ﷺ، وأخوانه الأديان...
مدرسة محمد ﷺ كانت جامعة للطوائف وعامة للأمم...
استعراض نماذج من تلاميذ محمد ﷺ...
إن العالم لا يتم هدايته إلا بالمصلح الأخير للدنيا...

المحاضرات السادسة: الناحية العملية من السيرة الحميدة...
كيف ينبع الرسول وفيم تتبعه؟...
مقارنة بين نتائج عظة جبل الزينون، ونتائج دعوة جبل الصفا...
ما شهد به محمد ﷺ أقرب الناس إليه وأعرفهم به...
كان أول من يعمل بما يأمر الناس به...
مقارنة بين عظة "أحبوا أعداكم"، ومعاملة النبي ﷺ لعداهم...
مقارنة بينه وبين الأديان من آدم إلى عيسى...

المحاضرات السابعّة: رسالة رسول الإسلام إلى جميع الأنام...

125
ما هي السيرة الكاملة الجامعة في الرسول، وماذا بلغ عن ربه، كفالة الله حفظ الرسالة المحتمدة لآرائها رسالة الحاضر والمستقبل.

الإسلام أول رسالة عامية في تاريخ الإنسانية

الدين أبيان وعمل، ولم يبتعدوا إلا في الإسلام.

مقارنة بين رسالة الإسلام والرسائل الأخرى

مقارنة بين الوصايا العشر والآيات 39-36 من سورة الأسراء.

عناية الشرع المحمدي بكرامة الجنس البشري ومكانته من مسائل المحاور.

الرسالة المحمدية عرفت الناس بأقدارهم ونزلتهم منازهم.

الإسلام وحقيقة التوحيد.

فطرة الإنسان في الإسلام بريئة في الأصل ولم يولد آثا.

الدين والفطرة كلمتان مدلول واحد.

الناس سواسية في الإسلام، والدنيا كليها الله وحده.

الإسلام سوي بين جميع الانياء ودا إلى الأيان يهم جميعا.

الله بين الذين غلوا في الانياء والذين فراوا فيها.

المحاكاة الثامنة: السيرة المحمدية من الناحية العملية.

فاضل الأديان السابقة بسرية التشييه وتشجيع الصفات الإلهية.

فاضلاها بسبب فصل الصفات الإلهية عن الذات.

فاضلاها بسبب تعديهم الفاعل بتعدد أنواعه.

نشأ الخير والشر حسن استعمال الأمور أو سوء استعمالها.

المدى والضلال بما كسبت أبيدي الناس.

تعدد الالبان بتعمهم أنفسهم.

tضحيه والأضاحي والقربان.
النفس ملك الله، فليس الإنسان أن يتحر أو يجلد إنسال.
قضاء الإسلام على نظام الطبقات، وعلى الفاصل بالمال
والنسب واللون...
من أعظم الجرائم فصل الدين عن الدنيا...
الإسلام أبى علاأجل وعمل به...
الخيري...